إلى السّلام يـا أمة السّلام

المسامح كريـــم

جمع وتـأليف الفقير إلى الله تعالى

عابـر السّبيل

أبو محمّد

أمّة القرآن أين نحن من القرآن؟

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٨٢]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الفُرْقَان: ٧٣]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٤]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١٤٩]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المَائِدة: ١٣]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعْرَاف: ١٩٩]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [المُؤْمِنُون: ٩٦]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤، ٣٥]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشُّورَى: ٤٠]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشُّورَى: ٤٣]

أين نحن من قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الجَاثِيَة: ١٤]

أين نحن من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم-: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحَشْر: ٩]

أين نحن من التابعين: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحَشْر: ١٠].

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ ✸ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحَدِيد: ١٦].

أين نحن من هذا الهدى؟ أين نحن من هذا النـــــــور؟

الـمـــسامـح كريـــم

الشفا

بتعريف الشفاء الذي يحبه الله و المصطفـــــى ﷺ

اسم الكتـــــاب : المسامح كريم

اسم المؤلـــف : الفقير إلى الله تعالى أبو محمّد

رقـم الإيـــداع: 2011/4228

ردمـــــــــــك : ISBN 998-9961-9911-1-0

عدد الصفحـات: 235

سنة الطبـــــع : في ربيع الأول 1432 هـ

المسامح كـــريم

الشفا : بتعريف الشفاء الذِي يحبه الله و المصطفى - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ -

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

بعد حمد الله والصّلاة والسّلام على سيّدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وبعد:

فحصى وإجالتي نظري في هذه الموسوعة من هذا الكتاب الفذّ في نصّه الفريد في نوعه ومضمونه، وحسب ظنّي أنّه لم يسبق مثله المسمّى « المسامح كريم » لصاحبه الأستاذ الأديب اللّبيب ذي القلب المنيب والقول المصيب: أبو محمّد سامي يوسف حفظه الله ورعاه وزكّى سعيَه وبلّغه مبتغاهُ ومُناهُ فوجدته بساتين رائعة وثمار يانعة من كلّ ما تشتهيه نفس المؤمن التّقي النّقي المتأثّر حقّا بما يجري حوله في العالم الإسلامي من مشاهد منكرة ومآسي فلم ترض نفسه الزّكية بالسّكوت ولا السّكون والرّكون فتحرّك بهذه الخطوة المباركة وكأنّي به يهمس ويجول في خاطره وسويداء قلبه قول سيّدنا رسول الله ﷺ الرّحمة المهداة: «من لم يهتمّ بشؤون المسلمين فليس منهم».

فالتمس من القرآن ما يهزّ المشاعر والألباب، وقد وفّق لذلك أيّما توفيق ومن السّنّة المطهّرة ما لذّ وطاب من البراهين والأدلّة، ومن أقوال الأئمّة الأعلام ما ينير للحيارى سبيل الصّواب، كما وشّح كتابه بطائفة من كلام الحكماء وفوائد النّصحاء من جهابذة العلماء علمًا منه بأنّه لا خير في قوم لا يتناصحون ولا خير في من لا يقبل النّصيحة كما جاء في الأثر فهذا الكتاب ينبغي أن يقرأ ويقتنى وهو مملوء بالنّصائح الثمينة. أوجّه نصيحتي لكلّ مسلم و أهيب بالأخصّ الشّباب من هذه الأمّة فهو درعها وحصنها الحصين ومستقبلها الباسم فيجد فيه الوجهة الصّائبة الصّالحة الّتي يتطلّع لها المسلم الّذي ينشد الإسعاد له ولأمّته ووطنه في أمن وأمان وسلامة واطمئنان بارك الله في المؤلّف وما قام به من مجهود جعل الله العمل خالصا لوجهه الكريم، ونفع به النّفع العميم، آمين وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه عبد القادر بن سالم إمام مسجد

الفتح « سي علي بن دنيدينة» بالجلفة

بتاريخ: يوم الإثنين 26 ربيع الثّاني 1436هـ

يوافق 16/ 02/ 2015 م

الإهـــداء

بكل تواضع ، وعلى استحياء ، لم أجد أحق و لا أَجْدَر منك يا حبيبي يا رسول الله بهذا الإهداء، فأنت قدوتنا و معلمنا. يا من بعثك الله رحمة للعالمين ، و نَذيرا و هدى و سراجًا منيرًا. إليك أهدي عملي هذا بكل معاني الإهداء، و أسأل الله العظيم ألّا يحرمنا لذة النظر (1*) إلى وجهه الكريم في الآخرة ،و صحبتك في الجنّة وَقَدْ حُرِمْنَا منها في هذه الدنيا. فتقبل هذا الإهداءَ ممَّن أحبك في هذه الدنيا، إِذْ حُبُّكَ فاق كل حبٍّ.

أفديك بنفسي و أهلي و ولدي محمد سامي يوسف الذِي ولد في اليوم الذي ولدتَ فيه يا أحب النّاس صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ وَسَلَّمَ تَسْليمـا، و آليك و أصحابك و أزواجك و محبّيك و السالكين منهجك إلى يوم الدّين و الحمد لله ربّ العالمين .

أبو محمّد

❊ ❊ ❊

(1*)قَالَ تَعَالَى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القِيَامَة: ٢٢ ، ٢٣] ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يُونس: ٢٦] .

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

المقدمة

الحمد لله الهادي إلى بابه ،الموفِّق من شاء لصوابه، أنعم بإنزال كتابه، الذِي يشتمل على محكمٍ و متشابه، لا يعلمه إلا الله﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [1]،و أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أرجو أن أنجُوَ بها من عقابــه وشديد عذابه، و أشهد أنّ سيّدنَا و معلمنَا و حبيبنَا و نبينَا و عظيمنَا محمدًا رسولُ الله ﷺ المصطفى و المثل الأعلى في السماحـــة ،و الوفــاء، و على صاحبه في الغار، سيّدنا أبي بكر الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أفضل أصحابه، و على سيّدنا عمر بن الخطّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذِي أعزَّ الله به الدين و استقامت به الدُّنيا ، و على سيّدنا عثمان بن عفَّان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- شهيد داره و محرابه، و على سيّدنا عليٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- المشهور بحلِّ المشكلِ من العلومِ و كشف نقابه، و على آله و أصحابه و من كان أولى بهِ و سلّمَ تسليماً كثيرًا.

وبعــد:

فقد جاءَ هذا الكتاب الموسوم بـ(المسامح كريم) بعد حقبة تاريخيةٍ قاتمةٍ فارقةٍ مرّ بها هذا الوطن العزيز الغالي ، و هي ما اصطلح على تسميتها **"بالمأساة الوطنيّة"** وقيَّض الله لنا مَنْ ضمَّد جِرَاح الأوطان، وأعاد بناء اللُّحمة بين أبنائه ، فأشاع فيهم السِّلم والأمان.

---

(1) [آل عِمْرَان: ٧].

ومع ذلك لا نزال نعاني من العنف الَّذي تَفَشَّى في مجتمعنا؛ نجده في شوارعنا ، و بيوتنا، وحتى في مدارسنا ومساجدنا بشكليْهِ : الجسدي و اللَّفظي ،فما أحوجَنَا اليوم إلى ثقافة التَّسامح ؟! و ما أحوجَنَا إلى العفو و التَّصافح؟!

فابتسم أخي في وجه أخيك ، فالابتسامة مفتاح القلوب .

و ابتسَامَتُك في وجه أخيك صدقة(*1) . يجزيك عنها علاَّم الغيوب،ستّار العيوب ،غَفَّار الذّنوب،كاشف الكروب .

وتجنّب قَوْلَ اللَّفظِ المنفِّر ، و اختر كلامًا جميلاً ليِّنًا ،لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩].

فللمتلقي مشاعر و أحاسِيس ،فكن سهلاً لطيفًا هيِّنًا ،و اعلم أنَّ النَّاسَ ثلاثُ مراتب: مسيئٌ، ومقتصدٌ، و محسنٌ ، فكن من زمرةِ المحسنين تفز بسعادة الدَّارَيْن(*2) .

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فَاطِر: ٣٢ – ٣٥].

(*1) جاء في الحديث : « تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ، ... »؛ إلى آخر الحديث [التّرمذيّ (1956)]، و انظر : [تحفة الأشراف (11975)]، و انظر : [«السلسلة الصحيحة» (572)].

(*2) لأن التسامحَ خلقٌ كريمٌ ، اقتداءً و اهتداءً و تأسيًا بالنّبي العظيم ﷺ ، الذي قال له الله العظيم ، في كتابه العظيم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القَلَم: ٤] ، كما وصفه الرحيم الحليم بقوله : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٨] ...الآية.

ما أحْوجَنَا اليومَ إلى القيمِ الإنسانية الّتي تناول بعضها هذا الكتاب لإطفاءِ بَرَاكِينِنَا الباطنيَّة و نوازعنا الداخلية النَّاتجة عن الغضب! فيا أخي و يا عزيزي القارئ ،آثرنا أن نقدِّم لك دواءً يكون بحول الله فيه شفاء، من كلّ دَاءٍ يتمَاشَى مع روح العصر ذي الإيقاع السَّريع ، لعلَّنا بذلك نكون قد قدَّمنا شيئاً مفيداً لإخواننا بإذن الله – عزَّ وجلّ –، وَقد تضمَّن هذا العمل المتواضع : آياتٍ قرآنيةً، و أحاديثَ نبويَّة ،وخلاصةَ تجاربٍ طبّيةٍ ، و وصفات استشفائية من الرّبَّانيين العاملين بكتاب الله، المتبعين نورَهدي رسول اللهﷺ بالفهم والعمل إلى القلوب السَّليمة الحيَّة .

إن الحديثَ عن التَّسامحِ بين المؤمنين شيءٌ يملأ النَّفسَ شعورًا بالتّقصير، و تنحني له الهامات خجلاً من تعصّبٍ و غفلةٍ عند المصير، و لو عَرَّجَ التّسامحُ على القلوب لأبكاها ، وجعل العفو والصَّفح ...مبتغاها ، وبذل الجهد في إسعاد الإخوان، و خفض الجناح والتذلُّل لهم دون هوان ، وإيَّاك أيُّها الأخ المؤمن أَنْ تأخذك العزّةُ لقول (والتذلُّل لهم) لأنَّ التذلُّلَ في الله عِزٌّ وأمانٌ ، وخفض الجناح للمؤمنين صفة لا تنفكُّ عن عباد الرَّحمن ،اِتِّباعا لسيِّدِ المرسلين ، جيلاً بعد جيلٍ إلى يوم الدِّين .

أليس الله –عزَّ وجلّ –هوالقائل:﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المَائِدَة:٥٤].

إنَّك حين تتذلَّلُ لِأخيك في الله ،وَتَعْفُو عنه،وتستغفر له، وتشاوِره في الأمر، وتحاوره بالحكمة والموعظة الحسنة،وتقول له قولاً كريماً ميسورًا،وتخفضُ جناحك له من اللين والرحمة والإحسان والرأفة ، فإنَّمـا تفعل ذلك لا لذاته وقوته، وإنَّما لحرمته وإيمانه، واقتداءً

و اهتداءً و تأسيًّا بالنّبي العظيم ﷺ الذي قال: « تَطَاوَعَا وَلَا تَـخْتَلِفَا... »،[1] الْـحَدِيثَ ، و لأن أخاك هذا من أصحاب شهادة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" الّتي تجمع بينكما...و كذلك من أجل الإيمان الذي يملأ قلبَهُ، و العقيدة التي يحمِلُها فِكْرُهُ ، و تحقيقًا لكمالِ الإيمان لقوله ﷺ : «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ».[2] فاجتهد في ذلك يرحمْك الله و يغفرْ لك و يعنْك على نفسك، واضعا نصب عينيك الحكمة الذهبيّة: (إذا عَـزّ أخـوك فَهـنْ) أي أن تتواضع[3*] له و تتحمّل ما صدر منه فيلين ويرجع إلى طبعِهِ الطيِّبِ الأصيلِ الـمُتّسم بالـموالاة و المصافاة :

" لَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ صَدِيقٍ نَبْوَةٌ *** يَنْبُو الْفَتَى وَهُوَ الْجَوَادُ الْـخِضْرِمُ

فَـإِذَا نَبَـا فَا سْتَبْقِـهِ وَتَأَنَّـهُ *** حَتَّـى تَفِـيءَ بِـهِ وَطَبْعُـك أَكْـرَمُ ." [4]

– إن أخاك ليس له غيرك و أنت ليس لك غيره إنه أخوك –

---

(1) (صحيح ،متفق عليه):أخرجه البخاري في:64 – كتاب المغازي: 61 – باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع. [رقم(4344)، (4345)، مسلم (1733)]. وانظر [«السلسلة الصحيحة »(1151)]باب العلم والسنة والحديث النبوي .

(زاد مسلم « وَلاَ تَخْتَلِفَا »وهي عند البخاري، 3038) وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 63 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير] .

(2) أخرجه التِّرْمِذِيّ في « الشمائل النبوية » 35 – كتاب : صفة القيامة و الرقائق و الورع : 59/ 124 –باب : [ساعة و ساعة ، و احفظ الله يحفظك]. [رقم (2515)، صحيح : البخاري (13) ، مسلم (71–45) ، و النسائي (5016) ، ابن ماجه (66) ، و أحمد (3/ 278 : 13965..)، و الدارمي (2782)] . وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ».

شرح المفردات : * لاَيُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ : لاَيَكُونُ كَامِلَ الإِيمَانِ.

(3*) كما صحَّ في الحديث : «..... وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»؛الْحَدِيث[رواه مسلم(2588)،و التِّرْمِذِيّ (2029)، و أحمد (2/ 235:7238)، و الدارمي (1718)، و النووي (16/ 109)] .

و قال لقمان الحكيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- « الشَّرِيف إِذَا تزهَّد تواضع.....» نزهة الحكماء: 273.

(4) من كلام الأَزْدِيّ ، انظر : أَدَب الدُّنْيَا والدِّين : 235،(البحر الكامل).

و تأنّه : لأنَّ في التَّـأَنِّـي سلامة.

ونلجأُ إلى الحِصْنِ الحَصِينِ كتابِ اللهِ المبينِ ، فمنه نعرفُ الدّاءَ ، وفيه نجدُ الدّواءَ ، و به يكونُ الشّفاءُ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨ ﴾[الإسْرَاء: ٣٧ ، ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾[الفُرْقَان: ٦٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣ ﴾[القَصَص: ٧٩ – ٨٣][1*].

و عن أَبِي هُرَيْرَةَ، و أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « الْعِزُّ إِزَارُهُ. وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ. فَمَنْ يُنَازِعُنِي ،عَذَّبْتُهُ» .[2]

(1*) قصة الطّاغية قارون وأتباعه، وما قاله العلماء و الصّالحون في زمانه .

... الآيات في ذلك : [النِّسَاء: ١٧٢، ١٧٣]-[المَائِدَة: ٥٤]-[الأَعْرَاف: ١٣]- [الحِجْر: ٨٨]-[الإسْرَاء: ٢٤]- [الكَهْف: ٦٦ – ٧٠]- [مَرْيَم: ٣٢] -[الفُرْقَان: ٧ – ٢٠]-[الشُّعَرَاء: ٢١٥]-[القَصَص: ٢٤]...

(2) (صحيح):أخرجه مسلم في : 45 – كِتاب البِرِّ وَ الصِّلَةِ وَ الآدَابِ : 38 –بَاب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ . [رقم (2620)]. *(شرح الحديث من شرح النووي على مسلم (جـ 10 ص 53) قال النووي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

قوله ﷺ :« الْعِزُّ إِزَارُهُ. وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ. فَمَنْ يُنَازِعُنِي، عَذَّبْتُهُ » هكذا هو في جميع النسخ، فالضمير في – إزاره، ورداؤه –يعود إلى الله تبارك وتعالى – للعلم به.وفيه محذوف، تقديره: قال الله تعالى: « **ومن ينازعني ذلك أعذبه** » ، ومعنى: – ينازعني –يتخلق بذلك، فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر، مصرح بتحريمه.وأما تسميته إزارًا، ورداء – فمجاز واستعارة حسنة، كما تقول العرب: فلان =

و هذا لقمانُ الحكيم اتَّخذه الله في القرآن الكريم مثلا و أثنى على حكمته و آدابه و قص لنا حواره مع ابنه

ومن بليغ حكم لقمان ما أسنده صاحبُ الفردوسِ عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،أن النّبي ﷺ قال: «حقاً أقول! لم يكن لُقْمَان نبياً ،ولكن كان عبداً ضمضامةً (1*)،كثير التفكر حسن اليقين ، أحب الله –عزَّ وجلّ– فأحبه ، فمنّ عليه بالحكمة ، كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداءٌ ، يقول له : يا لُقْمَان، هل لك أن يجعلك الله –عزَّ وجلّ – خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب : إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء ، وإن عزم عليّ فسمعاً وطاعة ، فإني أعلم أنه إن فعل ذلك ربي عصمني وأعانني ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم : لم يا لُقْمَان؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها ، يغشاه الظلم (2*) من كل مكان ، إنْ يعدل فبالحري أن ينجو ، وإن أخطأ ، أخطأ طريق الجنّة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً ، ومن تخير الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا و لا يصيب الآخرة ، فعجبت الملائكة من حسن منطقه ، فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها » (3).

وفي هذا يقول الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- :

= شعاره الزهد، ودثاره التقوى، لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار.بل معناه: صفته اللازمة له كذا، فلا تنفك عنه أبدًا. قال المازري: ومعنى الاستعارة هنا: أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه، وهما جمال له.فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله أحق، وله ألزم و اقتضاهما جلاله.ومن مشهور كلام العرب: فلان واسع الرداء، وغمر الرداء، أي: واسع العطية. اهـ). من النووي.

أقول :وقد ورد القرآن الكريم بذم الكبر، والوعيد الشديد عليه، وقد جعله الله تعالى سبباً لمنع الخير والتوفيق عن صاحبهُ ... اهـ نسأله تعالى أن يخلص نفوسنا من الكبر، ويرزقنا التواضع آمين.

(1*) ضمضامة : أي جسيمًـا شجاعًا ، انظر : «لسان العرب»، دار صادر بيروت ، ط2008.6 / ج9 ، ص 64.

(2*)يغشاه الظلم : أي يأتيه الظالم والمظلوم فكيف يستخرج الحقّ إلّا بتوفيق من الله ونور.

(3)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي مسلم الخولاني.

أُهِينُ لَـهُمْ نَفْسِي وَأُكْرِمُها بِهِم ❊❊❊ وَلا تُكْرَمُ النَّفسُ التِّي لا تُهِينُهَا[1]

و لا ننسى قولَ سيدنَا أبي بكر الصّديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حيث قال :« و جدنا الكرم في التَّقوى، و الغنى في اليقين ، و الشَّرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق »[2].

... إنَّ أكبرَ مصائبنا اليومَ تكمُنُ في أنّ بعضَ المسلمين جماعات و أفراداً يعيشون خصوماتٍ و أحقادًا و نزاعاتٍ مُنكرةً تفصل بينهم المسافة التّي تفصل بين دين و دين آخر، لأنَّهم فرَّطوا في الاعتصامِ بحبلِ اللهِ المتينِ ، فقد قصَّروا في العمل بكتابِ ربِّ العالمين واتخذوه وراءهم ظِهْرِيًّا ، وكانوا عنه غافلين ، واتَّبعوا سُبل المفسدين ، وسلكوا طُرق الغاوين ، ونسوا حظًّا ممّا ذكِّروا به وكانوا في حظِّهم من الزّاهدين ، وخاضوا مع الخائضين .و طال عليهم الأمد ،فنسوا أهمَّ عُنصرٍ يحافظ على كيانهم، و يؤلِّف بين قلوبهم، ألا و هو : الأخوّة الإسلاميَّة الشَّاملة.

حين نستقرئ التاريخ نجد أنَّ شهادة : "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هي التي وَلَّدَتْ ذلك التآخي الفَذّ الفريد في تاريخ البشريّة الّذي أَلَّفَ بين المهاجرين و الأنصار ، فَـأَوْجَدَ في أنفسهم روحَ السَّماحةِ و الكرمِ و الإيثارِ، و من تلك البقعة الطَّاهرة[3*] اِنْطلَقَ شعاع التّوحيد لِيُنيرَ العالمَ سماحةً ظاهرةً و باطنةً. و لنتأمل ذلك الموقف الكريم من الرّسول

---

(1) دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 142 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(الطّويل).

(2) إحياء علوم الدين «ص : 467»، و للاستزادة في بيان فضيلة التواضع ، و آفات التكبر ، انظر : «إِحْيَاء عُلوم الدِّينْ» للإمام أبي حَامِد الغزالي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – كتاب ذم الكبر و العجب و هو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين باب : فضيلة التواضع : ... ج 3 / «ص 463..... 467»، و انظر الشِّفَا بِتَعْرِيْفِ حُقُوْقِ المصْطَفَى ﷺ للعَلَّامَةِ القَاضِي أَبِي الفَضْل عِيَاضِ بن مُوسَى اليَحْصُبِي / الباب الثاني « فصل فِي تَوَاضُعِهِ ﷺ ص : 77، 78، 79».

(3*) أقصد المدينة المنورة .

الكريمﷺفي فَتْحِ مكة ، حين أطْلَقَ تلك الصَّيحة المدويَّة الّتي جمع بها شتات العرب : «...اذهبوا فأنتم الطُّلقاء » ؛الْحَدِيثَ .[1] في عفْوٍ و تسامحٍ قَلّ مِنه المثل والنَّظير ، عفا عنْ قدرة ،وعون واعتذار و تسامح بكرمٍ مع من نبذوه و آذوه بالقول والكيد والتَّدبير. فَعِش أخي المسلم بالسَّماحة والصَّدر الرَّحب ، و عش بالإيمانِ ، و بالحبِّ ، والأمل وعش بالمجاهدة والكفاح ، وقَدِّر قيمةَ الحياةِ تظفر بالنّجاحِ .

– أمَّا الباعث الذي دفعني إلى الإدْلاَءِ بِهَذَا الانْطِبَاعِ فهو كثرة تألُّمي و أسفي على مزارع أتلفت، ومؤسَّسات خُرِّبت، وَمَسَاجِد يُذْكَرُ فِيــهَا اِسْمُ الله هُدِّمَتْ ، وبيوت دُمِّرت ، وحرمات انتُهكت، وبلدان وأوطان قُصفت ،و دماء سُفكت، وأرواح أُزهقت،وأطفال يُتِّمُوا ،ونساء رُمِّلت،و أمهات ثُكِلَت، و أنفس بريئة بلا ذنب قتلت؟! إنّها نيران الفتن الّتي عمَّت كلّ بلاد المسلمين وأرادوها جاهليَّة، يضرب بعضهم رقاب بعض، إلى متى .. إذا كبَّر هؤلاء ... كبَّر هؤلاء؟ .. و إذا هلَّل هؤلاء ... هلَّل هؤلاء؟ – تحسبهم جميعًا وهم على طرفيّ نقيض – أقول : يا معشر المسلمين مَن للنِّساء إذا رُمِّلْنَ ؟ و من للأولاد إذا يُتِّمُوا ؟ و من للأمَّهات إذا ثُكِلْنَ ؟ من للدِّين و الأعراض ؟... الله الله الله يا معشر المسلمين الأمان الأمان الأمان يا أمان الخائفين ... وفي التمهيد بيان لذلك.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرُّوم: ٤١].

(1) [النسائي (10 / 134)] .للاستزادة انظر : « باب العفو عند المقدرة من هذا الكتاب الذي بين يديك ».

إنَّ إشكالية هذا الكتاب هي هل يستطيع شخصٌ أن يزيّن لك سوءَ العمل فيقودك إلى الفتنة أو يزعجك، أو يؤثِّر على حالتك النَّفسيَّة سلبًا فيجعلك كالذي استهوته الشَّياطينُ في الأرض حيران بالمقارنة إذا لَـمْ تسمح له أنت؟!(انظر : الفَصْلُ الثاني : من هذا الكتاب) .

وأما فصول هذا الكتاب فهي على النحو التالي :

ـ الفصل الأول: في معنى التسامح ومقاصده وفوائده.

ـ الفصل الثاني: أضرار الغضب أشدُّ خطراً من أسبابه.

ـ الفصل الثالث: التسامح وسيلة وغاية.

ـ الفصل الرابع: التسامح حياة، وفيه حديث عن الطرق التِّي توجه انتباهك وتركز فكرك في الأشياء الجميلة في حياتك .

ـ الفصل الخامس: التَّسامح وتطبيقاتُهُ .

... أخي هذه الدُّنيا وَعْرَة الدُّرُوب والمَسَالك، والشَّيطانُ بالمرصادِ يدعو إلى المهالك، والنَّفسُ بطبعها خوَّارة في تلك المعارك، والدَّليل للسَّالكِ موجود، والفوزُ للمُسْتَمسِك به موعود، وقد جمعتُ لكَ من كتاب الله –حبل النجاة – ما فيه الوقاية والعلاج، وجئتك من الأحاديث بما يوضِّحُ المنهاجَ، ويقوِّمُ النَّفسَ من كلِّ خَطَلٍ واعوجاج. فأحسن استعمال الحِمْيَة والدَّواء، تجد بحول الله النَّقاهة والشِّفاء :

«وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا *** وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ ».[1]

وإذْ يعترف الْمَرْء بفضل سابقيه على دروب المعرفة ، من السَّاعين في بذر التّوحيد والخير والإصلاح والمغفرةِ، من مَشَايِخِنَا العامِلِينَ المتواصين بالصّبر والمرحمة ،فإنَّه يعتذر عمّا

(1) من كلام أبي ذُؤَيْبٍ انظر:« لسان العرب»،(البحر الكامل).

يتراءى في هذا الكتاب من نقص أو تقصير، أو ضيْق باعٍ في التَّحليل والتَّفسير، ولله الواحد وحده الكمال ، والأمَل بعد ذلك معقود على جهد جَوَاهِرِالرِّجَال ، ممَّن يسعون في بثِّ كلمة التّوحيد في مشارق الأرض ومغاربها، وبذر الخير والصَّلاح والفلاح بين النّاس في مناكبها، و بالتَّالي أدعوكم أن تتناولوا معي –إخواني– فصول هذا الكتاب ،والله الموفّق و هو يهدي إلى سبيل الصّواب.

وكما يقال في المثل :"مَنْ أَلَّفَ فَقَدِ اسْتَهْدَفَ " "فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدِ اسْتَعْطَفَ " "وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدِ اسْتَقْذَفَ "ولكنّ حسن النِّية إن شاء الله يشفع لي عند ذوي القلوب السَّليمة ،ومع ذلك:

(فَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ❊❊❊ كَفَى الـمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ)[1].

و إنِّي أسأل اللهَ الكريم رَبَّ العرشِ العظيم حسن التَّوفيق، و أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وزادًا للوقوف بين يديه ، و عتادًا ليوم العرض عليه ، و أن يجعله لي ذُخراً و رحمةً يوم القيامة :﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشُّعَرَاء: ٨٨ ، ٨٩] ، ...لا تنسونا من دعائكم أحياءً و أمواتًا :

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[القَصَصْ: ٢٤] ...الآية.

❊ ❊ ❊

(1)... (البحر الطّويل).

التمهيد :

لقد أشار ديننَا الحنيف ، وحثّنا كثيرا على تركِ الغضبِ : « لاَ تَغْضَبْ... »[1]، الْـحَدِيث.

وَنَهَانَا عَن الفُرقة و التَفرُّقِ فقال اللهُ تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٥]،و أمرنا بالصَّفح حين قال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾[الحِجْر: ٨٥]،كما أوصانا بالصَّبر أيضًا، فقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[البَقَرَة: ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عِمْرَان : ٢٠٠] ، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[2]،كما أمرنا بتجنب الكذب و الغيبة فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الحُجرَات: ١٢].

---

(1) (صحيح): أخرجه البخاري في : 78 - كِتَابُ الأَدَب : 76 - بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَب لِقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٣٤]، وَ قَوْلِهِ - عَزَّ وَ جَلَّ - : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الشُّورَى: ٣٧] . [رقم (6116)، التِّرْمِذِيّ (2020)].

(2) [العَصر: ١ - ٣] ... الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ١٥٣ - ١٥٧] - [البَقَرَة: ١٧٧] - [آل عِمْرَان: ١٤٢] - [آل عِمْرَان: ١٤٦] - [الأَنْفَال: ٤٦] - [يُونس: ١٠٩] - [هُود: ٩ - ١١] - [هُود: ١١٥] - [يُوسُف: ٩٠] - [الرَّعْد: ٢٢ - ٢٤] - [النَّحْل: ٤١، ٤٢] - [النَّحْل: ٩٦] - [النَّحْل: ١٢٥ - ١٢٨] - [الكَهْف: ٢٨] - [لقْمَان: ١٦، ١٧] - [الأَحْزَاب: ٣٥، ٣٦] - [الزُّمَر: ١٠] - [الأَحْقَاف: ٣٥] - [الإِنْسَان: ١٢ - ٢٥].

ونهانا الله ـ عزّ وجلّ ـ عن الفساد بجميع أنواعه قولاً وفعلاً ،وأمرنا بالسِّلم العامة(*1)

وَ لْتكُنْ عضواً صالحاً في أمة الإسلام ،يا أَخا الإسلامِ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤ - ٢٠٩]،

وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأَنْفَال: ٦١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يُونسْ: ٢٥](*2).

..... و الحكمةُ من ذلك قطع الطرق الّتي تُؤَدِّي إلى الفتنة.

كان للفضائل و الأخلاق و الآداب و العبادات و المعاملات الحظُّ الأوفر من مؤلّفات علمائنا و فضلائنا السَّابقين . وأعجبنا بما فيها من الخير الكثير من مشايخنا جزاهم الله عنَّا كلَّ خيرٍ، ولسنا نُنْكِرُ فضل أحدٍ نشدَ الخير للنّاس ، واجتهد في إنارة السُّبل أمامهم و نذكر منها :

ـ إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ لحجَّة الإسلام الإمام أبي حَامِد محمَّد بنْ محمَّد بن محمد الغزالي .

ـ وكتاب خُلقُ المسلم .... للشيخ محمد الغزالي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –.

(*1) لقوله – عزّ و جلّ – : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾ [الأَنْفَال: ٦١] ... الآية.

﴿ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾ مؤنث.

(*2) الآيات في ذلك : [النِّسَاء: ٩٢ - ٩٤] - [المَائِدَة: ٢٧ - ٣٢] ...

ـ وكتاب إصلاح ذات البين أفضل من درجة الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة... للشيخ علي الجاموس .

ـ وكتاب خلق المسلم والمسلمة ..... للدكتور عمـر عبد الكافي .

ـ وكتاب الحنين لأخلاق المسلمين ....للشيخ عبد المنعم الهاشمي .

ـ وكتاب منهاج المسلم .. للشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

هذا :(بيد أننا نُذَكِّر وننصح ونُحَذِّر * من فتنة العدوّ المُدمِّرْ)

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٥](*1).

ومما يؤكّد فتنة الشَّيطان و تحريشه بين المسلمين ما أخرجه مسلم من قول رسول اللهﷺ:« إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الـمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ. وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ »(2).

فما السَّبيل؟ و من يذكرنا بأنَّنا أمَّة واحدة، أَمَا آنَ لَنَا الأَوَانُ لإطفاء نِيرَانِنَا المتأجّجة؟

لا لِلفتنة لا لِلفتنة ...لا لِسفك الدِّماء ، لا لقتل الصِّبيان والأبرياء ، لا لِلحزن لا لِلحزن ...إنَّ الحزنَ دولةٌ لا تعيش فيها سوى الدّموعُ ؟ والحزنُ دولةُ الدّموعِ ؟فلنتحد جميعاً ضدَّ الفتنةِ .

وبالجملة إنَّ هذه الفتنة عمَّت بلادَ المسلمين وجعلتها جاهلية يُقاتل بعضُهَا بعضاً

أليس الله – عزَّ وجلّ – القائل:﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾ [البَقَرَة: ١٩١]

(1*)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾[النِّسَاء: ٨٢]

الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ٢٦٩] –[آل عِمْرَان:٧] –[قٓ: ٤٥] –[الطُّور:٢٩] –[الأعْلى: ٩-١٥]–[الغَاشِيَة: ٢١-٢٦] .....

(2) أخرجه مسلم في : 50- كِتَاب صِفَةِ القِيَامَةِ و الجَنَّةِ و النَّارِ : 16- بَاب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَ بَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ ، وَ أَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا .[رقم (2812)، أحمد (3/ 313:14373)،و النووي (16/ 85)] ، وانظر :[«السلسلة الصحيحة »(1608)]باب : الإيمان والتوحيد والدين والقدر .

أليس الله – عزَّ وجلّ – القائل: ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧]

والقائل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البُرُوج: ١٠]

ألـم يقل النّبيّ ﷺ :فِيمَا رَوَاهُ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» .(1)

وَ ما رَوَاهُ جَرِيرٌ من أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» ، فَقَالَ: « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» .(2)

وَ ما رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «وَيْلَكُمْ» أَوْ «وَيْحَكُمْ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».(3)

وَما رواه أَبو بَكْرَةَ ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ : «[الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ،السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا؛ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ :ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ؛ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» . قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ ؟» .قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» . قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ،فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ : «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ الحَرَام؟» . قُلْنَا: بَلَى، قَالَ : «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟» .قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ

---

(1)(صحيح ،متفق عليه):أخرجه البخاري في:02 – كتاب الإيمان : 36 –بَابُ خَوْفِ الـمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

[رقم(48)، مسلم (64)،و أحمد (1/ 176و178و385)، و النووي (2/ 241 –242)،و التِّرْمِذِيّ (2635)].وانظر:[«السلسلة الصحيحة » (3947)]باب الأخلاق والبر والصلة .

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:03 – كتاب العلم : 43 –بَابُ الإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ. [رقم(121)، مسلم (65) وأحمد (4/ 358:19188 ..)].

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78 – كتاب الأدب : 95 –بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ : وَيْلَكَ. [رقم(6166)، مسلم (66)، و النووي (2/ 243)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 32 ، محمّد فؤاد عبْد البَاقي)، باب بيان النَّبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كُفر] .

أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟». قُلْنَا: بَلَى قَالَ: « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ- قَالَ أبو بكرة :وَأَحْسِبُهُ قَالَ : - وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ،فِي شَهْرِكُمْ هَذَا؛ وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ». [فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ :صَدَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ ثُمَّ قَالَ: « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟». مَرَّتَيْنِ]. (1)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» . (2)

ولنَنْظُرَ إلى فتنة وَقَعَتْ بين الأَوسِ والخزرجِ ، ولما عَلِمَ بها النّبيُّ ﷺ ماذا صنع؟ تعالوا، لنستمع لطبيب الأرواح وهو يعالجُ المرضَ لنَسِيرَ عَلَى نور هديه ﷺ.

"روى الطبراني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : كَانَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَيَّيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ ذَلِكَ ، فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ قُعُودٌ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ إِذْ تَمَثَّلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ بِبَيْتِ شِعْرٍ فِيهِ هِجَاءٌ لِلْخَزْرَجِ وَتَمَثَّلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ بِبَيْتِ شِعْرٍ فِيهِ هِجَاءٌ لِلْأَوْسِ ، فَلَمْ يَزَالُوا هَذَا يَتَمَثَّلُ بِبَيْتٍ وَهَذَا يَتَمَثَّلُ بِبَيْتٍ حَتَّى وَثَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَأَخَذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ، وَانْطَلَقُوا لِلْقِتَالِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، فَجَاءَ مُسْرِعًا قَدْ حَسَرَ عن سَاقَيْهِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ نَادَاهُمْ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢]

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:64 - كتاب المغازي : 77- بَابُ حَجَّةِ الْوَدَاعِ. [رقم(4406)، مسلم (1679) ، و أحمد (5/ 37: 20408 و 20409..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 348 ، 349، محمّد فؤاد عبْد البَاقي)، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال].

(2) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ راجع رقم: 2341، وَالدَّارَقُطْنِيّ رقم:4/ 228،و أحمد (1/ 313 : 2867..)، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ 2/ 746 فِي "الْـمُـوَطَّإِ" عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنِ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَاتِ ، فَوَحَّشُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ ، فَرَمَوْا بِهَا ، وَاعْتَنَقَ* بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَبْكُونَ".(1)

وهذه القصة تفيدنا في سرعة المبادرة في الإصلاح. وقد أمرنا الله – عزَّ وجلّ – بالإصلاح (*2) فقال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١] ، وقال أيضاً: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠ ﴾ [الحُجرَات: ٩ ، ١٠].

ويبقى الجهد الأكبر على عاتقنا جميعاً ، دعاةً مؤلِّفين ، وناشرين موزِّعين، وقُرَّاء مستوعبين و عاملين .علينا إذن أن نتعاون(*3) في بذر الاتِّحاد والخير والإصلاح ، وبثّ الطُّمأنينة وإبراز مَعَالم الفَلاح . ونكرِّر المرّة بعد المرّة بالكلام الطَّيِّب والتّضرّع إلى الله – عزّ وجلّ – و نعتقد (*4)ونوقِن بأنّ الله لا يضيع أجر المصلحين .

* * *

* و اعتنق : أي و عانق .

(1) المعجم الصغير للطبراني ، باب العين ، من اسمه عبد الله ، الجزء 1 ، الصفحة 217، قال:حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزٍ الْمَوْصِلِيُّ بِبَغْدَاد ، حَدَّثَنَا غَسَّانُ بْنُ الرَّبِيعِ ، حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ عَبْدَةَ ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ ، وَثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ .للاستزادة انظر إلى كتاب سيرة النبي ﷺ لابن هشام. «سيرة ابن هشام».

(2*)للمزيد انظر صفحات الإصلاح ذات البين من هذا الكتاب .

(3*)علينا إذن أن نتعاون ..... لقوله تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[المـائدة: ٢]... الآية.

وَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ...» إلى آخر الحديث .

أخرجه التِّرْمِذِيُّ في : 37 – كتاب العلم عن رسول الله ﷺ :14 – بَاب مَا جَاءَ الدَّالُّ عَلى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ . [رقم (2670)].وَ قَالَ : « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ».

و لبعض الشُّعَراء في التعاون : و كُنْ على الدّهرِ مِعْوَانًا لذي أملٍ *** يرجو نَداكَ فإنّ الحُرَّ مِعْوانُ.

قصيدة لشاعر الحكمة «أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي».

و جاء في الأمثال الشعبية : كل موزّع بين الرّجَالْ خَفِيف.

(4*)و نعتقد : الإعتقاد هو الجزم و في المثل << اعتقِد و لا تنتقد>>.

" الإصلاح بين الناس يتناول ما يأتي :

الإصلاح بين طائفتين أو حزْبين أو أُسرتين .

« الزّوجين ».

« فردين متخاصمين ».

و يراعى في المصلح :

(1) أن يَعْدِل بين المتخاصمين .

(2) أن يكون الإخلاص باعثه على الإصلاح.

(3) أن تكون له مكانة عند المتنازعين .

(4) الانضمام إلى المظلوم إذا أبى الظالـم الصُّلحَ.

و الإصلاح بين النّاس يثمر ما يأتي:

(1) إحلالَ الألفة مكان الفرقة، و استئصال داء النِّزاع قبل أن يستفحل .

(2) حَقنَ الدِّماء الّتي تراق بين الطَّوائف المتنازعة.

(3) توفيرَ الأموال الّتي تنفق للمحامين بالحقِّ أو بالباطل، وتوفير الرُّسوم،والنفقات الأخرى.

(4) تجنُّبَ إنكارِ الحقائق التي تجرّ إليها الخصومات و ترك شهادة الزّور الّتي تَنْفقُ سوقُها في دور القضاء.

(5) تجنُّبَ المشاجرات و الاعتداء على الحقوق التي قلَّما يسلم منها متخاصمان.

(6) تفرُّغَ النُّفوس للمصالح بدلَ كَدِّهَا و انْهـمَاكِهَا في الكيْدِ للخصوم.

(7) رحمةَ الله لِعباده و أجره العظيم للمصلحين و المتصالحين، إلى غير ذلك."[1]

❊ ❊ ❊

(1) إصْلاحُ الوعْظِ الدّينيّ للأستاذ محمد بن عبد العزيز الخولي، المكتبة التجَارية الكبرى بمصر ص.ب 578، 1388هـ، 1969م، ط: 7، ص 74، 75.

الفصل الأول :

في معنى التسامح ومقاصده وفوائده

وما يسعنا إلا الرجوع إلى :

كتاب الله – عزّ وجلّ – ، فنتخذ منه حكمًا عادلاً ؛ وإلى عقولنا ومصلحتنا عَلَّنَا نجد فيها رادعًا.

1 -مفهوم التّسامح

أولا : المعنى اللُّغوي

السَّماحة لغةً : ماضيه سمح «بالسِّين، والميم، والحاء: أصلٌ يدلُّ على السّلاسةِ والسّهولةِ»[1].

ويُقال أيضًا: سَمُحَ وأَسْمَحَ: إذا جاد وأعطى عن كرمٍ وسخاءٍ؛ لسهولة ذلك عليه.

قال الجوهري في «الصِّحاح»: «السَّماحُ والسَّماحَةُ: الجود، وسَمَحَ به: أي جَادَ به، وسَمَحَ لي: أعطاني، وما كان سَمْحًا..، والمُسامحةُ: المُساهلة، وتسامحوا: تساهلوا».

ثانيا : المعنى الاصطلاحي :

السَّماحة في الاصطلاح تقال على وجهين:

الوجه الأول :السماحة هي :الجودُ عن كرمٍ وسخاءٍ.

الوجه الثاني:التَّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها والَّتي تتجلَّى في التَّيسير وعدمِ القهر. وسماحةُ المسلمين تبدُو في تعاملاتهم المختلفة، سواء مع بعضهم بَعْضًا، أو مع غيرهم من أصحاب الدِّيانات الأُخرى.

و في لغةِ المعاصرين شَاعَ التَّسامحُ بمعنى العفو و الصّفح ، حَتَّى غَدا لَهُ معنى متعارف عليه اجتماعِيًّا و ثقافِيًّا وسياسِيًّا .

ومن الأقوال الحكيمة في التَّسامح :

قول عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: إذا سمعت الكلمةَ تؤذيك ، فطأْطِئْ لها حتى تتخطاك .

وقول الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- :

---

(1) انظر : «معجم مقايس اللّغة».

وَعاشِرْ بمَعْروفٍ ، وَ سَامِحْ مَنِ اعْتدَى *** وَدَافِعْ ولَكِنْ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ [1].

وقول أبي قلابة الجرمي : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه ، فالتمس له العذر جهدك ، فإن لم تجد له عذراً ، فقل : لعل له عُذْرًا لا أعلمهُ [2*].

ومن فوائد السماحة الّتِي يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَالمَلائِكَةُ الـمُقَرَّبُونَ.

مَا يُفيـضُهُ اللهُ – عزَّ وجلّ – عَلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ لِتكُونَ لَـهُمْ عَلَامَةً مُـمَيزَةً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قَالَ ٱللَّهُ تَعَـالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحَدِيد: ١٢].

- السَّمْحُ مَحْبُوبٌ لَدَى أَهْلِهِ ومُجْتَمَعِهِ في معاشرته وصحبته.
- السَّمَاحَةُ فِي البَيْعِ والشِّرَاءِ بَابٌ عَظِيمٌ، لِكَسْبِ وَتَكْثِيرِ الرِّزْقِ الكَرِيمِ .
- السَّمَاحَةُ تَجْلِبُ التَّيْسيرَ فِي كُلِّ الأُمُورِ، وتَجْلِبُ الانْشِراحَ لِلْصُدور .
- بالسَّمَاحَةِ يَغْنَمُ الإِنْسَانُ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ السَّعَادَةِ وَهَنَاءَةِ الْعَيْشِ ، ويَتَجَنَّب الهوَى وَالطَّيْش.
- يَجْلِبُ سَمْحُ النَّفْسِ الخَيْرَ الدُّنْيَوِيّ حَيْثُ يَمِيلُ النَّاسُ إِلَى التَّعَامُلِ مَعَهُ فَيَكْثُرُ عَلَيْهِ الخَيْرُ بِكَثْرَةِ مُحِبِّيهِ وَالْمُتَعَامِلِينَ مَعَهُ. [3]
- السَّمَاحَةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى تَجْلِبُ لَهُمُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالأَمْنَ فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلى حُبِّهِم لِلْمُتَسَامِحِينَ مَعَهُمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ ثُمَّ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ ،الَّذِي يُقِرُّ مَبْدَأَ

(1) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 139 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(الطّـويـل).

(2*) و من الأعذار مالا يذكر .

(3) اقتبسنا هاتين الفائدتين من –الأخلاق الإسلامية للميداني – 2/ 460.

التَّسَامُحِ مَعَ الآخَرِينَ ،و في تاريخنا الإسلامي و موروثنا الحضاري ما يدلّ على ذلك و أكبر شاهدٍ على ذلك الفُتُوحات الإِسْلاَمِيَّةِ.[1]

❊ ❊ ❊

(1) انظر أثر سماحة الإسلام في نفوس أهل البلاد المفتوحة ص (2288).

وانظر الموسوعة في سماحة الإسلام (1/ 425-442) باختصار ،وانظر تاريخ إفريقيا وآسيا.

وانظر الأخلاق الإسلامية للميداني (2/ 471) باختصار .

للاستزادة : انظر صفات تكريم الإنسان : التيسير –الجود –السخاء –الكرم –المروءة –اللين –المواساة –الإحسان –الصفح –الشهامة .

وانظر موسوعة نضرة النعيم في أخلاق المصطفى الكريم ﷺ الّتي فتح بها القلوب ومازالت تفتح وتفتح القلوب فيكون ذلك الفتح سبب دخولهم في الإسلام .

حسن الظّنّ

1ـ قبل البدء : تأمّل و تدبّر هذه الآيات العظيمة :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النُّور: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحُجُرَات: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾.(1)

وَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ الله عَزَّ وَ جَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ... ﴾ [إبْرَاهِيم: ٣٦] الآية. وقَالَ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المَائِدَة: ١١٨] ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: « اللَّهُمَّ !أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى. فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: **يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟** فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَسَأَلَهُ. فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ الله - عَزَّ وَ جَلَّ -: « **يَا جِبْرِيلُ ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلاَ نَسُوؤُكَ** »(2).

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ :

مَـــنْ نَالَ مِنِّي أَو عَلِقْتُ بِذِمّتِهْ *** أَبْـــرأْتُـهُ للـه شَـاكِرَ مِنَّتِهْ

---

(1) [الحُجُرَات: ١٢] ... الآيات في ذلك : [المَائِدَة: ١١٨] -[التَّوْبَة: ٥١] -[التَّوْبَة: ١٠٠] -[التَّوْبَة: ١١٧ ، ١١٨] -[يُوسُف: ٨٧-٩٦] -[إبْرَاهِيم: ٣٦] -[إبْرَاهِيم: ٣٧ -٤١] -[غَافِر: ٧] -[الحَشْر: ٩ ، ١٠] -[نُوح: ٢٨] ...

(2) أخرجه مسلم في: 1 - كِتاب الإِيمَانِ: 87 - بَاب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّتِهِ وَ بُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ. [رقم (202)، و النووي (3/ 437، 438)].

فقال: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبدِ الأَعْلَى الصَّدَفِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ: أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ. عَنْ عَبدِ الله بْنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ ، به.

أَأُرَى مُعَوِّقَ مؤمِنٍ يومَ الْـجَزَا ❊❊❊ أَوْ أنْ أسُوءَ محمّداً في أُمَّتِهْ.[1]

" و قد نهى الله تعالى عن كثير من سوء الظنّ بالمؤمنين .فقال تعالى:﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2] وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة ، وكظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرَّمة ، فإنَّ بقاء ظن السوء بالقلب ، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك ، بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي،ويفعل ما لا ينبغي.وفي ذلك أيضاً إساءة الظن بالمسلم ، وبغضه وعداوته ،وهو المأمور بخلاف ذلك منه ."[3] قال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - : « ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ : الطِّيَرَةُ ، وَالظَّنُّ ، وَالْحَسَدُ . فَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا تَرْجِعْ ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تَحَقَّقْ»[4] ، وَ قَال ﷺ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا ،وَلَا تَبَاغَضُوا ،وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».[5]

و قال علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:"لا تظنن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءاً،وأنت تجد لها في الخير محتملاً"،و قال أيضاً :" ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن ."[6]

---

(1) دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 42 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)، (الكامل) .

(2) [الحُجرَات: ١٢].

(3) تَفْسِير العلاَّمة الشَّيخ عبد الرّحمن بْن نَاصِر السَّعديْ لجزء من الآية الكريمة [12] من سورة [الحُجرَات] .

(4) أخرجه ابن حجر العسقلاني من حديث إِسْمَاعِيل بن أُمَيَّة في فتح الباري الصفحة / 224 / 10، [رقم (13572)،العراقي (13483)].

(5) (صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 78 – كتاب الأدب: 58 – باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الحُجُرَات:١٢]. [رقم(6724) ، مسلم (2563)، أحمد (2/ 342: 8542..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 553 محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البِرِّ والصِّلة والآداب ، بَاب تَحْرِيمِ الظَّنِّ والتَّجَسّسِ والتَّنَافُسِ و التَّنَاجُشِ ونَحْوِهَا] .

(6) من كَلام الصحابي الجليل عَليّ بْن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (ص: 378 محمد رضا).

و روى«ابن كثير» "عن أميرِ المُؤمنين عُمَرَ بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال :و لا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خَرَجت من أخيك المُسلِم إلا خيراً ،و أنت تَجِدُ لها في الخير مَحمَلاً.

وقال أيضا : لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بحسن ظنّه" .(1)

وَ قَالَ بَعْضُ الْـحُكَمَاءِ : " لاَ يُفْسِدُكَ الظَّنُّ عَلَى صَدِيقٍ أَصْلَحَك الْيَقِينُ لَهُ".(2)

و قال أحدهم : "حسن الظنّ فطنة ❋ و سوء الظنّ فتنة ".

والأجمل أن ندرك الأمور على حقائقها ونحسن الظنّ بالله وخلقه لأنَّ حسن الظنّ من حسن العبادة . فَلِينُ الجانب ، و ألفة الصَّاحب ،و الملاطفة في الأقوال و الأفعال و الحال ، و فعل الخيرات و ترك المنكرات ،وبذل الندى، واحتمال الأذى ، وبذل الجميل ،وكف القبيح، وحسن الشمائل ،والتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل،أخلاق حسنة يجمعها كلها :حسن الظّنّ .

وصاحب حسن الظّنّ له نعيم في شقاء، وعِز في ذل ، وغِنى في فقر ، وصبر في بلاء ، و سلوة في عناء (3❋)، و حسن عزاء ، وله يقينٌ وإيمانٌ معلومٌ ظاهرٌ ،يدفع عنه كل الظُّنُون الباطلة ، ما حاك في الصدر منها و كبر فاستراح إليه،وسوّلت له النفس أمرًا وصبت إليه ، ولو لا أنَّ حسن الظَّنّ غَطَّى ذلك ، وعقله كان لعلمه مُصَاحبًا ، وإيمانه كان لِنَفسه قَائِدًا، وعمله كان لِنفسه سَائِقًا و لِعلمه مُصَدِّقًا و لِغيره قدوةً ، لكانوا : جميعًا من الخاسرين .

(1)انظر : تَفْسير العالم الفقيه المفتي المحدث الحافظ ابن كثير للآية الكريمة [12]، من سورة [الحُجُرَات].

(2)أدب الدّنيا و الدّين : 478.

(3❋)و سلوة في عناء : وَ قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ فِي نَائِبَةٍ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : « بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ : خَيْرٌ مَنْشُورٌ وَ ضرٌّ مَسْتُورٌ . - فسبحانك اللّهمّ يا من أظهرت الجميل و سترت القبيح -أدب الدّنيا و الدّين : 406.

وصاحب حسن الظَّنّ يعيش الفرح قبل وقوعه [1*].

... إن تحديد المفهوم الحقيقي للتسامح و إدراكه هو العامل الأساسي و الوحيد لإيصال حقيقة التسامح نحو الهدف المرجو منها و هو الوصول إلى حالة وجدانية تَنِمُّ عن رضى جميع الأطراف الّتي بينها خلاف .إننا قد نَنْفَعِلُ لأتفه الأسباب ،و نغضب أحيانًا دونَ مبرر، ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2] و نقلق من الآتي أحيانا، و نتوجَّس خيفة من اللاَّشيء أحيانًا أخرى ..."... فَلاَ تَتَعَجَّلْ هَمَّ مَا لَـمْ يَأْتِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْـهُمُومِ كَاذِبَةٌ، وَ إِنَّ الْأَغْلَبَ مِنَ الْخَوْفِ مَدْفُوعٌ .

وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى يَوْمِك هَمَّ غَدِك ، فَحَسْبُ كُلِّ يَوْمٍ هَـمُّـهُ .

وَ أَنْشَدَ الْـجَاحِظُ لِحَارِثَةَ بْنِ زَيْدٍ :

إِذَا الـهَمُّ أَمْسَى وَ هُوَ دَاءٌ فَأَمْضِهِ *** وَ لَسْتَ بِمُمْضِيهِ وَ أَنْتَ تُعَادِلُـهْ

وَ لَا يَنْزِلَنَّ أَمْرُ الشَّدِيدَةِ بِامْرِئٍ *** إِذَا هَمَّ أَمْـرٌ أَعْـوَقَتْـهُ عَوَاذِلُـهْ

وَ قُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ تَجِدْ بِك ثَـوْرَةً *** مِنَ الرَّوْعِ فَافْرح أَكْثَرُ الْـهَمِّ بَاطِلُهْ

و أنشد عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ :

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ رَبَّـكَ لَيْسَ تُحْصَى *** أَيَـادِيهِ الْـحَدِيثَـةُ وَ الْـقَدِيمَهْ

تَسَلَّ عَنِ الْـهُمُومِ فَلَيْسَ شَيْءٌ *** يَقُومُ وَ لَا هُمُومُكَ بِالْـمُقِيمَهْ

لَعَـلَّ اللهَ يَنْـظُـرُ بَعْـدَ هَـذَا *** إِلَيْـك بِنَـظْرَةٍ مِنْـهُ رَحِيمَـهْ "[3]

(1*)قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[يُوسُف: ٨٣]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[يُوسُف: ٩٦].

(2)[الحُجُرَات: ١٢].

(3) للاستزادة انظر : أدب الدّنيا و الدّين الْفَصْلُ الثَّانِي فِي الصَّبْرِ وَ الجَزَعِ ص : 400-405،(البحر الوافر).

وفي هذا يقول الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

سَهِرَتْ أَعْـيُنٌ ، وَنَامـَتْ عُيونُ *** في أُمُورٍ تَكُــونُ أَوْ لا تَكـونُ

فَادْرَإِ الهمَّ مَا اسْتَطَعتَ عَنِ النَّفْـ *** ـسِ فَحُمْلانُكَ الهُمومَ جُنونُ

إِنَّ رَبًّــا كَـفَاكَ بِالأَمْـسِ مَـا كَا *** نَ سَيَكْفِيكَ في غَدٍ مَا يَكونُ[1]

و قال آخر:

"هَوِّنِ الأَمْرَ تَعِشْ فِي رَاحَةٍ *** قَلَّ مَا هَوَّنْــتَ إِلَّا سَيَهُــونُ"[2].

إننا في كثير من الأحيان نتطلع إلى أشياء فوق طاقاتنا و إمكاناتنا ، مما يحدث فوضى في التفكير ، وتخبطا في الخطاب والتعبير ، وتعثرا في السلوك والمسير .

إن إدراك حقيقة إمكاناتنا و إدراكنا لذواتنا و معرفة نقاط القوة و الضعف فينا يجعلنا نبني سلامًا مع أنفسنا أولاً ، لأنَّ هذا وحده هو الذي يصنعُ فينا الطمأنينة و السكينة، و يجعلنا نتعامل بإيجابية مع محيطنا ثانيا .و واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا الحريري – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – بقوله :

" فَانْظُرْ إِلَى أَخِيكَ نَظْرَ الـمُحْسِنِ *** وَ أَحْسِنِ الظَّنَّ بِهِ وَ حَسِّنِ

وَ إِن تَـجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَلَلاَ *** فَجَلَّ مَنْ لاعَيْبَ فِيهِ وَ عَلاَ "[3].

و قول أبي نواس :

...لَـمْ أُؤَاخِذْكَ إِذْ جَنَيْتَ لِأَنِّي *** وَاثِقٌ مِنْكَ بِالإِخَاءِ الصَّحِيحِ

فَجَمِيلُ الْعَدُوِّ غَيْرُ جَـمِيـلٍ *** وَ قَبِيحُ الصَّدِيقِ غَيْرُ قَبِيحِ .[4]

* * *

(1)دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:139 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(الخفيف).

(2)أدب الدّنيا و الدّين :410.

(3).....(بحر الرجز).

(4)من كلام أبي نُوَاس ، انظر : أَدَب الدُّنْيا و الدِّين : 478، (البحر الخفيف).

تشخيص الدّاء واللجوء إلى الدّواء:

إِنَّ أية أمّةٍ لا تُشيعُ ثقافةَ التسامح بينَ أفرادها و لا تشجع على ذلك : فئة قدْ تُوُدِّع منها، هي فئة تنتحر قبل أن ينال منها عدوها فتكون هي وعدوُّها على نفسها وربما ساعدها على هذه الأوضاع حثالة من الخفافيش التي لا تعيش إلا في الظَّلامِ ،أو عصابة كالطفيليات التي لا يروقُها العيشُ إِلَّا في المستنقعات و الأوديةِ ،فقد أوقد هؤلاء نارَ الفتنِ بين المسلمين و بين الأصدقاء و العائلات و الأرحام ، بين الجيران وَ بين الأسرِ، و المؤسسات ، و البلديات و بين الدوائر، و الولايات، بين الدول، و القارات ، .....الخ و أرادوها جاهلية يُقَاتل بَعْضُها بَعْضـاً.

و في الحديث الذِّي رواه مسلمٌ عن جابر بن عبد الله الأنصاري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، أن رسول الله ﷺ قال:« إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يئس أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ رضي بالتَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ »[1].

و نحن نقول بدورنا هذه أُخُوَّتُنَا لا يشوبها تلبيس إبليس و لا غموض المنافقين من شياطين الإنس و لا يمكن لهذه الأمّة أن تَسْتَعِيدَ مَجدها، وتبني حضارتَها ،إِلَّا إِذَا رجعت إلى تنزيل العزيز الرحيم، الذي يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2] به نزل رُوحُ الْقُدُسِ الأمين، على قلب سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، الذي أرسله إلى الثقلين، بشيرا ونذيرا

(1) أخرجه مسلم في :50- كِتاب صِفَةِ القِيَامَةِ وَ الـجَنَّةِ وَ النَّار : 16 - بَاب تَحْرِيش الشَّيْطَانِ وَ بَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ ، وَ أَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا. [رقم : (2812)، و النووي (16/ 85)]، وانظر :[«السلسلة الصحيحة (1608)»باب :الإيمان والتوحيد والدين والقدر].

(2) [فُصِّلَت: ٤٢].

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[1] ليخرج العالمين من ظلمات الجهل والشرك والشر والقسوة و الانتقام ،إلى نور المعرفة والعلم وتوحيد الله الواحد الأحد [2*] وقد هدى خير الآنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام خلقا كثيرًا بتسامحه و لينه و رفقه.

و قد أنزل الله على رسوله نوراً مبيناً ، وتبياناً وتفصيلاً لِكل شيء وأحسن تفسيرًا ،وتذكرة لأولي الألباب تثبتهم على طريقه المستقيم.إنذارا و وعيداً وتخويفاً وتهديداً للكفار والمنافقين. وهدى ورحمة و بشرى وموعظة وذكرى وشفاء للمؤمنين .وفيما يلي من التنزيلِ بيانٌ لذلك وتفصيلٌ ، فقف عند هذه الآيات و تأمل و تدبر :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عِمْرَان: ٧]،

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسْرَاء: ٩]،وَقَالَ تَعَالَى:﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[3] .

---

(1)[الأحْزَاب :٤٦].

(2*) راجع صفحات: كيف نعيش إيجابيًا مع الحياة و نعالج نتائجها السلبية من هذا الكتاب صفات توحيد الله الواحد الأحد .

(3)[الأحْقَاف: ٣٠] ... الآيات في ذلك : [آل عِمْرَان: ٥٨]-[آل عِمْرَان: ١٣٨]-[النِّسَاء: ١٧٤]-[النِّسَاء: ١٧٥]-[الأعْرَاف: ١ ، ٢]-[الأعْرَاف: ٢٦]-[الأعْرَاف: ٥٢]-[الأعْرَاف: ٢٠٣]-[يُوسُف: ٣]-[يُوسُف: ١١١]-[الحِجْر: ٩]-[النّحْل: ٦٤]-[النّحْل: ٨٩]-[النّحْل: ١٠٢]-[الإسْرَاء: ١٠٥]-[الكَهْف: ٥٤]-[طه: ١١٣]-[الفُرْقَان: ١]-[الفُرْقَان: ٣٢ ، ٣٣]-[الفُرْقَان: ٥٠]-[الشُّعَرَاء: ١٩٢ - ١٩٦]-[النَّمْل: ١ ، ٢]-[النَّمْل: ٦]-[النَّمْل: ٧٦ ، ٧٧]-[لُقْمَان: ١ - ٣]-[السَّجْدَة: ١ ، ٢]-[سَبَإ: ٦]-[صٓ :٢٩]-[الزُّمَرْ: ١]-[الزُّمَرْ: ٢٣]-[الزُّمَرْ: ٢٧، ٢٨]-[غَافر: ١ ، ٢]-[فُصِّلَت: ١ - ٤]-[فُصِّلَت: ٤١ ، ٤٢]-[فُصِّلَت: ٤٤]-[الشُّورَى: ١٧]-[الزُّخْرُف: ١ - ٤]-[الدُّخَان: ١ - ٦]-[الجَاثِيَة: ٢٠]-[الأحْقَاف: ١ ، ٢]-[الأحْقَاف: ١٢]-[الحَدِيد: ٩]...

الآن حصحص الحق و أصبح من آكدِ الواجبات الرجوع من جديد إلى كلام الله – عزَّ وجلّ – إلى سفينةِ النَّجاةِ ،وخريطةِ النجاح في الحياةِ وبعد المماتِ.

قال التّرمذيّ : حدَّثنا عَبْدُ بنْ حُمَيْدٍ ، حدَّثنا حُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ الـجُعْفِيُّ قال : سمعتُ حَمْزَةَ الزَّيَّاتَ ، عن أَبي الـمُخْتَارِ الطَّائِيِّ ، عن ابنِ أَخي الْـحَارِثِ الأَعْوَرِ ، عن الحارِثِ قالَ : مَرَرْتُ فِي الـمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَـخوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيّ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الـمُؤْمِنِينَ ، أَلاَ تَرَى أَن النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ ؟قالَ : وقد فَعَلُوهَا ؟ قلْتُ : نَعَمْ ، قالَ : أَمَا إِني قد سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ »، فَقُلْتُ : مَا الـمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ الله ؟ قالَ : « كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كان قَبْلَكُمْ ،وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ،وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْـهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله ، وَمَنْ ابْتَغَى الـهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله ،وَهُوَ حَبْلُ الله الـمَتِينُ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْـحَكِيمُ ،وَهُوَ الصِّرَاطُ الـمُسْتَقِيمُ ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ، هُوَ الَّذِي لَـمْ تَنْتَهِ الْـجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ [الـجنّ : ١ ، ٢]، مَنْ قَالَ بِهِ صُدِّقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ » .[1]

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 42 – كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ : 14 / 14 – باب مَاجَاءَ فِي فَضْلِ القُرآنِ العظيم . [رقم (2906)، وَقَالَ : «هَذَا حَدِيثٌ لَانَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ ، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ . وَفِي الْحَارِثِ مَقَالٌ » . الدارمي (3374) ، أحمد (1 / 91 :704)].

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَنْ تَفَرَّدَ بِالْعِلْمِ لَـمْ تُوحِشْهُ خَلْوَةٌ ، وَمَنْ تَسَلَّى بِالْكُتُبِ لَـمْ تَفُتْهُ سَلْوَةٌ ، **وَمَنْ آنَسَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ لَـمْ تُوحِشْهُ مُفَارَقَةُ الْإِخْوَانِ**. أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينْ لأَبي الـحَسَن عَلِيّ بن محمَّد بْن حَبيب البصْرِيّ الْمَاوَرْدِيّ (ص106 تحقيق طه الشَّيْخ).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحُجُرَات: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[الصَّف: ٤].

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » [وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ] (1)، وفي الصحيحين عن النُّعْمَان بْنِ بَشِير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ ،تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». (2)

فإذا حصل بينهم خلافٌ وجب على العقلاء أن يسارعُوا إلى الصلح بينهم و بين إخوتِهم في الله قبل أن يَنْهَارَ هذا البُنيان ، و قد كان للصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- من باب الشَّفَاعةِ و الائتمارِ بأوامر الله و رسوله و امتثالِ ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحدٍ من الأُمَمِ و القُرونِ قبلهم، و لا يكون لأحدٍ من بعدِهِم، فإنَّهم ببركةِ الرسولِ ﷺ و طاعتِه فيما أمرَهُم فتَحُوا القلوبَ و الأقاليمَ شرقاً و غرباً في مدَّةٍ وجيزةٍ مع قلَّة عددهم مقارنةً بجيوش سائر الأقاليم من الروم و الفرس و البربر والأحباش إضافة إلى السودان و الأقباط. و طوائف بني آدم ، قهرُوا الجميعَ حتَّى عَلَت كلمةُ التوحيدِ لا إله إلا الله محمّد رسول الله.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ

(1)(صحيح ، متفق عليه): أخرجه البخاري في: 8 – كتاب الصلاة: 88 – بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي الـمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ.[رقم(481)، مسلم (2585)، و النووي (16/ 108)، و النسائي (2560)، و أحمد (4/ 405: 19644)، و التِّرْمِذِيّ (1928)].

(2) (صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 78 – كتاب الأدب: 27 –بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ.[رقم(6011)، مسلم (2586)، و النووي (16/ 108)]،وانظر: اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص: 557 محمد فؤاد عبد الباقي)، باب تَرَاحُمِ الـمُؤْمِنِينَ وتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ]، وانظر: [«السلسلة الصحيحة»، (1083)] باب الأدب و الاستئذان .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ [الفَتْح: ٢٩].

وفي هذا يقول الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- :

اللهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّـــــهِ *** وَبِنَا أَقَامَ دَعَائِمَ الإِسْـــلاَمِ

وَبِنَا أَعَزَّ نَبِيَّهُ وَكِتَابَـــــهُ *** وَأَعَزَّنَا بالنَّصْرِ و الإِقْـــدَامِ

وَيَزُورُنَا جِبْرِيلُ فِي أَبْيَاتِنَـــا *** بِفَرَائِضِ الإِسْلامِ والأَحْكَامِ

فَنَكُونُ أَوَّلَ مُسْتَحِـــلٍّ حِلَّـهُ *** وَمُحَرِّمٍ لله كُلَّ حَـــــــرَامِ

نَحْنُ الخِيَارُ مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّهَـا *** وَنِظَامُهَا وَنِظَامُ كُلِّ زِمَـــامِ

الخَائِضُونَ غِمَارَ كُلِّ كَرِيهَـــةٍ *** وَالضَامِنُونَ حَوادِثَ الأَيَّـــامِ

وَالْمُبْرِمُونَ قِوَى الأُمُورِ بِعِزَّةٍ *** وَالنَّاقِضُونَ مَرَائِرَ الإِبْـــرَامِ

فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ تطِيرُ سُيُوفُنَـا *** فِيهِ الجَمَاجِمَ عَنْ فِرَاخِ الهَـامِ

إِنَّا لَنَمْنَعُ مَنْ أَرَدْنَا مَنْعَـــهُ *** وَنَجُودُ بِالْمَعْرُوفِ لِلْمُعْتَـــامِ

وَتَرُدُّ عَادِيَةَ الخَمِيسِ*سُيُوفُنَا *** وَنُقِيمُ رَأْسَ الأَصْيَدِ**القَمْقَامِ*** [1]

و يقول شيخنا عطية مسعودي طيّب الله ثراه و جعل الجنّة مثواه في إحدى قصائده و هو يمدح الصحابةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- بأوصافهم :

فانظر و قارن بيننا و بينهم *** فأيــن نـحن يا أخي و أين هم

إلى أن قال :

ففتحوا عراقَــه و شامَــه *** حتّـــى غَدَوْا بين الأنام شامَهْ

* * *

* عادية الخميس: الخيل المغيرة من الجيش الجرّار.

** الأصْيد: المتكبّر المتعالي.

*** القمقام: السيد الكثير العطاء.

(1) ديوان الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، (ص 141، 142 عبد الرحمن المصطاوي)، (الكامل).

كيف لعابرِ السبيلِ أَنْ لا يكظمَ غيظَه ولا يعفوَ عمَّن ظلمه

وكيف له في كلِّ الظروفِ والأحوالِ ،أَنْ يغفلَ وينسى المعادَ والمآل ؟ :

"خُذْ مِن خليلك ما صفَا ** و دع الَّذي فيه الكدرْ

فالعمرُ أقصرُ من معا ** تبة الخليلِ على الغِيَرْ "[1].

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عِمْرَان : ١٨٥] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[2].

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ دِينَارٍ قَالَ لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِابْنِهِ :« يَا بُنَيَّ : كَيْفَ يَأْمَنُ النَّارَ مَنْ هُوَ وَارِدُهَا، وَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا مَنْ هُوَ مُفَارِقُهَا ، وَكَيْفَ يَغْفُلُ مَنْ لَا يُغْفَلُ عَنْهُ ؟ يَا بُنَيَّ : لَا شَكَّ فِي الْـمَوْتِ فَإِنَّك كَمَا تَنَامُ كَذَلِكَ تَمُوتُ ، وَلَا شَكَّ فِي الْبَعْثِ فَإِنَّك كَمَا تَسْتَيْقِظُ كَذَلِكَ تُبْعَثُ يَا بُنَيَّ : إِنَّ الْإِنْسَانَ لَثَلَاثَةٌ ، فَمِنْهُ لله، وَمِنْهُ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُ لِلدُّودِ وَالتُّرَابِ ، فَأَمَّا مَا كَانَ لله فَرُوحُهُ ، وَأَمَّا مَا كَانَ لِنَفْسِهِ فَعَمَلُهُ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا ، وَأَمَّا مَا كَانَ لِلدُّودِ وَالتُّرَابِ فَجَسَدُهُ».[3]

... من ثمراتِ كظم الغيظِ أن يمنحَ صاحبَه سَكِينةً نفسيّةً و طمأنينةً قلبيَّةً تجعله منشرحَ الصّدرِ مستريحَ الفؤادِ. و قد حصر همومَه فِي همٍّ واحدٍ هو أن يُرضِيَ ربَّه ، بعفوه عمّن ظلمَه

---

(1) للاستزادة انظر : إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ ، ج2 / كتاب آداب الألفة و الأخوة و الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق و هو الكتاب الخامس من ربع العادات الثاني ، الباب الثاني في حقوق الأخوة و الصحبة ... - فَالعُمرُ ظِلٌّ سَحابٍ زائل ←(مَـجْزُوٌّ الكامل).

(2) [ٱلرَّحْمَـٰنُ : ٢٦ ، ٢٧] ... الآيات في ذلك : [النِّسَاء: ٨٢]-[الرَّعْد: ٢٦]-[النَّحْل: ٩٧]-[الْمُؤْمِنُون: ١٢ -١٦]-[الْمُؤْمِنُون: ٩٩ - ١١٨]-[العَنْكَبُوت: ٥٧، ٥٨]-[الرُّوم: ٥٤ -٥٨]-[النَّجْم: ٣٩ - ٤١]-[الحَدِيد: ٢٠، ٢١]-[الحَشْر: ١٨]...

(3) المدخل.

فما عاقبت من ظلمني بمثل أن أعفو عنه و الله يأجُرُني ، فيا أخي : من الكرمِ أن تسارعَ للصّفح و تكون أنتَ البادئَ بالسّلامِ لأنه حانَ الوقتُ أن نتسامحَ قبل أن يفرِّقنا الموتُ ، إنَّنا مجردُ ضيوفٍ في هذه الدُّنيا و أنّ الحياةَ قصيرةٌ أكثر مـمَّا نتخيَّلها .

وفي ذلك يقول لقمان الحكيم -عَلَيْهِ السَّلامُ- :« يَا بُنَيَّ: إِنَّ الدُّنيا قليلٌ، و عمرك فيها قليل من قليل، وقد بقي قليلٌ من قليل القليل ».(1)

فليس لدينا الوقتُ في هذه الدّنيا للحزنِ و الضّيقِ و الغضبِ من شخصٍ معيَّنٍ أو موقفٍ محدّدٍ فإذا غضبت من شخصٍ مَّا ، فلا تجهد طاقَتكَ في الغضبِ و الضّيقِ و الحزنِ و الأفضلُ هو الصَّفحُ و النِّسيانُ، لأنَّ الحياةَ قصيرةٌ و لن تكون لها إعادة ، و زَادُنَا قليلٌ في تلك الدَّار الدَّائمة دار الآخرة فالدُّنيا ممرٌّ و الآخرة مستقرٌّ وكيف للضَّيف الغريب عابر السّبيل أن تمرَّ أيامُه أو ساعاتُه (2*) في الأحقادِ ؟ فإذا انتهت الحياةُ الدُّنيويَّةُ فإنَّها لاَ تعود. تـمرُّ الدّنيا وكأنَّها حلمٌ، والآتي منها خيال « فالدّنيا – وَأَيْمُ اللهِ – حلم ، و الآخرة يقظة ،

(1)حكم لقمان الحكيم : 18، وانظر وصايا لقمان وحكمه (ص 94، 95أحمد بن عاشور).

(2*) الآيات في ذلك : قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[يُونس: ٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النَّازِعَات: ٤٢ -٤٦].

و قال الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:(الدُّنْيَا سَاعَةٌ، فَاجْعَلْهَا طَاعَةً، والنفس طباعة علمها القناعة) . أَدَبُ الدُّنْيَا وَ الدِّينِ: 161.

و المتوسط بينهما الموت ، و العباد في أضغاث أحلام » [1] فَمَا ماضيكَ إلَّا أضغاثُ أحلامٍ، وَمَا مستقبلُكَ إلاَّ خيالٌ و أوْهَامٌ ، وما تدري ما يفعل بك [*2] إن أنتَ إلَّا عابرُ سبيلٍ أو غريبٌ كَمَا قالَ الحبيبُ صلوات الله و سلامه عليه فيما رواه ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،حيث قَالَ :أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي ،فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ،أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ : « إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ ». [3] و أعمارنا في الدنيا هي الحرث الذي نحصد ثماره في الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾

[الحَاقَة: ٢٤]

وأمرهُم أَنْ يأخذُوا زَادَهُم من دارٍ يخرجون [*4]منها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأَنْعَام: ٩٣].

---

(1) انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، و انظر قصص التابعين حياة الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- (ص : 265 الشيخ مَحْمُودْ المصْري أبو عمار).

(*2)قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لُقْمَان: ٣٤] ...الآيات في ذلك : [الأنعَام: ٦٠ ، ٦١]-[يُوسُف: ١٠٥ -١٠٧]-[الْمُؤْمِنُون: ٩٩ -١١٨]-[يسّ : ٤٨ -٥٨] ..

عن عثمان بن زائدة قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : « يَا بُنَيَّ :لا تُؤَخِّر التَّوبة فإنَّ الموت يأتي بغتة » ابن أبي الدنيا في "التوبة 57" وفي "قصر الأمل"، والزهد الكبير للبيهقي، وشرح أصول الاعتقاد، و انظر : وصايا لقمان وحكمه (ص:34 أحمد بن عاشور).

(3)(صحيح) : أخرجه البخاري في : 81 – كِتَاب الرِّقَاق : 3 – بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ». [رقم (6416) ، التِّرْمِذِيّ (2333) ، و ابن ماجه (4114)، و أحمد (2/ 24:4764) ، و انظر تحفة الأشراف (7386) ، و انظر : [«السلسلة الصحيحة » (1157)]،و للاستزادة في بيان حقيقة الدنيا – ظل سحاب زائل – انظر : سنن التِّرْمِذِيّ «34 -كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ»[التِّرْمِذِيّ (2304 ..... 2414)].فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَ خَبَرَ أَحْوَالِهَا هَانَ عَلَيْهِ بُؤْسُهَا وَ نَعِيمُهَا .

(*4)كما قيل: "الدنيا النهار اللّي يوسعها ايزيد يوسعها أي يفارقها": إوسعها الاولى : يشيدها ، إوسعها الثانية : يخرج منها و يتركها:

" إِذَا تَـــمَّ أَمْـــرٌ بَـدَا نَقْصُـــهُ *** تَرَقَّـبْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَـــمْ

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَـــهَا *** فَإِنَّ الْـمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَـمْ =

وَوَعدَهُم بدارٍ مَا هُم مِّنها بمُخرجين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الحِجْر: ٤٥ – ٤٨]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ [قٓ: ٣١ – ٣٥].

قال الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

يَا نَفْسُ مَا هُوَ إلاَّ صَـــبْرُ أيـــَّام *** كَانَتْ مُدَّتُها أَضْغاثَ أَحْـــلاَم

يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ الدُّنْيَا مُبادِرَةً *** وخَـلِّ عَنهَا فَإنَّ العَيْشَ قُدَّامِي [1].

... ولا يبقى منها إلاَّ الحسابُ في الآخرةِ، فسارعْ أخي إلى العفوِ والتسامحِ قبل فواتِ الأوانِ، و ينبغي أن تستثمر كلّ لحظةٍ من حياتِكَ، و كأنَّها آخرُ لحظةٍ في حياتِك يا (ضيف) و يا عابرَ السبيلِ، سَامِحْ كلَّ من ظلمك وأفِضْ عليهِ من فيضِ حنانِك و عفوِك وإحْسَانِك له، لكي تفوزَ بأجر الكاظمين، و تكون طاقتُكَ الداخليَّةُ منتظمةً، و تكون في منتهى الراحةِ و الاطمئنانِ.

لقد بيَّنَ النّبيُّ ﷺ أن العِزَّ يزيدُ بالعفوِ حينَ قالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَ مَا زَادَ

= وَحَـامِ عَلَيْهَـا بِشُكْرِ الْإِلَـهِ *** فَإِنَّ الْإِلَـــهَ سَرِيـعُ النِّقَـــمْ

حَلَاوَةُ دُنْيَـــاكَ مَسْمُومَـــةٌ *** فَمَا تَـأْكُلُ الشَّهْـدَ إِلَّا بِسُـمْ

فَكَـــمْ قَـدَرٌ دَبَّ فِـي مُهْلَـةٍ *** فَلَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ حَتَّى هَجَـمْ".

أدب الدّنيا والدّين: 332،(البحر المتقارب).

(1) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 33 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(البسيط).

* كَانَتْ مُدَّتُها ... لعله: كَأَنَّ مُدَّتَها أَضْغاث أَحْلَام.

اللهُ رَجُلاً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزّاً، وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ »[1].

فَيَا أَخِي إِنَّك تنفق في السرَّاءِ و في الضرَّاءِ مِنْ مالِك، وتنفق أيضا من فيض حنانِك و من نفسِك أي كظم الغيظِ و أعلاَها إنفاقاً ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ فهذا الإنفاق هو الطريق إلى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

- أولا : الإنفاق في السرَّاء .
- ثانيا : الإنفاق في الضرَّاء.
- ثالثاً : الإنفاق من الذات ،ككظم الغيظ ، كقوله تعالى:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[المَائِدَة: ٢٧ – ٢٩]، وكقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ ﴾ [يُوسُف: ٧٧]،

و كقوله تعالى:﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يُوسُف: ٨٤]، و كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 25 – كتاب البر و الصلة عن رسول الله ﷺ : 82 – باب مَا جَاءَ فِي التَّوَاضُعِ . [رقم (2029) ، صحيح : مسلم (2588)، و أحمد (2/ 235:7238)، و الدارمي (1718)، و النووي (16/ 109)] . وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مَرْيَم: ٤٥ - ٤٨].

... ومن القصصِ الطريفةِ في بابِ كظمِ الغيظِ ما رواه البيهقي في (شعب الإيمان) (8317) قالَ: أخبرنا أبو محمد بن يوسف ،أخبرنا أبو بكر أحمد بن سعيد بن فرضخ العثماني ، أخبرنا طاهر بن يحي الحسيني، حدّثني أبي ،حدّثني شيخ من أهل اليمن قد أتت عليه بضع وسبعون سنة فيما أخبرني يقال له عبد الله بن محمد قال : سمعت عبد الرزاق يقول : (جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكبُ عليه الماء ليتهيأ للصلاة ،فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجَّه ، فرفع عليٌّ بن الحسين رأسه إليها ، فقالت الجارية: إن الله - عزَّ وجلّ - يقول :﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ . فقال لها : قد كظمت غيظي . فقالت:﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فقال لها :قد عفوت عنك .قالت : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ . قال : اذهبي فأنت حرة). [1]

وقال عبد الله بن عطاء : أذنب غلام لعلي بن الحسين ذنبًا استحق منه العقوبة ، فأخذ له السوط ، ... فقال : ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [2] وقال الغلام : وما أنا كذلك ، إني لأرجو رحمة الله ، وأخاف عذابه ، فألقى السوط وقال : أنت عتيق [3].

وقال موسى بن داود:إن علي بن الحسين دعا مملوكه مرتين فلم يُجبه،ثم أجابه في الثالثة ، فقال : يا بني ، أما سمعت صوتي ؟ قال : بلى .قال : فمالك لم تجبني؟ قال: أَمِنتُك .

(1) تاريخ ابن عساكر : 12/ 22 أ، و البداية و النهاية : 9 / 107 ، وانظر : قصص التابعين علي بن الحسين بن علي (زيد العابدين) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - باب عفوه ،(ص: 208 الشيخ مَحْمُود المصْرِي أبو عمار)، « دَارُ التَّقْوَى » ط : 1.

(2) سورة الجاثية : الآية : (14).

(3) تاريخ ابن عساكر : 12/ 23 ب و 24 أ.

قال : الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني [1] .

وقال عبد الغفار بن القاسم : كان علي بن الحسين خارجًا من المسجد ، فلقيه رجل فسبَّه ، فثارت إليه الموالي والعبيد ، فقال عليٌّ: مهلاً على الرجل . ثم أقبل عليه فقال : ماسُتر عنك من أمرنا أكثرُ، ألك حاجة نُعينك عليها ؟ فاستحيا الرجلُ ورجع إلى نفسه . فألقى عليه خميصة [2*] كانت عليه ، وأمر له بألف درهم [3] .

وقال أبو يعقوب المُزني : كان بين الحسن بن الحسن وعلي بن الحسين بعض الأمر ، فجاء الحسن إلى علي وهو مع أصحابه في المسجد ، فما ترك شيئًا إلا قاله له ، وعليٌّ ساكت ، فانصرف الحسن . فلما كان الليل أتاه في منزله ، فقرع عليه بابه ، فخرج إليه ، فقال له علي : يا أخي ،إن كنت صادقًا فيما قلت ، فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك، والسّلام عليكم. وولَّـى، فاتبعه الحسن فلحقه ، فالتزمه من خلفه وبكى حتى رَثِيَ له ، ثم قال : لا جرم ،لا عدت في أمر تكرهه . فقال علي : وأنت في حِلٍّ مما قلت لي [4].

وقال ابن أبي الدنيا بإسناده : كان عند علي بن الحسين قوم ، فاستعجل له خادم بشواء كان في التنور ، فأقبل به مسرعًا: فسقط السفود [5*] من يده على بُنَيّ لعلي أسفل الدرجة ، فأصاب رأسه فقتله ، فوثب عليٌّ، فلما رآه قال للغلام : اذهب فأنت حُرٌّ ... أعلم أنك لم تتعمد قتله .... وأخذ في جهاز ابنه [6].

---

(1) تاريخ ابن عساكر : 12 / 22أ.

(2*)الخميصة : كساء أسود مربع له علمان . القاموس (خمص).

(3)تاريخ ابن عساكر : 12 / 23 ب ، وصفة الصفوة 2/ 100 .

(4)تاريخ ابن عساكر: 12 / 24 أ ، وصفة الصفوة (2/ 94) .

(5*)السفود : حديدة يشوى بها : القاموس (سفد).

(6)تاريخ ابن عساكر: 12 / 34 أ ، وصفة الصفوة: 2/ 100 ، وانظر قصص التابعين حياة علي بن الحسين بن علي (زين العابدين) (ص:208،209 الشيخ مَحْمُودْ المـصْرِي أبو عمار).

وَأَسْمَعَ رَجُلٌ ابْنَ هُبَيْرَةَ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِيَّاكَ أَعْنِي ، فَقَالَ لَهُ ابن هُبَيْرَة -الرّجل القرآني-: وَعَنْكَ أُعْرِضُ: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾:

" وَأُقْسِمُ لَا أَجْزِيكَ بِالشَّرِّ مِثْلَهُ *** كَفَى بِالَّذِي جَازَيْتَنِي لَك جَازِيَا ". [1]

وقيل : إن رجلاً خاصم الأحنف ،وقَال : لئن قلت واحدة ، لتسمعن عشراً . فقال - أبو بحر - : لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة .

وقيل : إن رجلاً قال للأحنف : بِمَ سُدْتَ ؟ - وأراد أن يَعيبه - قال الأحنف : بتركي ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك [2] .

ولعلك تتعجب من مدى حلم الأحنف بن قيس ... لكنك إذا عرفت السبب فسوف يزول العجب؛ فلقد كان الأحنف بن قيس منذ طفولته وهو يجالس العلماء والعُبَّاد وكان يتعلم من علمهم وأخلاقهم الكثير والكثير .

ومن بين المواقف التي لاينساها الأحنف بن قيس أنه كان يذهب إلى مجلس (قيس بن عاصم المنِقري) ليتعلم منه الحلم والأدب فرأى منه شيئًا لا ينساه أبداً ... بل انتفع به بقية حياته .

فلقد كان تلاميذ قيس بن عاصم جالسين بين يديه يتعلمون وفجأة سمعوا صراخاً وضجيجاً ، وإذا بهم قد أُتي بشابٍ مكتوف الأيدي ومعه شاب مقتول ، فقيل لقيس بن عاصم : هذا ابن أخيك قد قتل ولدك ...فلم يفعل أي شيء سوى أنه نظر إلى ابن أخيه وقال له : يا ابن أخي قتلت ابن عمك ، فقطعت رحمك بيدك ... ورميت نفسك بسهمك ...

---

(1) من كلام الْبُحْتُرِيّ ، انظر : أدب الدّنيا والدّين / الْفَصْل السَّابِع فِي الْـمُرُوءَةِ ، (البحر الطّويل).

(2) السير (4/ 92، 93).

ثم قال لابنٍ له آخر:قم يَا بُنَي فَحُلَّ وثاق ابن عمك ... ووارِ أخاك . ثم ابعث إلى أمه مائة ناقة دية ابنها ، فإنها غريبة .

وقد أصبح الأحنف بن قيس سيداً على بني تميم على الرغم من أنه لم يكن من أغناهم ولا أقواهم ولا أعلاهم حسبًا ونسبًا، فسأله بعض إخوانه عن السر في ذلك فقال له أحدهم: يا أبا بحر من الذي يستحق أن يكون سيداً على قومه ؟

فقال : من كان فيه أربع خصال ساد قومه .

فقيل له : وما هذه الخصال؟

فقال : من كان له دين يحجزه (*1)...

وحسبٌ (*2) يصونه ...

وعقل يرشده ...

وحياء يمنعه ...

بل قيل له ذات مرة : كيف أُوتيت الحكمة والوقار؟

فقال: بكلمات سمعتهن من عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حيث قال :

" من مزح استُخفَّ به (*3)...

ومن أكثر من شيء عُرف به ...

ومن كثر كلامه كثر سَقَطُه(*4)...

ومن كثر سقطه قَلَّ حياؤه ...

(*1)يحجزه : أي يمنعه .

(*2)الحسب : الشرف .

(*3) استخف به : استهان النّاس به .

(*4)سقطه : خطؤه .

ومن قَلَّ حياؤه قَلَّ ورعه ...

ومن قَلَّ ورعه مات قلبه ..." [1]

وفي يوم من الأيام كان الأحنف يمشي وحده في مكان على أطراف البصرة فتعرض له رجل قبيح الخُلق فجعل يسبُّه ويشتمه وهو ساكت لم يلتفت إليه ، فلما اقتربا من الناس ، التفت إلى الرجل وقال : يا ابن أخي إن كان قد بقي من كلامك فضلة [2*] فَقُلها الآن ... فإن قومي إذا سمعوا ما تقول أصابك منهم أذى .

وعنه : ما نازعني أَحَدٌ إلاَّ أَخَذْتُ أَمْرِي بأمور ، إِنْ كَانَ فوقي ، عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ ، وَإِنْ كَانَ دُونِي رَفَعْتُ قَدْرِي عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ مثلي،تَفَضَّلْت عَلَيْهِ؛ "فَأَخَذَهُ الْـخَلِيلُ ، فَنَظَمَهُ شِعْرًا ، فَقَالَ :

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ *** وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَـيَّ الْـجَرَائِمُ

فَمَـا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِـــنْ ثَـلَاثَةٍ *** شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ

فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِـي فَأَعْـرِفُ قَـــدْرَهُ *** وَأَتْبَعُ فِيهِ الْـحَقَّ وَالْـحَقُّ لَازِمُ

وَأَمَّـا الَّـــذِي دُونِـي فَأَحْلُمُ دَائِبًـا *** أَصُونُ بِهِ عِرْضِي وَإِنْ لَامَ لَائِمُ

وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِـي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَـا *** تَفَضَّلْت، إِنَّ الْفَضْلَ بِالْفَخْرِ حَاكِمُ" [3].

وعنه ، قال: لست بحليم ولكني أتحالم [4].

---

(1) و نسبت هذه النصائح الذهبية للصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، و للاستزادة انظر : كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن لولي الله تعالى و العارف بربه العلامة الامام الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي دفين مدينة الجزائر – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى و رضي عنه – ج1 / ص: 421.

(2*) فضلة : أي بقية وزيادة .

(3) أدب الدّنيا والدّين : 346.

(4) ذكره ابن عساكر 8/ 218ب،219أ.

وقيل : إنه كلم مصعبًا في محبوسين وقال : أصلح الله الأمير، إن كانوا حُبسوا في باطل ، فالعدل يسعهم ، وإن كانوا حُبسوا في حق ، فالعفو يسعهم .

هكذا كان حلمه وأخلاقه ... فكيف لايسود مثل هذا الإمام الكبير – رحمه الله رحمة واسعة – وجمعنا به في الفردوس الأعلى ... من المعلوم أن معرفة أحوال الصالحين تؤثر في حياة الإنسان إيجابًا... وأن الرحمات تتنزل عند ذكر الصالحين:

..."إِذَا أَعْجَبَتْك خِصَالُ امْرِئٍ ❊❊❊ فَكُنْهَا تَكُنْ مثل ما أعجبكْ

فَلَيْسَ عَلَى الجُود وَالْـمَكْرُمَاتِ ❊❊❊إِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكْ " [1].

- رابعاً : ﴿وَٱلْعَـٰفِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ كقوله تعالى على لسان يوسف : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[يُوسُف: ٩٢]،و كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يُوسُف: ٩٧ ، ٩٨]

فبهذه الامتحانات ترتقي ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وَ قَدْ قِيلَ عِنْدَ الِامْتِحَانِ يُكْرَمُ الْـمَرْءُ أَوْ يُهَانُ؟ [2]❊ – فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ تُعْرَفُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ – تأمل أخي وتدبر في هذه الآيات والأحاديث :

---

(1) انظر قصص التابعين حياة الأحنف بن قيس ❊أبا بحر❊(ص354،355،356،357 الشيخ مَحْمُودْ المِصْرِي أبو عمار).

(2❊)قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٧٢]

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يُوسُف: ٧٦].

قال علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك، فإنه يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه» .من كلام وحكم وأمثال الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-(ص:374 محمَّد رضَا) .

و قال الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: وَلاَ تُرِ لِلأَعَادِي قَطُّ ذُلاً ❊❊❊ فَإِنَّ شَمَاتَةَ الأَعْدَا بَلاَءُ

دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:20 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(الوافر).

قال تعالى مادحًا العافين عن النَّاسِ :﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٢ -١٣٤]

﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ أي إذا أثارهم الغيظُ كظموه بمعنى كَتَمُوه فلم يعلنوه، و عفَوا مع ذلك عمّن أساء إليهم. و قد ورد في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ ، اُذْكُرْنِي إذا غَضِبْتَ أذْكُرْكَ إذا غَضِبْتُ فلا أُهْلِكُكَ فِيمَنْ أُهْلِك**»(1).

و لهذا ينبغي أن نتحلى بأبهى حُلةٍ (حلة الصفح) لأنَّها راحةٌ لقلوبِنا و عقولِنا و أنفسِنا و أبدانِنا و رضًى لربِّنَا و اتِّباعٌ لسنة نبيِّنا ﷺ ، ولهذا بشرَّ النبيُّ ﷺ الصحابي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذي قال عنه النبي ﷺ: يدخل علينا رجل من أهل الجنة فيدخل الرجل نفسه ..... عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال : «كان النبي ﷺ يجلس مع أصحابه في المسجد فقال لهم : الآن يدخل علينا رجل من أهل الجنة ، فدخل رجل نعلاه بيديه ولحيته يتقاطر الماء منها ، وفي اليوم الثاني والثالث ، كان الرسول يقول يدخل علينا رجل من أهل الجنة فيدخل الرجل نفسه فتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له إن بيني وبين أبي حال وأردت أن أمكث معك في بيتك ، فوافق الرجل ، فكان عبد الله بن عمرو يراقب الرجل ويرى عبادته فما رآه يزيد من عبادة(2*)... وبعد ثلاث أيام قال عبد الله بن عمرو للرجل أما والله ليس بيني وبين أبي حال ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول يدخل عليكم رجل من أهل الجنة فتدخل أنت فما

(1) رواه ابن أبي حاتم، وانظر : أَدَب الدّنيا و الدّين: 351، 352 .

(2*) أي : فما رآه يزيد غير الفرائض .

رأيتك كثير صيام ولا صلاة فأردت أن أعرف ما الذي بلغ بك تلك المرتبة... فقال الرجل : آوي كل ليلة إلى فراشي وليس في قلبي حقدٌ على مسلم» ؛ الْحَدِيثَ.

و لهذا أمرَ ربُّنا في آيات كثيرةٍ بكظمِ الغيظِ و العفوِ و كل ما يريحنا .فالصفحُ راحةٌ لنَا و ليس لخصومنا بل راحة لجهازنا العصبي.و ما أجمل ما قاله الإمامُ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

1 – لَمَّا عَفَوْتُ و لـمْ أَحْقِدْ عَلى أحَـدٍ *** أَرَحْتُ نفْسِيَ مِنْ هـَمِّ الـعَدَاوَاتِ

2 – إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْـــدَ رُؤْيَتِهِ *** لأَدْفَـــعَ الشَّـرَّ عَنِّي بالتَّحِيـــاتِ

3 –وأُظْهِرُ البِشْرَ لِلإنْسانِ أُبْغِضُـــهُ *** كَـــمَا إِنْ قَدْ حـــشَا قَلْبِي مَحبَّـاتِ

4 –النَّاسُ دَاءٌ و دَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُـم *** و في اعْتِزالِهِـــمْ قَطْـعُ المـــودَّاتِ

5 –و لَسْتُ أَسْلَمُ مِنْ خِلٍّ يُخَالِطُنِي *** فكَيْفَ أسلَمُ مِـــنْ أَهْلِ الـعَداوَاتِ

6 –وَ أَحْزمُ النَّاس مَنْ يَلْقى أَعادِيَهُ *** في جِسْم حِقْد و ثَوْبٍ منْ مـودَّاتِ[1].

- فما أَصْعَبَ القلق لو لا فسحة الحلم!
- و ما أصعب الانتقامَ لو لا فسحة الصفح!
- و ما أصعَب الغضبَ لو لا فسحة الوضوء و الاستغفار!
- فكظمُ الغيظِ و الصفحُ و الإحسانُ هي من أفضل العـبادات.

و الّذِي يناله كاظم الغيظ في الدنيا و الآخرة لا يناله إلا ذو حظ عظيم .

أورد أبو يعلى في مسنده عن ابن عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه، و من خزن لسانه ستر الله عورته و من

(1) دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 39، 40مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)، (البسيط).

* كَمَـا إِن قَدْ حشَا قَلْبِي مَحبَّاتِ ... و رُوي أيضا هكذا من الشافعي : كأَنَّهُ قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحبَّاتِ .

اعتذر إلى الله قبل الله عُذْرَهُ »[1]،وَ قَالَ ﷺ :« لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ،إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ».[2]

و قال النّبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- لأصحابه ما «الصرعة» قالوا: الصريع الذي لا تصرعه الرجال فقال الرسول ﷺ : «الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه و يحمر وجهه و يقشعر شعره فيصرع غضبه»[3].

وعن رجل من أصحاب النّبيّ ﷺ: أن رجلاً قال للنّبِيّ ﷺ : أخبرني بكلمات أعيش بهن، ولا تكثر عليَّ فَأَنْسى. قال: « اجْتَنِبِ الغَضَبَ »،ثم أعاد عليه، فقال:« اجْتَنِبِ الغَضَبَ»[4]، فإن الغضب يجمع الشّر كله، و في حب الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- إلى النّبيﷺ أنهم كانوا يقتدون به و كانوا رحماء بينهم . عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ :كَانَ يَسْقِي عَلَى حَوْضٍ لَهُ، فَجَاءَ قَوْمٌ فَقَالَ :أَيُّكُمْ يُورِدُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ وَيَحْتَسِبُ شَعَرَاتٍ مِنْ رَأْسِهِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ :أَنَا ، فَجَاءَ الرَّجُلُ فَأَوْرَدَ عَلَيْهِ الْحَوْضَ فَدَقَّهُ ،وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَائِمًا فَجَلَسَ ،ثُمَّ اضْطَجَعَ ،فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ ،لِـمَ جَلَسْتَ ،ثُمَّ اضْطَجَعْتَ ؟قَالَ :فَقَالَ :إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ لَنَا :« إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ،فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ »[5].

و قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ :حَدَّثَنَا أَبُو وَائِلٍ صَنْعَانِيٌّ مُرَادِيٌّ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ بِكَلَامٍ أَغْضَبَهُ قَالَ : فَلَمَّا أَنْ

---

(1) و هذا حديث غريب و في إسناده نظر.قال : حدثنا أبو موسى الزمن حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل حدثني الربيع بن سليمان النمري ، عن ابن عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه ، بِهِ.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78 -كتاب الأدبُ : 76-بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ . [رقم(6114)، مسلم (2609)].

(3)رواه الإمام أحمد 5/ 367 ، وحسنه في صحيح الجامع 3859.

(4)[(أحمد 5 / 408: 23528..)]، وانظر: [«السلسلة الصحيحة»(884)]باب الأخلاق والبر والصلة .

(5)[(أحمد 5/ 152: 21406) ،أبو داود (4782،4783)]. قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ،حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ ،عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عن أبي ذر ، بِهِ .

غَضِبَ قَامَ ثُمَّ عَادَ إِلَيْنَا وَقَدْ تَوَضَّأَ فَقَالَ:حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَطِيَّةَ - وَقَدْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:« إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ،وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ،وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»[1]. وَعَنْ سُلَيْمَان بْنِ صُرَدٍ ،قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ،وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا،قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم ». فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ[2]

و قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد، قال حدثنا سعيد حدثني أبو مرحوم، عَنْ سَهْلِ بنِ مُعَاذٍ ، بن أنس عَنْ أَبِيهِ:أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ مَا شَاءَ»[3].

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ ،عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ ،أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ ،عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ ،يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله تَعَالَى ».[4]

---

(1)[(أحمد 4 / 226:18007) ،أبو داود (4784)، معجم الصحابة: (ج12/ح1491)] .

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78 -كتاب الأدب : 76-باب الحذر من الغضب . [رقم(6115)، مسلم (2610)، و النووي (16 / 125،126)،أحمد(5/ 244:22172..)،أبو داود (4780)].وانظر:اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص: 559، 560، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ وبأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الغَضَبُ] . وانظر :[«السلسلة الصحيحة » (3303)].

(3) أخرجه أبو داود في : 35 –كِتَابِ الأَدَبِ : 3 -بَابُ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا .[رقم (4777)، أحمد (3/ 440:15637) ، و التِّرْمِذِيّ (2493)، (2140 و 2661)، و ابن ماجه (4186)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ».

(4)[(أحمد 2 / 128:6122..)].

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فهذا من مقامات الإحسان و في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رسول الله ﷺ قَالَ : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزّاً ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ - عزَّ وجلّ -»(1).

وعن عقبة بن عامر، قال : لقيت رسولَ الله ﷺ فقال لي: « يَا عُقْبَةُ بن عَامِرٍ ! صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ». قال : ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال لي: « يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ ! املكْ لِسَانَكَ، وَابْكِ(*) على خَطِيئَتِكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ». قال: ثم لقيت رسول الله ﷺ فقال لي : « يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ألا أُعَلِّمُكَ سُوَراً ما أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ ولا في الزَّبُور ولا في الإنْجِيلِ ولا في الفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ؟ لا يأتينَ عليكَ ليلة إلا قَرَأْتَهُنَّ فيها : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ،و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾،و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾»(2).

... فإذا اتعظت وعملت بما علمت، فإن عملك بما فيه من سخائك وعفوك وتواضعك، تصديق لعلمك ، و قدوة لغيرك ، فعظ عشيرتك والأقربين، قال الإمام الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «الإيمان مَا وَقَر في القَلْبِ وصَدَّقَهُ العَمَل».(3)"وروي أن موسى -عَلَيْهِ السَّلامُ- لما أراد أن يفارقه الخضر -عَلَيْهِ السَّلامُ- قال له : أوصني قال: «لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به »"(4).

❋ ❋ ❋

(1) أخرجه مسلم في : 45 - كِتاب الْبِرِّ وَ الصِّلَةِ وَ الآدَابِ : 19 - بَاب اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَ التَّوَاضُعِ . [رقم (2588)، و التِّرْمِذِيّ (2029)، و أحمد (2/ 235:7238)، و النووي (16/ 109)، و الدارمي (1718)].

(*)«وَابْكِ على خَطِيئَتِكَ .. »: واسْتَفْرِغ الدّمع مِنْ عَيْنٍ قدِ امتَلأت ❋❋❋ مِنَ المحَارِمِ و الْزَم حِمْيَة النَّدم .

بردة الإمام العارف بالله الفقيه المعروف بـ: الشيخ البوصيري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لمدح خير الخلق محمد ﷺ،(البحر البسيط).

(2) [(مسند أحمد (4/ 158:17457و17458و17459..)]، وانظر: [«السلسلة الصحيحة » (2861)] باب فضائل القرآن والأدعية والأذكار والرُّقى.

(3) أخرجه ابن النجار في : «ذيل تاريخ بغداد »، والديلمي في : «الفردوس».

(4)للاستزادة انظر:تَفْسير العلَّامة الإمام الحافظ ركن الدِّين البغوي للآيات [79 -82] من سورة[الكهْف] ،و انظر:أدب الدّنيا و الدّين: 95.

أعداء في الجاهلية إخوةٌ في الإسلام.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٣ ، ١٠٤].

و تتوالى الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية تحث المؤمنين على أخوتهم الجديدة القائمة على أساس العقيدة الإسلامية التي جاءهم بها من عندِ الله خير خلق الله و خاتم أنبيائه محمّد رسول الله ﷺ ليشعروا بفضل الله عليهم. ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

رَفْرَفَتِ القلوبُ و حَلّقتْ ،و غاصتِ الأرواحُ في هذا النور فأشرقَتْ، و فازتِ القلوبُ و الأرواح بخروجها من ظلماتِ الجهلِ، و الشِّركِ ، إلى نور الله الذِي لا ينطفئ أَبدًا، و المعرفة و العلم، و التوحيد، و نزعت ثياب الشّرِ و القسوةِ و الانتقام، والافتتان ، و ارْتَدَتْ (*1) ثياب الخير والرِّفق و الحنان ، و الإيثار و النور و الأخوة و الرحمة و المودة و الإحسان، والترابط بين القلوب، فتجمع صفهم تحت لواء الرَّحمن الرحيم .

إنهم كانوا أعداءً في الجاهليةِ، والرسالةُ السماويَّةُ هي الّتي أَلَّفتْ بينهم (الرسالة العظمى) من الله – عزَّ وجلّ – إلى نبيه الأكرم محمّد رسول الله ﷺ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا

(*1) و ارْتَدَت : أي لبست.

مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ٦٤]،وَقَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٥٩].

بهذه الرسالة السماوية، و الهدي الرباني، تآلفت القلوبُ و الأرواحُ، و حَلَّ بها نورٌ قَادَها إلى الاطمئنانِ بعقيدةٍ واحدةٍ، و جعَل كُلَّ المؤمنين إخوةً. هذه الرسالة السماوية الّتي بَهَرَتِ الأبصارَ ، و العقولَ، و محتِ الأحقادَ، و الظلمات ، و بيَّنتِ الصراطَ المستقيمَ، و طوت ظلماتِ الجاهلية بما فيها من شّر ،و بدأ المسلمون صفحةً جديدةً "مُشْرِقَةً" تجمعهم عليها شهادة: لا إله إلا الله محمّد رسول الله ﷺ ، ..." كنا قومًا أهل جاهلية، نعبدُ الأصنام ، ونأكلُ الميتة، ونأتي الفواحش ، ونقطعُ الأرحام ، ونُسِيءُ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذاك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبهُ وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وصلة الرحم ، وحُسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء، و نهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله تعالى وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

(قالت أم سلمة : فعدَّد عليه أمور الإسلام) فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرَّمنا ما حَرَّم الله علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وافتتنونا على ديننا ؛ ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحلَّ ماكنَّا نستحلُّ من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على مَنْ سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نُظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال له النجاشي :هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

قالت : قال له جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ. قالت : فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1] – سورة مريم –،قالت : فبكى – والله – النجاشيُّ حتى اخضلَّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم،حين سمعوا ماتلا ❊ عليهم.ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا ، فلا والله لاأسلمهم إليكما أبدًا ولا يُكادون ...

❊ ❊ ❊

(1)سورة مريم : الآية :(1).

الإصلاح بين الناسِ

الحمدُ لله الذي رغبنا في الإصلاح بين المتخاصمين،و القضاء على كل نزاعٍ بين طائفتين، و وعدَنَا على ذلك خيره العظيم،وفيْضه العميم : في كتابه الكريم .....

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٨٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النِّسَاء: ١١٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١٣٥]،

وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأَنْفَال: ١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1]

... يرشدُنا اللهُ تبارك و تعالى في هذه الآيات الكريمة إلى الأمور الّتي فيها الخير للمجتمع فبيّن أنَّ كثيرًا من كلام النّاس لا خير فيه، بل الصَّمت فيه أفضل و أكرم من المحرمات كاللّغو و الكذب و الغيبة و البُهتان، و استثنى سبحانه أمورًا كبذل الصدقة، أو الأمر بالمعروف

(1)[الحُجُرَات: ٩ – ١٠]... الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ٢٢٠]-[البَقَرَة: ٢٢٤]-[النِّسَاء: ٣٥]-[النِّسَاء: ١٢٨، ١٢٩]-[المَائِدَة: ٨]-[ص: ٢١ – ٢٩]-[الشُّورَى: ٤٠]...

الذي يشملُ كلَّ خيرٍ أمرَ الله تعالى به، أو قَوْلِ كلمةٍ تزيلُ الخلافَ بين المتخاصمين، فإنَّ ذلك كلّه يؤتي أكله بإذن ربِّه ثمارًا يانعةً و لو بعد حين، لما أوقفه من شجار و مشاحنةٍ، و لِـمَـا غرسه فيهم من محبةٍ ومسامحةٍ.

إنَّ السَّاعيَ في الصّلح بين النّاس سامِي النَّفسِ، عذب الروح كريم الخلق محبوبٌ عند الله و عند النّاسِ، و أمَّا السُّنةُ فقد جاءَ في حديث أَبِي الدَّرْدَاء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَ الصَّلاَةِ وَ الصَّدَقَةِ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ : « إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَ لَـكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ» [1]،لأنَّ الدينَ هو توحيدُ اللهِ و طاعتُه ، و المعاملةُ الحسنةُ و المعاشرةُ الطيبةُ مع خلقِهِ.

و قد أمر اللهُ سبحانه و تعالى بالإصلاحِ بين المؤمنين في آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحُجُرَات: ١٠].

فالمؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً ،فإذا حصلَ بينهم خلافٌ ينبغي على العقلاءِ الكيّسين أن يصلحوا بين إخوانهم قبلَ أَنْ ينهارَ هذا البنيان، و في حديث آخر لرسول الله ﷺ بيّن فيه بعض أوجه الخيرات،و مجالات كثيرة لكسب الحسنات،و خاصة إصلاح ذات البين.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ

(1) أخرجه أبو داود في : 35 – كِتَابِ الأَدَبِ : 57 – بَاب الإِصْلاَحِ ذَاتِ البَيْنِ .[رقم (4919) ، أحمد (6/ 444:27578) ، و التِّرْمِذِيّ (2509)،تاريخ دمشق : (13/ 373:3316)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ »[1].

وانظر لأهمية الصلح في الحديث الذي زاده مسلم في روايته ،حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ،عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ،عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ،عَنْ أُمِّهِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ أَنَّهَا قَالَتْ :« رخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ فِي ثَلَاثٍ : فِي الْحَرْبِ ،وَفِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَوْلِ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ »[2]،وَ عنها أيضًا ،أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، [فَيَنْمِي خَيْرًا ،أَوْ يَقُولُ خَيْرًا] ».[3]

وعن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،أن رسول الله ﷺ قال: « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إصلاحُ ذاتِ البينِ»[4].و من سره أن يغفر الله له، و ينظر إليه نظرة الرحمة، فعليه أن يزيل الشحناء و العداوة بين إخوته. عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، أن رسول الله ﷺ قال :« تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَ اثْنَيْنِ ، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ :

---

(1) (صحيح) : أخرجه مسلم في : 12 – كتاب الزَّكَاةِ : 16 –بَاب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ . [رقم (1009) ، البخاري (2707) ، طرفاه في (2891) ، (2989)].

(2) [(أحمد 6 / 404:27347)]،وانظر : [«السلسلة الصحيحة»(545)]باب الأدب و الاستئذان.

(3)(صحيح ،متفق عليه) : أخرجه البخاري في:53 – كتاب الصلح: 34 –بَاب لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ.[رقم(2692)، مسلم (2605)،و أحمد (6/ 403:27341)، التِّرْمِذِيّ (1946)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 558 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البرِّ والصِّلة والآدابِ ، باب تَحْرِيمِ الكَذِبِ وَبَيَانِ مَا يُبَاحُ مِنْهُ] .

(4) [(قال في مجمع الزوائد (8/ 80) رواه الطبراني و البزار وعبد الله بن حميد (1 / 135) والحديث حسن، انظر الترغيب والترهيب 3/ 321)]، و انظر : في باب الأخلاق و البر و الصلة .

اتركُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.اتركُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[1]، وَقَالَ ﷺ:«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ،يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ».[2]

و واجِبُنَا العمليّ كما قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:"فَالصُّلْحُ الْجَائِزُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِيهِ رِضَا اللهِ سُبْحَانَهُ، وَرِضَا الْخَصْمَيْنِ؛ فَهَذَا أَعْدَلُ الصُّلْحِ وَأَحَقُّهُ، وَهُوَ يَعْتَمِدُ الْعِلْمَ وَالْعَدْلَ؛ فَيَكُونُ الْمُصْلِحُ عَالِماً بِالْوَقَائِعِ، عَارِفًا بِالْوَاجِبِ، قَاصِداً لِلْعَدْلِ، فَدَرَجَةُ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"[3]:

إن القلوب إذا تنافر ودهـــا ❊❊❊ عند الأكارم جبرها لا يَـعْسُرُ

إن المكارم كلَّها لو حُصِّلَتْ ❊❊❊ رَجَعَتْ بِجُـمْلَتِها إلى شيــئين

تعظيم أمر الله جل جلالـه ❊❊❊ والسعي في إصلاح ذات البين[4*].

يعني إذا اهتزت البواطن وخدشت المشاعر فلا شيء لدوائِها وتليينها إلّا بالصّلح والمسامحة، وترك بعض الحقوق والتّنازل عنها ،لأنّه كما قال رسول الله ﷺ:« اِسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ »[5]. وقِيل «اُتْرُكْ شَيْئًا يُعْطِكَ اللهُ أَشْيَاءَ»[6].

❊ ❊ ❊

(1) (صحيح): أخرجه مسلم في : 45 - كِتَاب الْبِرِّ وَ الصِّلَةِ وَ الآدَابِ : 11 -بَاب النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَ التَّهَاجُرِ . [رقم 36 - (2565)، أبو داود (4916)].

(2) (صحيح) : أخرجه البخاري من حديث أبي أيُّوب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في : 79 - كِتَابُ الاسْتِئْذَانِ : 9 - بَابُ السَّلاَمِ لِلْمَعْرِفَةِ وَ غَيْرِ المَعْرِفَةِ.[رقم (6237)، مسلم (2560)، و النووي (16/ 91،92)] .

(3) إِعْلاَمُ المُوَقِّعِينْ/ فصل [الصلح بين المسلمين]ج 1 / ص: 84، 85 .

(4*) و للمبادرة في الإصلاح انظر: صفحات الإصلاح بين الناس يتناول ما يأتي من هذا الكتاب ،(البحر الكامل).

(5) أحمد (1/ 248) واللفظ له ، وقال الشيخ أحمد شاكر (4/ 54) : إسناده صحيح ، والسيوطي في الجامع الصغير (1037) ونسبه للطبراني و البيهقي في الشعب .وانظر :[«السلسلة الصحيحة »(1456)]باب الأخلاق والبر والصلة .

(6) للاستزادة انظر : صيد الخاطر للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، فصل [من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه] (ص : 152 د . عبد الحميد هنداوي) ، المكتبة العصريّة : صَيْدا –بيروت ، عام 1435هـ - 2014 م .

الفَصْلُ الثاني :

أضرارُ الغضبِ أشدُّ خطرًا من أسبابه

الفصل الثاني : أضرارُ الغضبِ أشدُّ خطرًا من أسبابه

الغضبُ بركانٌ هائجٌ ثائرٌ، يدمِّر الفكرَ ويشوِّشُ العقلَ الحائر ،ويُطفئُ نورَ الأبصارِ والبصائرِ، فإيَّاك إيَّاك ...أن تنساقَ لهذا العدوِّ الماكر ،فإنَّه قد يدمِّرُ الوجودَ ويسوّدُ المصائرَ.

المبحث الأوّل : تأثير الغضب على القلب

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥] (1*).

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ،فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا» (2)،وَ عَنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ قَالَ : «إنما أنا لكم مِثْلُ الوالد ، أُعَلِّمُكُمْ...» (3) إلى آخر الحديث.

(1*)الآيات في ذلك : [النِّسَاء: ٢٨-٣١]-[الأعْرَاف:١٥٧]-[الأنْفَال: ٢٤]-[الحَشْر: ٧]... والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمورٍ كثيرةٍ منها عدم الائتمار بأوامر الله ورسوله ﷺوعدم الانتهاء عن النواهي أيضًا يؤدي إلى التهلكة، فقد أمر الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث بتجنب الغضب ، لأن الغضب يؤدي إلى التهلكة التي لا تحمد عقباها ،فسلامة القلب والبدن لا يقومان إلاّ على سَاقَيْ العفو والصفح ،فالصفح للقلب كالروح للبدن، ولا يكون قلب سليماً ومنيباً إلا باتباع أوامر الله -عزّ وجلّ-، وقد أمرنا الله في آيات كثيرة بالعفو والصفح ،وأمرنا النّبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ- بتجنب الغضب فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:« مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رقم: (7288)، وَمُسْلِمٌ (1337)].

شرح المفردات:

* اجْتَنِبُوهُ : اُتْرُكُوهُ وَدَعُوهُ.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:81 - كتاب الرقائق: 26-بَابُ الانْتِهَاءِ عَنِ الـمَعَاصِي .[رقم(6483)، مسلم (2284)، و أحمد (2/ 244:7353)، و التِّرْمِذِيّ (2874)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 484، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم] .

(3)[أحمد (2/ 250:7441..) ، أبو داود (8)،النسائي(40)،وابن ماجه(312)] .

وَ قَالَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِابْنِهِ :« شَاوِرْ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ؛فَإِنَّهُ يُعْطِيك مِنْ رَأْيِهِ مَا قَامَ عَلَيْهِ بِالْغَلَاءِ، وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ مَجَّانًا»[1]، وَقَالَ أَيْضًا فِي وَصِيَّتِهِ لِوَلَدِهِ «يَا بُنَيَّ: عَلَيْك بِذَوِي التَّجَارِبِ ؛ لِأَنَّ مَنْ جَرَّبَ قَدْ دَخَلَ فِي الْـمَخَاضَةِ ، وَعَرَفَهَا ، وَعَرَفَ مَوْضِعَ السَّلَامَةِ فِيهَا ، وَمَوْضِعَ الْعَطَبِ فَعَلِمَ مَا يَتَجَنَّبُ مِنْهَا ، وَمَا يَحْذَرُ ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يفْعَلَ ، وَمَا يُسْتَعَانُ بِهِ»: [2]

" أَلَـمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ** وَ لَكِنْ تَمَامُ الْعَقْلِ طُوْلُ التَّجَارِبِ ".[3]

...إنَّ أسبابَ الغضبِ قد تكونُ كلمةً، أو عشرَ كلماتٍ ،و لكنَّ الضَّررَ أكثرُ بكثيرٍ مِمَّا نتصوَّرُهُ.

" وتأثيرُ الغضبِ على القلبِ ليسَ بارتفاعِ الضَّغطِ فقط، وإنَّما وضَّح كثيرٌ من العلماءِ أنّه خلالَ الغضبِ تَرْتفعُ هرمونات الكيتوكولامين و النورايبينفرين أكثر من الايبينيفرين (بعكس حالة الخوف) إلى أكثرِ من أربعةِ أضعافِ المستوى الطّبيعي في الدَّمِ، وكلا هذين الهرمونين يؤْذي عضلةَ القلبِ على المدى القصيرِ والطّويلِ ،و يؤدِّي إلى ترسب الكولسترول على جدرانِ الشَّرايين ،كما أنَّ الإنسانَ عندما يغضبُ تتقلَّصُ الأوعيةُ الدَّمويَّةُ فِي بِطَانة المعدةِ وَيقلُّ إفرازُ العصير الهاضِم ممَّا يؤدِّي إلى فقدانِ الشَّهيَّة للطَّعامِ.

أمَّا عن أضرارِ التَّوتُّرِ العصبيِّ على المعدةِ ،فتتمثَّلُ فِي :ازديادِ الأحماضِ إلى حدٍّ كبيرٍ بِالغشاءِ المخاطيِّ الذِي يحمِي المعدةَ من الأحماضِ ،وتصبحُ غيرَ قادرةٍ على القيامِ بوظيفتِها فتحدثُ بعضُ القرحِ بالمعدةِ وفي الإثني عشر، و من هنا تزداد حالاتُ الإصابةِ بـ : (القرحة المعديّة + مرض القولون العصبي أيْ تهيُّج الأمعاء).

(1) أدب الدّنيا والدّين:263، وانظر : وصايا لقمان و حكمه(ص :116 أحمد بن عاشور) .

(2) ربيع الأبرار للزمخشري، المدخل :3/ 251 ، وانظر : وصايا لقمان و حكمه(ص :158 أحمد بن عاشور) .

(3) أَدَبُ الْدّنْيَا وَ الدِّين : 12، (البحر الطّويل).

وأمَّا عَن أضرارِ مرضِ السُّكَّريِّ ، و الشّلل ،أيْ الفقدان الكُلِّيّ لوظائف العضلات لمجموعة عضليّة أو أكثر، و الغُدد هي : أكياس تتكوّن على مستوى الغدّة الدّرقيّة).

وَ وجدَتْ عِدّةُ دراساتٍ ذَات علاقة مباشرة بين قياسِ شدَّةِ الغضبِ و العدْوانيّة ، و بين شدَّةِ الإصابةِ بهذه الأمراض .وأثبتت الدِّراساتُ بأنَّ الإنسانَ السَّرِيعَ الغضبِ أكثرُ عرضةً للموتِ بنوبةٍ قلبيَّةٍ بثلاثِ مراتٍ من الإنسان الهادئ ."[1]

إنَّ صاحبَ العفوِ و الصَّفحِ يعرفُ أضرارَ الغضبِ قبلَ وقوعِها و يحذرُهَا .

وصَاحبُ الانتقامِ يعرفُ أضرارَ الغضبِ بعد وقوعِها وَ يقعُ فِيهَـــا.

العفوُ و الصّفحُ و الابتعادُ عن الغضبِ أيسرُ من الصَّبرِ على ألـم ما بعد الغضبِ.

العفوُ و الصَّفحُ و الابتعادُ عن الغضبِ = الصَّبر الوقائـي .

الصّبرُ على ألـمٍ بعد الغضـــب = الصَّبر العلاجي .

الوقايةُ خيرُ من العلاجِ فالجسدُ يتأثّرُ بالنَّفسِ ، وَهِي بدورِهَا تَتَأَثّر به ،وهذا أمرٌ مفروغٌ منه لذلك ينبغي على الإنسانِ أن يُعوِّدَ نفسَه على ألّا ينساقَ وراءَ غضَبِه لأتفهِ الأشياءِ ،ويحاولَ أَنْ يكونَ هادئا قدرَ الإمكانِ.

من المستحيلِ أن يزعجَكَ شخصٌ أو يؤثِّرَ على حالتِكَ النفسيَّةِ سلبًا إذا لم تسمحْ له أنتَ بهَذَا ، وهذا يفسِّرُ قدرةَ الإنسانِ في المحافظة على حالتِه النّفسيّةِ الإيجابيّةِ .

(1) د / مأمون مبيض – أخصائي في الطب النفسي ومحاضر في جامعة المملكة في بلفاست ـ المملكة المتحدة. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا : للصحة والذكاء العاطفي للدكتور مأمون مبيض.

إنَّ الإنسانَ إذا زادَ غضبُه تأجَّجتْ نَارُه، فكما يُوجدُ البركانُ الباطِنيُّ للأرضِ كذلك يوجد البركانُ الباطنيُّ للإنسانِ و هوَ الغضبُ.

وقد قيل في منثور الحكم : « إيَّاك و شدَّة الغضب ، فإنَّ شدَّة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم»[1].

و هناك كِنَاية شائِعَة عن الغضبِ في المجالِ الفيزيولوجي وهي أنَّهُ :(سائل ساخن في وعاء) و هناك أدلَّة كافية على أن أعراض القلق و اشتعال نيران الغضب و البركان الباطني يظهر بعينه في وجه الإنسان القلق.

الـمبحث الثانـــي : تأثير القلب على صفحات الوجه:

وأسْتهلُّ هذه الفقرة بقصَّة وهي :

أنَّ رجلين كانا يعبران الشّارعَ ،وكانت امرأةٌ عجوزٌ تعبرهُ كذلك ،فوقعت أثناءَ عبورِها الطّريقَ فجرى أحدُ الرَّجلين مسرعًا نحو العجوزِ فحملَها وعبر بها الطّريق ...و واصَلا مشيهما وعندما وصلا إلى مكان فيه ضوءٌ نظرَ الرجل الذي حمل العجوزَ إلى الذي لم يجر ليساعد السيّدة – أي معارض لحمل العجوز – ، فوجد لونَ وجهه تغيَّر وكأنّه قِطعٌ من الليل الـمُظلمِ فأوجس منه خيفةً .

فقال له : يبدو أنَّك ملدوغ من عقرب فأنت بحاجة إلى طبيب.

فقال الذي تغيّر لونه من شدّة غضبه كيف حملت العجوز ونحن لا يحقّ لنا لَمس النِّساء؟

ما الذي جعلك تحملها على عاتقك؟

(1) البداية و النهاية : 2/ 152،وانظر: وصايا لقمان و حكمه (ص: 156،157 أحمد بن عاشور).

فردَّ عليه صاحبهُ وقال له :أمَّا أنا فقد أنزلتها بالفعل منذ ساعات وأمَّا أنت فمازلت تحملها ، فوقع شجارٌ بينهما فجاء رجلٌ يصلحُ بينهما فقصَّا عليه القصَّةَ .

فقال لهما:قال لِلَّذي حملها على ظهره:أمَّا أنت فَحملتها على عاتقك دقائق و وضعتها. و أمَّا أنت- الآخر- فحملتَهَا في قلبِك وبداخلك وإنَّها تبدو بأكملها في صفحات وجهك، ولا بدّ أن تضع هذا ...الحِمْلَ ...الثَّقيل الذي يضايقك بداخلك.

... إنَّ القلبَ يتأثّرُ من الغضبِ، و الوجهُ يتأثّرُ لتأثُّرِ القلبِ، وهو بدورِهِ يدورُ مداره، لذلك وجب على الإنسانِ أن يثلجَ قلبَه ليزدادَ جمالُه لأنَّ جمالَ العلانيّةِ مِنْ جمال السّريرةِ ،وهي (المُضْغَة)، وذلك أن القلبَ إذا سُرَّ استنارَ به الوجهُ، فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ -:«.....أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ». (1)

عن خالد الرَّبعي، قال: كان لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- عبدًا حبشيًّا نجَّارًا، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، قال: أخرج لنا أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله، ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، فقال: أخرج لنا أَخْبَثَ مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج لنا أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما،

(1) (صحيح): أخرجه مسلم من حديث أَبِي عَبْدِ الله النُّعْمَان بن بشير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في : 22 – كِتَاب الْـمُسَاقَاةِ : 20 – بَاب أَخْذِ الْـحَلاَلِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ. [رقم (1599)، الْبُخَارِيّ(52) – طرفه : (2051)،و أحمد (4/ 270:18402)،أبو داود(3984)].

وأمرتك أن تخرج لنا أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما، فقال له لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- : « إِنَّه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، و لا أخبث منهما إذا خَبُثَا». (1)

... فكأنَّه ﷺ يبيِّنُ لنا كيف نتجنّبَ ضغطَ الدَّمِ، واضطرابَ القلبِ، وقرحةَ المعدةِ، وغيرها من الأمراض الّتِي هي وليدةُ ارتفاعِ ضغطِ الدَّمِ، و الذي هو وليدُ الغضبِ النَاتِجِ عَنِ الضَّجِيجِ والصِّراعِ غير الواعي في العقلِ الباطنيِّ، اللذيْن هما وليدا عدم الصَّفحِ و لو كان الصّفح ما هاجَتْ براكين النّفس. (2*)

المبحث الثالث :الوصايا المطفئة لنار الغضب «وصايا ذهبيّة» «نصائح من ذهب»

عندما تهبُّ نيرانُ الغضبِ في الإنسانِ، يجبُ عليه أن يتوضَّأَ بالماءِ قبل فوات الأوان، كما قال معلمُنا وحبيبُنا و شفيعُنا و طبيبُنا الَّذي يفكّرُ في سلامتِنا محمّدٌ النبيّ ولد عدنان ، عليه أفضل الصّلاة و أزكى السّلام :« إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ،وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»(3). لأنَّ أخطر الأمراض تأتي من الغضب.

فإذا اشتعَلتْ نيرانُ و براكينُ الغضبِ أحرقَتِ العقلَ و طمست نورَه ، و إذا حضَرَ الغضبُ غابَ العقلُ، و إذا دخلَ الغضبُ خرجَ العقلُ من الإنسـانِ، ونزلَ إلى مرتبةِ الحيوانِ، وأصبحَ

(1) الزهد لأحمد بن حنبل، وتفسير الطبري، والمصنف لابن أبي شيبة،و ذكره في البداية و النهاية:2/ 151، وانظر : وصايا لقمان و حكمه (ص: 106، 107 أحمد بن عاشور).

(2*) للاستزادة انظر :(الفصل الرابع : التسامح حياة)من هذا الكتاب الذي بين يديك.

(3) أخرجه أبو داود في: 35 – كِتَابِ الأَدَبِ : 4 – بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الغَضَبِ . [رقم (4784)، إسناده ضعيف . أحمد(4/ 226:18007)].

تحتَ تأثيرِ الثَّورةِ و الهيجانِ، فإذا حضرَ الغضب فَلاَ يجبُ للغاضبِ أن يتكلَّمَ ، و لا يجوز للغاضب أنْ يسوقَ السَّيَّارةَ، و لا ينبغي للغاضب أن يتصرَّف في أمرٍ مَّا لأنه بدون عقلٍ.

و أيضًا لا يجوزُ أن يبرمَ أيَّ عقدٍ من العقودِ ، أو صفقةٍ من الصَّفقاتِ حتى يصرِّح و يقول (و أنا في كامل قواي العقليّة)، أو علاج إذا كان طبيبًا : و لا ينبغي للغاضب أن يمارسَ في حالة غضبِه الأعمالِ الخطيرةِ ، مثل نجَّار أو حَّام أو ...،و لا يجوز للقاضي أن يقطع أمراً حتّى يزول غضبه .عن أَبِي بَكْرَةَ : أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى ابْنِهِ ، وَكَانَ بِسِجِسْتَانَ، بِأَنْ لَا تَقْضِيَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا [يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ] بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ »؛ [1]

وهناك مقياس للصِّحة النفسيَّة لقياس الخوف، و عدم التَّكافؤ و الاكتئاب و العصبيَّة، و القلق و ارتفاع ضغط الدَّم ، و الارتعاش ،و السيكوسوماتيَّة ، والاضطرابات الحشويّة ، و الحساسية و الشّك [2].

و هناك مقياس الاستبيان*النَّفسي ، و استفتاء مشكلات الشّباب ، و اختبار مفهوم الذّات و اختبار التَّوافق الشّخصي و الاجتماعي ، و اختبار الشّخصيَّة المتعدِّدة الأوجه ، و اختبار الشَّخصيَّة السَّويَّة ، و اختبار التّشخيص النَّفسي. [3]

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 93 -كتاب الأحكام : 13 -بَاب هَلْ يَقْضِي الْقَاضِي أَوْ يُفْتِي وَهُوَ غَضْبَانُ؟ [رقم(7158)، مسلم (1717)، أبو داود (3589)، و النسائي (5406)، و ابن ماجه (2316)، و أحمد (5/ 36:1 2040..)، و التِّرْمِذِيّ (1334)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص :358 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان].

(2) د.حامد عبد السلام زهران ، الصحة النفسية ، مكتبة عالـم الكتب ، الإسكندرية، 1977 ، ط2 ، ص27 .

(3) د. حامد عبد السلام زهران ، ص 27،28.

* الاستبيان النَّفسي :أي الاستِبانة النّفسية .

... و من أسباب الطّلاقِ كذلك الغضبُ لأنَّ الإنسانَ في حالة الغضبِ يفقدُ عقلَه، و كذلك النِّزاعات ،و حتّى الجرائم الكبرى تأتي من الغضب (مثال من الواقع: رجلٌ قتلَ أباهُ في حالةِ غضبٍ. هناك سرٌّ ، أنبهكم إليه ،هو أنَّ الغضب تأشيرة ومدخل للشَّيطان في الإنسان كما قال ﷺ في معنى الحديث يدخل الشَّيطان من ثلاثة أبواب منها: الغضب... فإذا قتل الإنسانُ فإن الشيطانَ هو الذي سَاقَه لأنَّه بدون عقلٍ ، و الشَّيطانُ انتهزَ الفرصةَ فإذا طَلَّقَ الإنسانُ زوجَته بثلاثٍ فإن الشَّيطان هو الذِّي وسوس له ليرتكب هذه الجريمة.

لهذا أوصى النّبيُّ ﷺ ذلك الرجل الذي طلب النُّصحَ والوصيَّةَ فقال له : «لاَ تَغْضَبْ» فردَّد مرارًا «لاَ تَغْضَبْ ».عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي . قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» ، فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ :«لاَ تَغْضَبْ»[1] . وقد أوصانا معلِّمُنا و حبيبُنا خيرُ خلقِ الله محمد رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث بإزالةِ نارِ الغضبِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا : «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَ هُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ ، وَ إِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»[2] .

و أن يتعوذ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ كما جاء في سورة [الأعْرَاف] و سورة [المُؤْمِنُون] و سورة [فُصِّلَت] .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعْرَاف: ١٩٩، ٢٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ ادْفَعْ

(1) [رواه البُخَارِي (6116)].

(2) أخرجه أبو داود في: 35 – كِتَابِ الأَدَبِ: 4 – بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الغَضَبِ .[رقم (4782) ، أحمد (5/ 152: 21406) و ذكر في أوله قصة]، رجاله ثقات و انظر «تهذيب الكمال» : (33/ 235).

بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[المُؤْمِنُون: ٩٦ – ٩٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَسۡتَوِى ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤ -٣٦].

فهذه ثلاث آيات في معناها بالنِّسبة للتَّحصُّن من نزغ الشَّيطان وهو أنَّ الله تعالى يأمر بمصانعةِ العدوِّ الإنسي والإحسان إليه ، ليردَّه عنه طبعهُ الطيِّب الأصيل إلى الموالاة والمصافاة ، ويأمر الله بالاستعاذة به من العدوّ الشَّيطاني لا محالة ، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدَّة العداوة بينه وبين أبينا آدم من قبل .

وقد أقسم للوالد أبينا آدم -عَلَيْهِ السَّلامُ- أنه له لـمن الناصحين ، وكذب ، فكيف معاملته لنا وقد قَالَ: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[صٓ : ٨٢ ، ٨٣].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النَّحْل: ٩٨ – ١٠٠].

و يقول : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَ نَفْخِهِ وَ نَفْثِهِ »[1]؛الْحَدِيثَ .

مع قراءة القرآن العظيم و الشرح (أي تفسير القرآن العظيم) [2*]

❊ ❊ ❊

(1) رَوَاهُ أَحْمَدُ رقم : [(4/ 85 :16784..) ، أبو داود (764)، و ابن ماجه (807)] قال عمرو : همزه : الموتة ، و نفخه : الكِبْر ، و نفثه : الشعر .

(2*) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى.

وقد ورد في الحديث النبوي : «القرآن غنى لا فقر بعده و لا غنى دونه »[1].

و القرآن كتاب الله العظيم أنزله الرب العظيم على نبيه ذي الخلق العظيم ، و لا بد لصاحب القرآن الذي يحمله أن يتفكر في معانيه السامية لينتفع به في الدارين ، فالله تعالى يقول : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النِّساء: ٨٢]، و يقول أيضا ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعَام: ٩٢]، أي مصدق الكتب السابقة كالتوراة و الإنجيل و الزبور ، و يقول أحد المهتمين بالقرآن : إن حملة القرآن اليوم منهم من يقرؤه و لا يفهم مَعَانِيَهُ ، و منهم من يفهم معانيَ القرآن و لا يعمل به ، و الثالث يعمل به و بأوامره و ينتهي بنواهيه و يحلل حلاله و يحرم حرامه و يجعله نِبراسَ حياته حتى يُصبحَ إنسانا قرآنيا في أقواله و أفعاله و تقريراته .

و هذا هو السابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ...

و سئلت أمّنا عائشة -رضي الله عنها- عن خلق الرسول ﷺ فقالت : « كان خُلُقُهُ القرآن » و معنى هذا أنه -عليه الصلاة و السلام- ، صار مثلاً أعلى للقرآن الكريم ، أمرا و نهيا ، سجية له ، و خلقا تطبعه ، و ترك طبعه الجبلي فَما أمره القرآن فعله ، و ما نهاه عنه تركه.

و الواجب على من لا يعلم القرآن أن يتعلم تفسيره ، و الذي يعلم تفسيره ينبغي له أن يقف عند حدوده و يعملَ بأوامره و يجتنب نواهيَهُ ، حتى لا يشهدَ القرآنُ على تقصيرهم فيه ، و يوم القيامة يجئ القرآن شافعا للعاملين به. و يـجيئ أيضا مَا حِلٌ [*] مصدَّق يشهد على المتهاونين بأحكامه و الناسين تلاوته ، و يقول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٣٣]،و يقول :﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحَدِيد: ٢١].

... « **و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** »[2].

.... انظر صفحات فهرس المصادر و المراجع «مفسري القرآن العظيم» ..... من هذا الكتاب .

(1) [رواه الدارقطني].

(*)مَا حِلٌ : أي مطالبه عن تضييع حقوقه.

(2) [رواه الدارمي].

الفصل الثالث :

التّسامح وسيلة وغاية

التّسامح وسيلة و غاية

لعلّ من سمات التّسامح أنَّه وسيلة وغاية : وسيلة تصل بها إلى قلوب الآخرين ، و غاية تُرضِـي بِها ربّ العالمين .

الطّرق التي تجعل عقل خصمك يتهلّل ترحيبًا ، طرق بصريّة سمعيّة و حسيّة وهي:

الطّريقة الأولى :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ [لُقْمَان: ١٨].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ »[1] ،والوجهُ الطّلقُ هو الوجه البشوشُ الذِّي يظهرُ السّرورَ عليه .

وقال الصحابي الجليل عليٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: (ما أضمر أحدٌ شيئًا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)، وقال أيضا : (من أصلح سريرته أصلح الله علانيته):[2]

وما القلب إلّا باب وجهين ترونه أفيه دموع أم بسمات .

وَأَنْشَدَ عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الـمُؤَدِّبُ :

لَا يَنْكُتُونَ الأَرْضَ - عِنْدَ سُؤَالِـهِمْ *** لِتَطلُّبِ الحَاجَاتِ - بِالْعِيدَانِ

بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَـهَـا *** عِنْدَ اللِّقَاءِ كَأَحْسَنِ الأَلْوَانِ.[3]

---

(1) أخرجه مسلم في : 45 - كِتَاب الْبِرِّ وَ الصِّلَةِ وَ الآدَابِ : 43 - بَاب اسْتِحْبَابِ طَلاَقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ . [رقم (2626) ، و النووي (16/ 135، 136)،و أحمد (5/ 173: 21575)].

(2) من كلام الصحابي الجليل عليّ بْن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص : 375 -379 محمد رضا).

(3) المنتقى من مكارم الأخلاق (145)،(البحر الكامل).

طريقة صوريّة بِلُغَةِ الملامح أيْ لُغَة الصُّور، صورةٌ خيرٌ من ألفِ كلمةٍ . لسانُ الحالِ أصدقُ وأبلغُ من لسانِ المقالِ . صورةٌ لاَ دَاعِي للتّعبيرِ عَنها، صورةُ المسامِح أَمَامَكُم ، و القرارُ عند عقولِكُم (ما من جملة من الرّوح و القلب إلّا و تساويها جملة من البدن و الوجه) .

(فإذا سلمت السَّريرة سلمت العلانيَّة) كما هو مبسوط في حكم وأمثال عبد الرَّحمَن المَجْذُوب: الْقَمْحْ إِيْسَمُّوهْ الْرِبَحْ *** ذَرِّيهْ يَمْشِي غْبَـــارُ

و الْقَلبْ إذا كَانْ مسامح *** الوجه يَعْطِيكَ اخْبَارُ[1]

(فالوجه هو مرآة القلب) .....الخ.

رسم الحلم و الابتسامة على الوجه: ارسمْ ابتسامةً على وجهك و أظهرْهَا لأنّها ملك يمينك ، و اعترفْ ، و اعلمْ أنّك تصادف المرّة الأولى بعض العناء من التّكلّف و قسر نفسك على أن تكون مرحًا مسرورًا ، فإن فعلت هذا شعرت بالتّحسُّن في شعورك و صحّتك وحلمك و جمالك ، و تشعر بالسّعادة و بهجة الحياة بل و الصِّحة و العافية أيضًا ، و يتغيَّر اتجاهك الذِّهني من الاضطراب إلى الاِتّزان و قلبك من القساوة إلى الرِّقّة و التّسامح و الصّفح وأنت منفتح مبسوط منشرح واسع الصدر: « **وسعني قلب عبدي المؤمن** » ، و تملك تأشيرة تدخل بها القلوبَ و الأرواح و العقول دون استئذان فروحك تمتزج مع أرواح الخلق، و قلبك يتصافح مع قلوبهم ، حتّى و إن كنت بعيدًا فبحلمك و مودّتك تكن قريبًا. "رُبَّ بعيد أقرب من قريب ، و قريب أبعد من بعيد".[2]

(1) من كلام الشيخ سيدي عبد الرَّحمَن الـمَجْذوب(ص :144 عَبْدُ الرَّحمَن ربَّاحِي).

(2) من كلام الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص : 374 محمد رضا).

أجسادكم متباعدة ، و قلوبكم و أرواحكم متقاربة ، فتقارب القلوب و الأرواح أحسن من تقارب الأشباح .عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قال :(قرابة الرَّحم تُقْطَعُ ، ومِنَّةُ النِّعمة تُكْفَرُ ، ولـم يُرَ مثل تقارُبِ القُلُوبِ) .

روى الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه مـعلقاً جَازِماً بـه عَـنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ،فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ،وَمَا تَنَاكَـرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ».(1) فتصبح لست قريبًا من أجسادهم و لكن لست بعيدًا من قلوبهم أيضًا يعني : بعيداً عن أجسادهم و لكن قريبٌ من قلوبهم و أرواحهم و مودّتهم أيضاً .

"وَ قَالَ بَعْضُ الْـحُكَمَاءِ : الْبَعِيدُ قَرِيبٌ بِمَوَدَّتِهِ ، وَ الْقَرِيبُ بَعِيدٌ بِعَدَاوَتِهِ "(2).

هنا الطريقة الثانية: بلغة الأحاسيس

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٨٦] ، وَقَـالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المُؤْمِنُون: ٦٠ ، ٦١].

... و طريقة التّصافح بالأيدي لغة الأحاسيس ، فهذه الطريقة بها تزيل الشّحناء و العداوة بين إخوانك . فقد قال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - :«تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ، وَ يَوْمَ الْخَمِيسِ . فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. إِلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ . فَيُقَالُ:أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا . أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا . أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا »(3)

---

(1) (صحيح ، متفق عليه) : أخرجه البخاري في : 60 – كِتَاب أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِم السَّلاَمُ - :2 – بَاب الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ؛ من حديث عائشة . [رقم (3336)، و مسلم (2638) من حديث أبي هريرة، و أحمد(2/ 295:7970)،تاريخ بغداد (6/ 299:2516..)].

(2) أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين : 203.

(3) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 45 – كِتَاب الْبِرِّ وَ الصِّلَةِ وَ الآدَابِ : 11 – بَاب النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَ التَّهَاجُرِ .[رقم (2565)،و أبو داود (4916)، أحمد (7639)].

وَ قَالَ ﷺ : «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ ، فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ » (1).

أسرعْ.. أسرعْ.. أسرعْ.. أصلحْ ذات بينك مع أخيك في الله فصافحهُ بحرارةٍ و حنانٍ و عطفٍ وابتسامةٍ حتّى تعلُوَه البشاشةُ و يفيضَ وجهُهُ غِبطةً ،لِتُـمْحى و تزولَ كلُّ عقدةٍ عقدَهَا الشّيطانُ بينكما، فهذا هو التَّحررُ النَّفسيُّ و الشُّعوريُّ، و هذا فيض القلوبِ بالسّلامةِ و الحنانِ و ذوبانِ النّفوسِ ،و إنّهُ كالماء البارد العذب الطّهور الذِي كلَّما ازددْتَ منه شرباً ازددتَ لَهُ طلباً ، فترجع القلوب إلى ترابطِهَا و إلى الودِّ و الحنانِ و الأخوَّةِ. فلا ينبغِي أَنْ تنفرَ من أخيكَ ،و لا تُعِنِ الشَّيطان عليه، واصرفْ ذَلِكَ إِلَى فَتَرَاتِ النُّفُوسِ وَ اسْتِرَاحَاتِ الْـخَوَاطِرِ ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَغَيَّرُ عَنْ مُرَاعَاةِ نَفْسِهِ الَّتِي هِيَ أَخَصُّ النُّفُوسِ بِهِ، وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عَدَاوَةٍ ،و لكن يبدو أنهُ من المصادر المتنوِّعة من الضّغوط الخارجيّة بما فيها ضغوط العمل و الضّغوط العائليّة ، و ضغوط تربية الأولاد و هذه الأحداث اليوميّة .فالْتَمِسْ لأخيك سبعين عذراً، قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - :« كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» . (2)

ولو أنّ البشرَ لاَ يخطئُونَ لكانوا غَير بشر، و لكنّهم بشرٌ.

---

(1) (صحيح،متفق عليه):أخرجه مسلم من حديث أبي أَيُّوب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 45-كِتَاب الْبِرِّ وَ الصِّلَةِ وَ الآدَابِ: 8-بَاب تَحرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلاَثٍ بِلاَ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ. [رقم 25-(2560)،البخاري (6077)، و النووي (16/ 91،92)، أبو داود (4911)، و أحمد (5/ 416)، و التِّرْمِذِيّ (1932)].

(2)أخرجه التِّرْمِذِيّ من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي :35 - كِتَابُ صِفَةِ القِيامَة و الرقائق و الورع :114 - باب في رؤية اللنوب و التوبة. [رقم (2499) ، ابن ماجه (4251) ، و الدارمي (2769)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ، عَنْ قَتَادَةَ ».

فلو أنّ البشرَ لا يخطئون لكانوا ملائكةً معصومين، و لكنَّهم بشرٌ، وقد رُكِّبَ البشرُ على الخطإِ و الصّواب ، و رُكِّب الملائكة -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التَّحْرِيم: ٦]... الآية ، على الصّواب فقط .فهم معصومون من الخطإِ.

فينبغي النَّظرُ إلى خلقِ الله بِعيـنِ الرّحمةِ و الإخاءِ و المودّةِ و الإحســانِ لا بعينِ القصاصِ.(*1) و ينبغي التماسُ الأعذارِ فسامحوا ذَوِي الهفواتِ و اعلمُوا أَنَّ لكلِّ شخصٍ عثرات ، والتمسُوا لبعضكم الأعذارَ مهما كانت ولو واهيَّة ، وَمَهْمَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ أَخُوكَ كَاذِبًا كَانَ أَوْ صَادِقًا فَا قْبَلْ عُذْرَهُ . قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ -: « مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ فَعَلَيْهِ مِثْلُ إِثْمِ صَاحِبِ الـمَكْسِ ».(2)

- فَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَرْضِيَ قَلْبَكَ بِنَفْسِكَ نِيَابَةً عَنْ أَخِيكَ ، وَ تَتَصَوَّرَ تَـمْهِيدَ عُذْرٍ فِيهِ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ فَهُوَ وَاجِبٌ بِحَقِّ الأُخُوَّةِ ، وَقُلْ : لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا لاَ أَعْلَمُهُ : وَمِنَ الأَعْذَارِ مَالَا يُذْكَرُ ؟! فَقَدْ قِيلَ : " يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِط لِزَلَّةِ أَخِيْكَ سَبْعِينَ عُذْرًا - أَي: تَلْتَمِسَ لأَخِيكَ سَبْعِيْنَ عُذْرًا - فَإِنْ

(1*) قال الإمام مالك في الموطأ : أنه بلغه أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ -عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ- كَانَ يَقُولُ : « لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله ، فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ الله ، وَلَكِنْ لاَ تَعْلَمُونَ. وَلاَ تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ ، وَ انْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ ، فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلًى وَمُعَافًى، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلاَءِ ، وَاحْمَدُوا اللهَ عَلَى الْعَافِيَةِ ». أخرجه الإمام مالك في : 56 -كتاب الْكَلاَمِ: 3 -بَاب مَا يُكْرَهُ مِنَ الْكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله. [رقم(8)،و البيهقي في «شعب الإيمان»(4/ 263)،وابن عساكر في«تاريخه»(5/ 309) من طرق عن مالك به]،وانظر : [«الضعيفة»(908)].

..." جاء رجل يسمى ابن الكواء واقترب من الربيع بن خثيم فحياه وقال باسماً : مانراك تعيب أحدًا أو تذمّه ؟ فقال وقد اتسمت عليه علامات الغضب : ويلك يا ابن الكواء ما أنا عن نفسي براضٍ ، فأتفرغ من ذنبي إلى الحديث عن الناس ....، إن الناس خافوا الله تعالى على ذنوب الناس، وأَمِنوه على نفوسهم ... الخ" ( )

( )انظر : الحلية ج 2 ص : 11 ، وانظر : قصص التابعين حياة الربيع بن خثيم (ص: 55، 56 مَحْمُود الـمصْرِي أبو عمار) .

(2)أخرجه ابن ماجه ، وأبو داود في المراسيل من حديث جودان واختلف في صحته ، وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في «الأوسط » من حديث جابر بسند ضعيف .

لَـمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَرُدَّ اللَّوْمَ عَلَى نَفْسِكَ ، فتقول لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَخُوكَ سَبْعين عُذْرًا فلا تقبله ، فَأَنْتَ الْـمَعِيبُ لَا أَخُوكَ ".[1]

وواجِبُنَا العمليّ نظَّمه لنا الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله :

اِقْبَـلْ مَعَاذِيرَ منْ يَأْتِيكَ مُعْتَـذِرًا *** إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فيما قَالَ أَوْ فَجَـرَا

لَقَدْ أطاعَكَ مَنْ يُرْضيكَ ظَاهِرُهُ *** و قدْ أَضَلّكَ منْ يَعْصيكَ مُسْتَتِرَا[2]

و قال :

قِيلَ لِي قَدْ أَسَـا عَلَيْكَ فُـــــلَانُ *** وَمُقَـامُ الفَتَى علَى الـذُّلِّ عَـارُ

قُلْتُ : قَدْ جَاءَنِي وَأَحْـدَثَ عُـذْرًا *** دِيَّةُ الذَّنْـــبِ عِنْدَنَا الإِعْتِـذَارُ.[3]

هنا: الطّريقة الثالثة بلغة الكلام:

عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : « مكتوب في الحكمة ، بُنَيَّ : لِتكنْ كلمتك طيِّبة ، ولِيكن وجهك بسطًا ، تكن أَحبَّ إلى النَّاس مِمَّن يعطيهم العطاء ».[4]

... كما حَرَّمَ رسولُ الله ﷺ المخاصمةَ، و نهى المسلمين أَنْ يهجُرَ بعضهم بعضاً فوق ثلاثة أيّام، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « لَا تَبَاغَضُوا ،وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا ،وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».[5] وَ قَالَ

(1) للاستزادة انظر : إِحْيَاء عُلُوم الدِّين ، ج 2 / كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثاني ، الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة ...

(2) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 67 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله) ،(البسيط).

(3) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 71 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)، (الخفيف).

(4) الزهد لأحمد بن حنبل ، والزهد والرقائق لابن المبارك ، ومداراة الناس لابن أبي الدنيا ونسبه الألوسي في «تفسيره» لِلُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-،و ذكره في البداية و النهاية : 2/ 36، و انظر : وصايا لقمان وحكمه(ص:102 أحمد بن عاشور).

(5) (صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78- كتاب الأدب: 57 - بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ .[رقم(6065)، مسلم (2559)].

- عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - : «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ،يَلْتَقِيَانِ ،فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ ».[1]كذلك حال الزّوج و الزّوجة .أو الصّديق أو القريب الذي يدَّخر عواطفه، فلا يعطي أحدهما الآخر حبّه و حنانه، (وقد قال ﷺ: لمن قال له إني أحب فلاناً :) عن أنس بن مالك، قال: مرَّ رجل بالنّبي ﷺ وعنده ناس، فقال رجلٌ ممن عنده: إني لَأُحِبُّ هذا لله .فقال النّبي ﷺ : «آعْلَمْتَهُ؟» قال: لا. قال: «فقم إليه فأعْلِمْهُ». فقام إليه فأعلمه، فقال: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ.قال: ثم رجع إلى النّبي ﷺ فأخبره بما قال، فقال النّبـــي ﷺ : « أنت مَعَ مَنْ أَحببتَ، و لكَ ما احتسبْتَ»[2]. وقال أيضا ﷺ : « إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ »[3].

و الحكمةُ من ذلك أن تحصلَ بينهما المودّةُ و الصِّلةُ و التّزاورُ و المناصحةُ و التّعاونُ ، فتزداد بذلك المحبّةُ و تتوثَّق عُرَى الأخوّةِ فبهذه العبارات الرّقيقة و الكلمات العذبة تملأ أجواءَ الحياةِ الأسريّةِ عطراً فوّاحًا يزكّي القلوبَ و يحيي النّفوسَ ، فيا أخي المخطئ اجعل كلامَ رسولِ الله ﷺ يغيِّر اتجاهَ أفكارِك ،و ابدأْ أنتَ بالسَّلامِ ، و اظهر العاطفةَ و الصِّفات الحميدة و الكلمات الطيِّبة، لأنّها مفتاحٌ للخيرِ مغلاقٌ للشَّرِ،و اجهرْ و قلْ إنّنا إخوة و هذا الهجر لا يصحّ، أنا لـم أقصد أبداً أن أفعل ما فعلته معكم، و لـم أقصد أن أغضبكم، أنا لـم

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث أَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِيّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -في:78- كتاب الأدب: 62- بَابُ الهِجْرَةِ وَقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ:«لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ » .[رقم(6077)، مسلم (2560)، و النووي (16/ 91،92)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 552،553 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب ، باب تحريم الهَجْرِ فَوْقَ ثَلاَثٍ بِلاَ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ].

(2) أخرجه ابن حجر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابيح الصفحة أو الرقم / 4/441 خلاصة حكم المحدث : حسن كما قال في المقدمة و رواه الطبراني في المعجم الأوسط ،وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (3253)]باب الأدب والاستئذان .

(3) أخرجه أبو داود في : 35- كِتَابِ الأَدَبِ : 121- بَابُ إِخْبَارِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ بِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ .[رقم (5124)، أحمد (4/ 130:17171)، و التِّرْمِذِيّ (2392)، و النسائي في «الكبرى»: (9963)] . وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (797)] في باب الأخلاق والبر و الصلة.

أكن أعلم غير ذلك إنِّي اشتقت إليكم كثيراً ،و ما استطعتُ التّعودَ على غيابكم، يا إخواني لا تبقوا حابسين حالكم بالحزن . لتعرفوا الحزن لا يصير إلّا عن النّاس الّذين يستأهلونه(*1) أرجوكم سامحوني و خلصوني من هذه الأحزان أنتم أنَاسٌ طيِّبون و لو تعرفون كم هي معزَّتكم عندي كبيرة حتى لو تسامحونني أنا لا أسامح نفسي (*2) و لو تعادونني و لكن ستصيرون أحبّائي في المستقبل :

" و إذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ ** جاءت محاسنهُ بألْفِ شفيع "..... و أظلُّ أسامحُ الجميعَ ؛هيَّا بنا نقضي وقتاً طيِّباً معـاً و اعلموا أنني أحبّكم جدًّا و إن كنت قد أخطأت في حقِّكم فأنا آسف، المسامحُ كريمٌ ... و تستجيب النّفس لهذا الإحساس و يبعثُ العقل الباطن إلى جميعِ الجسمِ بإشاراتهِ الإيجابيّة من وراء هذا السِّتار و الكلام الطيّب و الطّرق الجميلة فينتفع بها و يتهلّل العقل ترحيباً بها.

فهذه كلّها أحاسيس، والمشاعر و الأحاسيس هي وقودُ الفعلِ ، فبمجردِ الشّعورِ و الإحساس يأتي الفعلُ، فتبدأ العقولُ تدعمُ، فتلغي كلَّ ما هو سلبيٌّ وتجلبُ كلَّ ما هو إيجابيٌّ و تفتحُ كلّ ملفّات الماضي الجميل ،من أيام الطّفولة إلى اليوم وهي على طولها كأنّها حُلْم ذكرى تدقّ مثل النّاقوس في عالـم النِّسيان .

فبهذه اللمسات الوفيَّة المعبّرة ،بها يتخلّص الإنسان من السّلبيات ،و تهبُّ رياحُ المشاعرِ الجميلـةِ و نسمات السماحة و تنطفيء نيران العــداوة و يعمّ الْوُدُّ من جديد فيقولون ... الحـقّ معك فيلغون من عقولهم كلّ السّلبيات و تتصافح القلوب من جديد. وواجِبُنَا العمليّ:كم هو جميل أن يكون في قلوبنا متَّسع لنسيان أخطاء إخواننا والأجمل أن يكونَ

(*1)إلّا عن النّاس الّذين يستأهلونه : أي الذين هم أهلا له .

(*2) .. لا بل سامحها ..

اِقتداؤنا بقدوتنا الذي وصفه الله بقوله : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التّوبَة: ١٢٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحْزَاب: ٢١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[1].

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البخاري في العلل الكبير الصفحة أو الرقم/ 369 خلاصة حكم المحدث :يروون هذا مرسلا ،وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة، و الذهبي في تاريخ الإسلام ،و انظر:[«السلسلة الصحيحة » (3253)]باب الأدب والاستئذان ، وللاستزادة انظر : تفسير ابن كثير للآية الكريمة [107 من سورة الأنبياء -عَلَيْهِمُ السَّلامُ-].

العفوُ عند المقدرةِ من شيَمِ الرّسلِ -عَلَيْهِمُ السَّلامُ-.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يُوسُف: ٨٨ – ١٠٠].

عندمَا تَنَاوَلْتُ قصصَ الرّسلِ -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- رأيتُ أنَّ حياتَهم محفوفةً بالسماحةِ و الوفاءِ و العفو عند المقدرةِ، فقصّةُ يوسف -عَلَيْهِ السَّلامُ- مع إخوته و موسى -عَلَيْهِ السَّلامُ- مع قومه و محمّد -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- مع أصحابه ،كلّهم شيمهم السّماحة و الوفاء.

و كلُّ ما يصنعه المرءُ هو نتيجةُ لما يدورُ في فكرهِ ،فالخالقُ سبحانه و تعالى وَكَّلَ الإنسانَ السّيطرة على الأرضِ و ما عليها ، و كلّ ما نطمع فيه السّيطرة على أنفسنا و حسب ،السّيطرة على أفكارنا و أحقادنا ، السّيطرة على عقولنا ، السّيطرة على أفعالنا فالرّسل -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- كلهم: شيمتهم السّماحة و الوفاء ،يوسف -عَلَيْهِ السَّلامُ- عفا عن إخوته كما قال يوسف -عَلَيْهِ السَّلامُ- لإخوته :

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يُوسُف: ٩٢]

مع قدرته على مؤاخذتِهم و مقابلتِهم على صنيعهم به.

... (" وأمّا الحِلْم والاحتمالُ ، والعفوُ مع القدرة ، والصّبْرُ على ما يُكْرَه؛ وبَيْنَ هذه الألقابِ فرقٌ، فإنّ الحلْم : حالةُ توقُّر وثَباتٍ عند الأسباب المحرِّكات . والاحتمالُ : حبْسُ النّفس عند الآلام والمؤذيات . ومثْلُها الصّبر ، ومعانيها متقاربةٌ .

وأمّا العفْوُ: فهو تَرْكُ المؤاخذة . وهذا كلُّه مـمّا أدّب اللهُ تعالى بِه نبيَّه ﷺ، فقال : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعْرَاف: ١٩٩].

- رُوِيَ أنّ النّبيَّ ﷺ لما نزلت عليه هذه الآيةُ سأل جبريل -عَلَيْهِ السَّلامُ- عن تَأْوِيلها ، فقال له : حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِـمَ .

ثم ذهب فأتاه ، فقال : « يَا مُحَمَّدُ! إنَّ اللهَ يَأْمُرُك أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» .

وقال له : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقْمَان: ١٧].

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحْقَاف: ٣٥].

وَقَالَ : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النُّور: ٢٢].

وَقَـالَ : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشُّورَى: ٤٣].

ولا يَخْفَى ما يُؤْثَر من حِلْمِه واحتماله ، وأَنّ كلَّ حليم قد عُرِفَتْ منه زَلَّة ، وحُفِظَتْ عنه هَفْوة، وهو ﷺ لا يزيدُ مع كَثْرة الأَذى إلا صَبْراً ، وعلى إسراف الجاهِل إلا حِلْماً .

والإعراض عن الجاهلين أي ترك المؤاخذة فلا يؤاخذهم بما يصدر منهم من قول وعمل. عن عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ:«لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ [مَا لَقِيتُ]، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ،فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». (1)

– ورُوي أنَّ النّبيَّ ﷺ لما كُسِرَت رَبَاعِيَتُهُ وشُجَّ وَجْهُهُ يوم أُحُد شَقَّ ذلك على أصحابه شقّاً شديداً ، وقالوا : لو دعَوْتَ عليهم! فقال: « إني لم أُبْعَث لَعَّاناً ، ولكني بُعِثْت داعياً ورحمة . اللَّهُمَّ ! اَهْدِ قومي فإنهُم لا يَعْلَمُون» (2) .

– ورُوي عن عُمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال في بعض كلامِه : بِأَبي أَنْتَ وأُمِّي يا رسولَ الله ! لقد دعا نوحٌ على قومه ، فقال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نُوح: ٢٦].

(1) (صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 59 – كتاب بدء الخلق : 07 –بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ ..... ، [رقم(3231)، مسلم (1795)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 382 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين] .وانظر :[«السلسلة الصحيحة »(3546)]، باب الإيمان والتوحيد والدين والقدر.

(2) [البخاري (2903)،مسلم(1790)].

ولو دعوتَ علينا مثْلَها لهلَكْنا عن آخرنا ، فلقد وُطِيءَ ظَهْرُك ، وَأُدْمِيَ وَجْهُك، وكُسرت رَبَاعِيَتُك ، فأبيتَ أَنْ تقولَ إلاَّ خيراً ، فقلْتَ : « اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِقَوْمِي ، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

– ولـمّا تصَدَّى له غُوْرَث بن الحارث ليَفْتِكَ بِه ، ورسولُ الله ﷺ مُنْتَبِذٌ تحت شجرةٍ وحْدَه قائلاً ، والنّاسُ قائلون ، في غَزَاةٍ ، فلم يَنْتَبِهْ رسولُ الله ﷺ إلا وهو قائم ، والسيف صَلْتاً في يده ، فقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ فقال : «الله» فسقَط السيفُ مِنْ يده ،فأخذه النّبيّ ﷺ وقال : « من يَمْنَعُكَ مني ؟» قال : كُنْ خَيْرَ آخذٍ ، فتركه وعفَا عنه . فجاء إلى قومه فقال : جئتُكم مِنْ عند خَيْرِ الناسِ[1]

– ومِنْ عظيم خَبَرِه في العَفْوِ عَفْوُه عن اليهوديّة التي سمَّتْه في الشّاة بعد اعترافها. على الصّحيح من الرواية.[2]

–وأنه لم يؤاخِذْ لَبِيدَ بن الأَعْصَم إذ سحره ، وقد أُعلم بِه ، وأُوحي إليه بشَرْح أمره، ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته[3] .

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -:أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ طُبَّ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ صَنَعَ الشَّيْءَ وَمَا صَنَعَهُ ، وَ إِنَّهُ دَعَا رَبَّهُ ، ثُمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفتَيتُهُ فِيهِ»؟فَقَالَتْ عَائِشَةُ:فَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلاَنِ،فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي ، وَ الآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ،فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟قَالَ:مَطْبُوبٌ،قَالَ:مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ:لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ،قَالَ :فِيمَا ذَا؟ قَالَ:فِي مُشْطٍ وَ مُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلعَةٍ،قَالَ:فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ:فِي ذَرْوَانَ». وَ ذَرْوَانُ بِئْرٌ فِي بَنِي زُرَيقٍ،قَالَتْ :فَأَتَاهَا رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ،فَقَالَ: «وَ اللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ ،وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤوسُ الشَّيَاطِينِ».قَالَتْ:فَأَتَى رَسُولُ الله ﷺ

(1) [البخاري (2910)،مسلم(843)].

(2) [البخاري (2617)،مسلم(2190)].

(3) [البخاري (3268)،مسلم(2189)].

فَأَخْبَرَهَا عَن البِئْرِ،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ الله فَهَلاَّ أَخْرَجْتَهُ؟قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ،وَ كَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»[1] – وكان الرجلُ بعد ذلك يدخل على النبي ﷺ فلم يذكر له شيئًا، ولم يعاتبه قط حتى مات –

– وكذلك لم يؤاخِذْ عبدَ الله بن أُبَيٍّ ، وأشباهَه من المنافقين، بعظيم ما نُقل عنهم في جهته قولاً وفعلاً ؛ بل قال لمن أشار بقتل بعضهم : «دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[2] .

–وعن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ ، فَجَبَذَه الأعرابي بردائه جَبْذَةً شديدة حتى أَثَّرت حاشيةُ البُرْدِ في صفحة عاتِقِه ، ثم قال : يا محمد! احْمِلْ لي على بعيريّ هذين مِنْ مالِ اللهِ الذي عندك ، فإنك لا تحمِلُ لي من مالكَ ولا من مالِ أبيك .

فسكت النبيُّ ﷺ ، ثم قال : «المالُ مالُ الله ، وأنا عَبْدُه».

ثم قال : «ويُقَادُ منكَ، يا أعرابي! ما فعلتَ بي».

قال : لا .

قال : « لِمَ ؟» قال : لأنّكَ لا تُكافِئُ بالسيِّئةِ السيِّئة[3]

فضحك النّبيّ ﷺ ؛ ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعيرٌ ، وعلى الآخر تَـمْرٌ .

– قالت عائشةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ منتصراً من مَظْلِمة ظُلِمها قطُّ ، ما لم تكن حُرْمةً من محارِمِ الله . وما ضرب بيده شيئاً قطُّ إلا أن يجاهِدَ في سبيل الله . وما ضرب

---

(1) (صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في : 80/ 54 – كتاب الدّعوات : 57/ 57 – باب تكرير الدُّعاء .[رقم(6391)، مسلم (2189)].و قال البخاري : حدّثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُنْذِرٍ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ ، عَنْ هِشَامٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ عَائِشَةَ بِهِ، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (2761)].

(2) [البخاري (4905)،مسلم(2584/ 63)].

(3) [البخاري (3149)،مسلم(1057)].

خادماً قَطُّ ، ولا امرأةً[1]

– وجيء إليه برجل ، فقيل : هذا أراد أن يقتلك . فقال له النّبي ﷺ: « لن تُرَاعَ، لن تُرَاعَ ، ولو أردتَ ذلك لم تُسَلَّطْ عليّ »[2]

– وجاءَه زيد بن سَعْنَةَ قبل إسلامه يَتَقَاضَاهُ دَيناً عليه ، فجَبَذَ ثوبَه عن مَنْكِبه ، وأخذ بمجامع ثيابِه ، وأغلظ له ، ثم قال : إنّكم، يا بني عبد المطلب! مُطْلٌ ، فانتهره عُمر ، وشدَّد له في القول ، والنّبيُّ ﷺ يَتبَسَّمُ .

فقال رسولُ الله ﷺ: «أنا، وهُوَ، كُنّا إلى غير هذا منك أحْوج، يا عمر! تَأْمرني بحُسْنِ القضاء ، وتأمره بحُسْن التقاضي ».

ثم قال : «لقد بقِيَ من أجَلِهِ ثلاثٌ»وأمر عُمر يَقْضِيه مالَه ويزيده عشرين صاعاً لِمَا رَوَّعَه ؛ فكان سببَ إسلامه ،وذلك أنه كان يقول : ما بَقِيَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عرَفْتُها في محمد إلاَّ اثنتين لم أَخْبُرْهما: يسبقُ حِلمُه جَهْلَهُ ، ولا يزيده شدَّةُ الجهل إلا حِلْماً . فاختبره بهذا ، فوجده كما وُصِف .

والحديثُ عن حِلْمه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَ السَّلاَمُ - وصَبْرِه وعَفْوِه عند القدرة أكثَرُ من أن نَأْتِيَ عليه ، وحسبك ما ذكرناه [القَاضِي عِيَاضُ] : مما في الصّحيح والمصَنَّفات الثّابتة، إلى ما بلغ متواتِراً مبْلَغَ اليقين: مِنْ صبره على مُقَاسَاة قريش ، وأذَى الجاهليّة ، ومُصَابرته الشّدائدَ الصّعبةَ معهم إلى أن أظْفره اللهُ عليهم، وحكَّمه فيهم ، وهم لا يشُكُّون في استئصال شَأْفتهم ، وإبادة خَضْرائهم؛ فما زاد على أَنْ عفا وصفح.

(1) [البخاري (3560)،مسلم(2327، 3228)، و الترمذي (342)].

(2) [(أحمد3/ 471)]..

-وقال : «ما تقولون إنِّي فاعلٌ بكم ؟ »قالوا : خَيْراً ، أخٌ كريم ، وابنُ أَخ كريم ، فقال : « أقولُ كما قال أخي يوسف: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يُوسُف: ٩٢]« اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء»(1) .

- وقال لأبي سُفيان - وقد سِيقَ إليه بعد أن جلَب إليه الأحزابَ ، وقتل عمَّه وأصحابَه ومَثَّلَ بهم ، فعفا عنه ، ولا طَفَه في القول -: «وَيْحَك! يا أبا سفيانَ! أَلَمْ يَأْنِ (*2) لك أَنْ تعلَم أن لا إله إلا اللهُ؟ » فقال : بِأَبِي أنتَ وأُمّي، ما أَحْلَمَكَ وأوْصلك وأكرمكَ!. وكان رسولُ الله ﷺ أبعدَ النّاسِ غضَباً، وأَسْرعهم رِضاً، ﷺ .اهـ")(3).من القَاضِي أَبِي الفَضْل عِيَاضِ.

و الأحاديث و الآثار في هذا كثيرة جدًّا و الله سبحانه و تعالى أعلم فعندهم قوّة الانتصار مـمَّن ظلمهم و اعتدى عليهم و هم ليسوا بعاجزين و لا أذلّة بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم ولكنّهم مع كلّ هذا اختاروا العفو:

" لَا يَبْلُغُ الـمَجْدَ أَقْوَامٌ وَ إِنْ كَرَمُوا *** حَتَّى يَذِلُّوا وَ إِنْ - عَزُّوا - لِأَقْوَامِ

وَ يُشْتَمُوا فَتَرَى الأَلْوَانَ مُسْفِرَةً *** لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَ لَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامِ "(4).

و تذكّروا حديثَ أمِّنا عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -،حيث قالت : « إن رسول الله مكتوبٌ في الإنجيل: لا فَظٌّ ،ولا غليظٌ، ولا صخَّابٌ بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، بل يعفو

(1) [النسائي (10/ 134)].

(2*)قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦].

(3)نَقْلاً من الشِّفَا بِتَعْرِيْفِ حُقُوْقِ المصْطَفَى ﷺ للعَلاَّمَةِ القَاضِي أَبِي الفَضْل عِيَاضِ بن مُوسَى اليَحْصُبِي/ الباب الثاني « فصل فِي حِلْمِهِ وَ احْتِمَالِهِ وَ عَفْوِهِ وَ صَبْرِهِ ﷺ ص : 63،64،65،66».

(4) أَدَب الدُّنْيَا وَالدِّين : 344،(البحر البسيط).

ويصفح »[1]، وعنها -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ، قَالَتْ : « مَاخُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَـمْ يَكُنْ إِثْماً،فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله تعالى ، فَيَنْتَقِمَ لله بِهَا » [2].

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ لِعَبْدِ الْـمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي أُسَارَى ابْنِ الْأَشْعَثِ : «إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَاكَ مَاتُحِبُّ مِنَ الظَّفَرِ ، فَأَعْطِ اللهَ مَايُحِبُّ مِنَ الْعَفْوِ»[3]، وواجِبُنَا العمليّ كما قال الصحابي الجليل عليّ بنِ أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:" أولى النّاس بالعفو أقدرهم على العقوبة.

" وَإِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ ، فَاجْعَلْ الْعَفْوَ عنه شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ". [4]

❊ ❊ ❊

(1)[رواه الحاكم (2/ 614)، و غيره بإسناد حسن]، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (2458)].

(2)أخرجه البخاري في: 61- كِتَاب الـمَـنَاقِبِ: 23- بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ. [رقم (3560) أطرافه في (6126)، (6786)،(6853)، مسلم (2327)] . قال: حدثنا القاضي أبو عبد الله: محمد بن علي التَّغْلبي وغيره، قالوا: حدثنا محمد بن عتّاب حدثنا أبو بكر بن وافد القاضي وغيره، حدثنا أبو عيسى، حدثنا عُبيد الله قال: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن عُرْوَة عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، به.

(3) وللاستزادة انظر: أَدَب الدُّنْيَا وَالدِّين: الْفَصْلُ الرَّابِع فِي الْـحِلْمِ وَ الْغَضَبِ.

(4)من كلام الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص:375 محمد رضا)، و انظر: أدب الدّنيا و الدّين: الْفَصْل الرَّابِع فِي الْحِلْمِ وَ الْغَضَبِ.

سبحان الله الذي كرّم الإنسان بالعقل.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسْرَاء: ٧٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[التِّين: ٤].

... " يتكوَّنُ المخُ البشريّ من آلافِ الملايين من الخلايا ،و هناك مراكز في المخ لكافّة الوظائف النَّفسيَّة و البيولوجيّة للإنسان ،فهناك مركز للحركة و مركز للتّنفس و مركز لتنظيم نبضات القلب ،و كذلك هناك مركز للذّاكرة و السّلوك و المزاج و الوجدان .و يرتبط المخ بالحبل الشّوكي الذي يقع داخل العمود الفقري، و هو يحتوي على عدد ضخم من الخلايا العصبيَّة، و بذلك يتمكّن من نقل كلِّ أنواع المعلومات من و إلى المخّ.

– و تتصل الخلايا العصبيَّة التي يتكوّن منها الجهاز العصبي بعضها ببعض،بواسطة تشابكات عصبيّة، و هذه التّشابكات أو المسافات الرّقيقة بالرّغم من أنّها تفصل ما بين الخلايا ،لكنّها في الواقع تربط بينها كيميائيا، إنَّ الرسائل تتنقل بين خليّة و أخرى بواسطة مواد كيميائيّة تسمى النَّاقلات العصبيّة في المخ مثل البيروتونيين، دوبامين، ادرينالين... الخ يؤدِّي إلى اضطراب الوظائف النفسيّة للإنسان.وقد وجد«شلان»اختلاف نسبة السروتونين يؤدي إلى اضطرابات نفسيَّة "،لا تعدّ و لا تحصى و هذه الاضطرابات تنتج من بداية التّفكير في الانتقام و الإساءات و الأحقاد ، و الإهانات ،فهذه الصِّفات السّلبيّة كلّها تحوِّل العقل المتّزن إلى (العقل الـمضطرب) ، و العكس كذلك كلّ الصِّفات الّتي أمرنا بها ربنا ،الصِّفات

الإيجابية" الصّفح و الإحسان و التّسامح و العفو" كلّها لسلامة عقولنا و قلوبنا و أنفسنا و أجسامنا.فتصبح ميزات العقل المتّزن و القلب السّليم.قلبٌ سليم من كلّ حقد .

وواجِبُك العمليّ :كن صاحب العقل الواعي المتَّزن المسامح ،و القلب السّليم والرأي السديد الرّاجح، و النَّفس الـمطمئنَّة والعمل الصالح.

❊ ❊ ❊

كيف تقدم إمامًا كنتَ له إمامًا، بدلاً من أن تؤُمَّك نفسك فيصبح يؤُمُّك عَقْلُكَ

بدلاً أن يؤُمَّك غضبك يصبح يؤُمُّك حِلْمُكَ :

... " وَ النَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصَدِّقُهَا *** وَ لَسْتُ أَرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا "[1]

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[يُوسُف: ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النَّازِعَات: ٤٠ ، ٤١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشَّمْس: ٧ – ١٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾[العَلَق: ١ – ٥][2*].

عن قتادة، قال: قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه:« يَا بُنَيَّ:اعلم أنَّ غاية السُّؤدد والشَّرف في الدُّنيا والآخرة،حسن العقل،وأن العبد إذا حسن عقله،غطَّى ذلك عيوبه، وأصلح مساوِيه»[3]،وقال : «مَهْمَا كان الرَّجلُ عالماً فإنَّه لا ينتفع بِعلمهِ ما لم يكن العقلُ لِعلمهِ مصاحبًا»[4]،وقَالَ إبراهيم بن أدهم:قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ-: «ثلاثة لا يُعرفون إلَّا عند ثلاثة؛ لا

(1) من كَلام الصحابي الجليل عَلِيّ بْن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص: 20 أَدَبُ الدّنْيَا وَ الدِّين)،(البحر البسيط).

(2*) و للاستزادة في معرفة فوائد طلب العلم انظر: «سُنَن التِّرْمِذِيّ» 39/ 35 – كتاب العلم عن رسول الله ﷺ .[التِّرْمِذِيّ (2645 ..... 2687)].

(3) العقل وفضله لابن أبي الدنيا،و انظر نهاية الأرب في فنون الأدب: 326/1.

(4) التبرك المسبوك في نصيحة الملوك، للغزالي: 50،وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص: 80أحمد بن عاشور).

يُعرف الحليم إلَّا عند الغضب،و لا الشُّجاع إلَّا عند الحرب،و لا الأخ إلَّاعند الحاجة إليه». [1]

وَقَالَ وهب بن منبه: قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه: «يَا بُنَيَّ، اعقل عن الله، فإن أعقل النّاس عن الله أحسنهم عقلاً، وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده». [2]

- فَما أصعبَ هوى النَّفسِ لو لا رجاحةُ العقلِ !
- و ما أصعبَ الغضبَ لو لا فسحةُ الحلمِ !
- و ما أصعبَ تكاليفَ الحياةِ لو لا فسحةُ الأملِ !

فيا أخي : إنَّ أكبرَ عدوٍّ لك هي نفسُكَ الّتي بين جنبيك و الدليلُ على هذا الحديثُ الّذي رواه أبو ذر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، حيث قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الجهاد أفضل؟ قال: «أن تجاهد نفسك وهواكَ في ذات الله- عزَّ وجلّ-» [3].

و لا يستطيعُ أحدٌ أَنْ يسامحَ و هو مستسلمٌ لأهوائهِ و نفسهِ فعليه التحررُ النفسيُّ و هو أَنْ يتحرَّرَ من هوى نفسِهِ.أَنْ يجاهد نفسَه بـ عقلِهِ[4*] حتى يتحرَّرَ ،لأنَّ للإنسان دولتين، دولة عادلة و دولة جائرة.الدولةُ العادلةُ هي دولةُ الإيمانِ و العقلِ، و الدولةُ الجائرةُ هي دولةُ

(1) حلية الأولياء وإحياء علوم الدين:4/ 311 وسراج الملوك للطرطوشي، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:156أحمد بن عاشور) .

(2) حلية الأولياء والأذكياء لابن الجوزي.

(3) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء الصفحة أو الرقم / 282 / 2:خلاصة حكم المحدث : تفرد به سعيد بن بشير عن قتادة[وفيه مخالفة] وانظر: [« السلسلة الصحيحة » (1496)]باب السفر والجهاد والغزو .

(4*) عن أبي الجلد قال : قرأت في الحكمة : « من كان له من نفسه واعظٌ ، كان له من الله حافظٌ ، ومن أنصف الناس من نفسه ، زاده الله بذلك عزا، والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية » هكذا في الزهد لأحمد، ونسبه الآجري لِلُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ-،وانظر روح المعاني : 11/ 83 ، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:39أحمد بن عاشور) .

النفس الأمّارة و الهوى و الشيطانِ.فإذا كانت الدولةُ للعقلِ سَالَـمَتْهُ النّفس و الهوى ، و جنودهما وَ أصبحوا في خدمةِ أوامرِ العقلِ و اتِّباعِه.

فينبغي على العاقل أن يقدِّمَ عقلَه للإمامة الكبرى التي أُودِعَتْ فيه ،لأنَّ النَّفسَ ميَّالةٌ للشّهواتِ، و إنَّما يسلُكُ الطريقَ مَنِ اصطحَبَ مَعه إرادةً و قوةً و تصميماً على مجاهدةِ النفسِ، الإرادةُ هي الأساسُ و (مجاهدةُ النفسِ) هي المحورُ.

فيا أخي : لا تقلْ : لا أقدر على نفسي ،ولا تقلْ لاَ أعرف كيف أسيطر على نفسي و أهوائي، و لا تقل : مستحيل أن أنتصر على نفسي وأهوائي ، فإذا قُلْتَ لا أقدر على نفسي فَحَاوِلْ ،و إذا قُلْتَ لا أعرف كيف أسيطر على نفسي فتعلّم من كلام الله – عزّ وجلّ –وكلام رسوله ﷺ ، ... وإذا قلتَ مستحيل أن أسيطر على نفسي فجرِّب، و ادْعُ اللهَ ،لأنَّ الدعاءَ سلاحُ المؤمنِ و سببٌ من الأسبابِ الروحية الّتي شَرعَهَا اللهُ للإنسانِ، وأن يدعُوَ الإنسانُ لِنفسه بِقوله اللهم كن عوناً لي على نفسي ،اللهم أعنِّي على نفسي.

وتقول :اللهم وَفِقْنِي لما يرضيك لا لما يرضي أهوائي و نفسي، و كما قال رسول الله ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَـكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللهِ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».[1]

و لو أعدنا النظر في قوله ﷺ مرة أخرى : « وَ اسْتَعِنْ بِاللهِ ... » ، لقوله – عزّ وجلّ –

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفَاتِحَة: ٥].

(1) أخرجه مسلم في : 46 – كِتَاب القَدَرِ : 8 – بَابِ فِي الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَ الاِسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَ تَفْوِيضِ الْـمَـقَادِيرِ لله . [رقم (2664)، أحمد(2/ 370:8867..)، و النووي (16/ 164)] . قال:(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،بِهِ).

وأن يجعلَ عقْله طرفا أولاً و نفسه طرفاً ثانيًا

- أن يجعلها طرفاً ثانياً أي أن يكون الإنسان و عقله طرفًا و نفسه طرفا آخَرَ.
- أن يكثِر الدعاء و يقول : اللّهمّ إني أعوذ بك من شرِّ نفسي.
- أن يدعو الله – عزَّ وجلّ-:اللّهمّ كن عوناً لي على نفسي كي أسامح خصمي و أرتاح، و تنطفئ نيرانُ غضبِي فإنَّ نفسي لم تتركني أسامح خصمي :

فو الله ما أدري أ ألوم نفسي الشاردة الجموح ، أم ألوم قلبي القاسي المجروح ؟!

فإن لمت قلبي قال لي النفس هي التي سولت

وإذا لمت نفسي قالت إنَّ الذنب لقساوة القلب

فيا نفسي ويا قلبي إنكما قد تقاسمتما دمي وأرّقتما ليلي :

" قَلْبِي إِلَى مَاضَرَّنِي دَاعِي ❊❊❊ يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي

كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا ❊❊❊ كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلاَعِي "[1]

وَقَالَ ﷺ : « أَعْدَى أَعْدَائِك : نَفْسُك الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْك ..... »[2] إلى آخر الحديث .

- أن يدعوَ الله – عزَّ وجلّ – : اللّهم ارزقني السماحة و التّواضع[3]* و باعدني عن الحقد و الكبرياء. لأنّ السماحة و التواضعَ عكس الحقدِ و الكبرياءِ.

السّماحة والعفو من زمرة العقل – زمرة العالم العلوي –

---

(1) من كلام العباس بن الأحنف، انظر : ديوان العباس بن الأحنف. دار الجيل . بيروت 1995 / ط1 ، ص : 250 ، و انظر : الاماني / لأبي الفرج الاصفهاني . دار صادر ، بيروت ط2 مجلد 08 ص 261/ 262 ، و انظر : أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين : 313،(البحر الرجز).

(2) (موضوع) : أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (343) بلفظ : «أعدى عدوك : نفسك التي بين جنبيك » ، وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان (وضاع) ، وانظر« تخريج الإحياء » للعراقي (3/ 4) ، و « كشف الخفاء» (1/ 143) ، ولبقية فقراته شواهد ؛ لكنها ضعيفة أيضًا.

(3*) قَالَ لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِابْنِهِ: « يَا بُنَيَّ :تَوَاضَعْ لِلْحَقِّ تَكُنْ أَعْقَلَ النَّاسِ» الآداب الشرعية:2/ 308، وبهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:139 أحمد بن عاشور).

ينبغي على الكَيِّسِ أن تكون نفسه من لجام سلطان عقله في عناءٍ ، والنّاس منها في راحة ، وقلبه منيبا إلى ربه بين خوف [1*] ورجاء،فيفطم نفسه وقلبه كما يفطم الطفل عن الرضاعة،وذلك بأن يعصي نفسَه ويخالفَ هَواه كي لا يُسَوِّلَا له أمرا.ويترك الأمر لصاحب الأمر [2**] الذي خلق كلّ شيء فقدّره تقديرا ويُؤثره على نفسه وهواه ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورٗا ﴾ [الطَّلاَق: ١] ، [الأحْزَاب: ٣٨].

وجاء في الحديث عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :«الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِـمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَـانِي » [3]،و هذه سنَّة الله في خلقه أن من جدَّ وجد ،و من زرع حصد، ومن سار على الدرب وصل ؛ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : ... " وَمَنِ الْتَمَسَ الْعِلْمَ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ الْتَمَسَ مَالَا يَكُونُ :

يقول المتنبي : وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا *** تَعِبَتْ فِي مُرَادِ هَا الْأَجْسَامُ " [4]

وفي هذا الإيقاظ : إيقاظ الهمم «برق المعالي»،يقول الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

أَعَاذِلَتِي عَلى إِتْعَابِ نَفْسِـــي *** وَرَعْيِي فِي السُّرَى رَوْضَ السُّهَادِ

(1*)عن وهب بن منبه ،قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه:«يا بنيّ ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته ، وخَفِ اللهَ خوفا لا يؤيسك من رحمتِهِ » الوجل والتوثق بالعمل لابن أبي الدنيا وشعب الإيمان للبيهقي،و عن داود بن شابور ، قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : « يا بنيّ خف الله خوفا يحول بينك وبين الرجاء ، وارجه رجاء يحول بينك وبين الخوف قال : فقال : أي أبه ، إنما لي قلب واحد إذا ألزمته الخوف شغله عن الرجاء ، وإذا ألزمته الرجاء شغله عن الخوف»انظر :كتاب الزهد :107، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص: 143 أحمد بن عاشور) . الآيات في ذلك الخوف من الجليل :[آل عِمْرَان: ١٧٣ -١٧٥]-[المَائِدَة : ٤٤]-[المُؤْمِنُون :٥٧ - ٦١] -[فَاطِر: ٢٨]-[ٱلرَّحۡمَٰنُ :٤٦ -٧٨]-[الإنْسَان: ٤٤] .

(2**)قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾[الأنْفَال: ٢٤].

(3)أخرجه التِّرْمِذِيّ في :35 -كِتَابُ صِفَةِ القِيامَة و الرقائق و الورع : 90 -باب الكيّس . [رقم (2459)، ابن ماجه (4260)، و أحمد (2/ 124 :17123..)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ :«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»،قَالَ : وَ مَعْنَى قَوْلِهِ : «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ»،أي:" حاسبها"و قيل أذلها و استعبدها.

(4) للاستزادة انظر : أَدَب الدُّنْيَا والدِّين : الْفَصل السَّابع فِي الْـمُرُوءَة،(البحر المديد).

إِذَا شَامَ الفَتَى بَرْقَ المَعَـــــالِي ❊❊❊ فَأَهْوَنُ فَائِتٍ طِيبُ الرُّقَـــــادِ.[1]

ويقول الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي ❊❊❊ وَمَنْ طَلَبَ العُلَا سَهِرَ اللَّيَالِي

وَمَنْ رَامَ العُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ❊❊❊ أَضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ

تَرُومُ العِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْـــلاً ❊❊❊ يَغوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللآلِي.[2]

و يقولُ أحمد شوقي :

وَمَا نَيْلُ الـمَطَالِبِ بِالتمنِّي ❊❊❊ وَلَكِنْ تُؤْخذُ الدُّنيَا غِلَابَا.[3]

ويقول أبو القاسم الشابي في «إرادة الحياة» :

وَمَنْ لاَ يُحِبَّ صُعُودَ الجِبَـالِ ❊❊❊ يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَر

أُبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ ❊❊❊ وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الخَطَر.

و قال الشاعر قديما :

تريدينَ إدراك المعَالي رخيصةً ❊❊❊ و لا بُدَّ دونَ الشَّهْدِ* من إبرِ النَّحْلِ.[4]

... و كان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- لا يعرفون للراحة طعمًا و لا يعرف الخُمول إلى نفوسهم طريقًا فكانوا حركة مشبوبة لا تهدأ و لا تفترُ و لا تكلّ و لا تملّ .

... وهذا وعد الله سبحانه و تعالى لمن جاهد نفسه "في ذات الله -جلَّ جلاله- :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العَنْكَبُوت: ٦٩].

---

(1) ديوان الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص 57، عبد الرحمن المصْطاوي)،(الوافر).

(2) دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 122 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)، (الوافر).

(3) ديوان أحمد شوقي : دار العودة 1983/ ج 1 ص : 71 ،(البحر الوافر).

(4) انظر : ديوان المتنبي. * الشهد : العسل بشمعه و جمعه شهاد،(البحر الطّويل).

و هذه الآية مكيَّة نزلت قبلَ أَنْ يُشرع الجهادُ فهي أحقُ بأنْ تكونَ في ألوانِ الجهادِ الأخرى وَ فِي مقدِّمتها جهادُ النَّفسِ، و هو أوّلُ مراتب الجهادِ و أولاها، و ورد في الحديث :« الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ ».(1)

و روي عن سعيد بن جبير أنه قال : " لو فارق ذكر الموت قلبي ، لخشيت أن يفسد عليَّ قلبي. "(2)وقالَ آخر : "و لو نسيت ذكر الموت يوماً لخشيت أن تفسد عليّ نفسي"(3*) . ... ولقد بلغ الربيع بن خثيم مبلغًا عظيمًـا من خوفه من اللـه (جلَّ وعلا) حتى أنه كان قد حفر قبراً في فناء بيته . وكان إذا أحسَّ أن قلبه قد تعلق بِشَيْءٍ يسير من الدنيا يدخل القبر ويُغلق على نفسه حتى يكاد أن يختنق ثم يقول : ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾(4)، ثم يفتح القبر ويقول لنفسه: ها أنت يانفس قد رجعت إلى الدنيا مرة أخرى فافعلي صالحًا لعلك تُرحمين.(5)

---

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 18 – كتاب فضائل الجهاد : 2 – بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا . [رقم (1621) ، أبو داود (2500) ، و أحمد (6/ 20:24006)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « وَ فِي الْبَابِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَ جَابِرٍ . وَ حَدِيثُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْـمُبَارَكِ ،أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، قَالَ:أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ ،أَنَّ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ الْجَنْبِيَّ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ ،سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

(2) سير أعلام النبلاء (4/ 333)، و انظر : تراجم أعلام السلف / د.أحمد فريد(ص: 49–51)، و انظر : قصص التابعين سعيد بن جبير (ص: 328 الشيخ مَحْمُود المصْرِي أَبو عمار).

(3*)عن الحسن : أن لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- قال لابنه : «يَا بُنَيَّ : احضر الجنائز ولا تحضر العرس ، فإنَّ الجنائز تذكرك الآخرة ، والعرس يُشَهِّيك الدُّنيا » شعب الإيمان للبيهقي.وقال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : «يَا بُنَيَّ : إذا جاءك الشَّيطان مِن قِبَلِ الشَّكِّ والرِّيبة؛ فاغلبه باليقين والنَّصيحة . وإذا جاءك من قِبَلِ الكسل والسَّآمة؛ فاغلبه بذكر القبر والقيامة . وإذا جاءك من قِبَلِ الرَّغبة والرَّهبة ؛فأخبره أنَّ الدُّنيا مفارقة متروكة» ابن أبي الدنيا في "اليقين":30،وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص: 92،93 أحمد بن عاشور).

(4) سورة المؤمنون : الآية: (99،100).

(5) انظر : قصص التابعين حياة الربيع بن خثيم (ص 50،51 الشيخ مَحْمُوْد المصْرِي أبو عمار).

وفي «الشِّفَاء»(54)لعياض:قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه:«إذا امتلأتِ المَعِدَةُ:نامت الفِكْرةُ، وخَرِست الحكمةُ، وقعدت الأعضاءُ عن العبادة». (1)

وَعَنِ الْـمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:« مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ». (2) و لأَنَّ كثرةَ النومِ مِنْ كثرة الشرب و الأكل .

قال سفيان الثَّوْري :« بِقلَّة الطعام يُمْلَكُ سهرُ الليل » ، و قال بعضُ السَّلَف :« لا تأكلوا كثيرًا ، فتشربوا كثيرًا ، فَتَرْقُدوا كثيرًا ، فَتَخْسَرُوا كثيرًا »، و قال سُحْنُون : « لا يَصْلح العِلْمُ لـمَنْ يأكلُ حتى يَشْبَع».

وما أحسن تصوير البوصيري للنفس حين تُسَوِّلُ ، وللشيطان حين يزخرف النصح ويُجَمِّلُ :

" مولاي صـــلّ وسلّـــم دائمـــاً أبـــدًا ** عَلَى حَبيبـك خَـيْر الـخَلق كُلِّـهمِ.....

فـإنَّ أَمَّارَتي بِالـسّـــوءِ ما اتّـــعظـــتْ ** مِنْ جهلـها بنذير الشّيب و الـــهـــرمِ

ولا أَعَـدَّتْ مِنَ الفِعْـلِ الجَـمِـيلِ قِرَى ** ضيفٍ أَلـمَّ برأسي غـيرَ مـحتشـمِ

لـو كنـــتُ أَعْلَـمُ أَنِّـــي مَا أوقِّـــرُهُ ** كَتمـــتُ سِـــرّاً بدا لي مـنهُ بالكَتَمِ

من لي بِـــرَدِّ جِـمـــاحٍ مِنْ غـــوايتـها ** كَمَا يُـــرَدُّ جمـاحُ الـخيلِ باللُّـــجُمِ

فلا تَرُمْ بِالـمَـعَاصِي كَسْـــرَ شَهْوَتِـــهَا ** إِنَّ الطَّـــعَامَ يُقَـــوِّي شَهْـــوةَ النّـهمِ

---

(1) نقلا من التحرير والتنوير وذكره في الإحياء:4/ 126، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:86 أحمد بن عاشور)، و للاستزادة في معرفة بيان فوائد الجوع و آفات الشبع انظر : « إِحْيَاء عُلوم الدِّينْ » للإمام أبي حَامِد الغزالي –رحمه الله رحمة واسعة –و جمعنا به في الفردوس الأعلى –آمين –، كتاب كسر الشهوتين و هو الكتاب الثالث من ربع المهلكات ، باب : فضيلة الجوع و ذم الشبع : ... ج 3 / «ص:112...148»، و انظر :الشِّفَا بِتَعْرِيْفِ حُقُوقِ الـمُصْطَفَى ﷺ للعَلاَّمَةِ القَاضِي أَبِي الفَضْلِ عِيَاض بن مُوسَى اليَحْصُبِي/ الباب الثاني فِي تَكْمِيْلِ الله تَعَالَى لَهُ الـمَحَاسِنَ خَلْقًا وَ خُلُقًا ، وَ قِرَانِهِ جَمِيْعَ الفَضَائِلِ الدِّيْنِيَّةِ وَ الدُّنْيَوِيَّةِ فِيْهِ نَسَقًا ، « فصل فِيمَا كَانَ التَّمَدُّحُ وَ الْكَمَالُ بِقِلَّتِهِ ص 52،53،54 ».

-أي بقلة الأكل و الشّرب و النّوم -.

(2) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 34 – كتاب الزهد : 47/ 47 – باب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ كَثْرَةِ الأَكْلِ . [رقم: (2380)، أحمد (4/ 132:17186)، وابْنُ مَاجَهْ رقم: (3349)، و النسائي في « السنن الكبرى » (6737)]. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إِنْ تُـمهـلهُ شَـبَّ عَلى ** حُـــبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِـمْهُ يَنْفَطِـمِ
فَاصْرِفْ هَواهَا وَحَـــاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـــهُ ** إِنَّ الهَـــوَى مَا تَـــوَلَّى يُصْـمِ أو يصِمِ
وَرَاعِهَا وهْـيَ فِي الأَعْمَـال سَائِـــمَـةٌ ** وَإِنْ هِيَ اسْتَـحْلَتِ المرعَى فَـلا تُسِمِ
كَـــمْ حَسَّنَـتْ لَـذَّةً لِلْمَـــرءِ قاتِـلَـةً ** مِـنْ حَيْثُ لَـم يدرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الـدّسمِ
وَاخْشَ الدَّسَائِس مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ ** فَـــرُبَّ مَـخْمَصة شَـــرٌّ مِـــن التّخمِ
و اسْتَفْرِغ الدّمع(*) مِنْ عَيْنٍ قدِ امتَـلأت ** مِنَ المحَـــارِمِ و الْزَم حِـمْـــية النَّدمِ
وخَالِف النَّفس والشَّيطَان وَاعْصِـهِمَا ** وَإِنْ هُـــمَا مَـحَّـضاك النُّصـح فاتَّهِـمِ
ولاَ تُطِعْ مِنْهُما خَصْـمًـا ولا حَـكَـمًا ** فَأَنْتَ تَـعْرِفُ كَيْد الخَصْـمِ و الحكمِ
أَسْتَغْفِرُ الله مِنْ قَـــولٍ بِـلا عَمَـــلٍ ** لَـــقَد نَسبتُ بِه نَـــسلاً لـذي عقـمِ
أَمرتـك الخَـير لَكِن مَا ائتمَـــرتُ بِه ** وما اسْـتَقَمْت فَما قَـوْلي لَكَ استـقـمِ
ولاَ تَـــزَوَّدت قَبْـل المـوتِ نَافِـلـةً ** ولـم أُصَـــلِّ سِوى فَرْضِي ولـم أصـمِ(1)".

و قال آخر :

يَا خَادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِـهِ ** لِتَطْلُبَ الـــرِّبْحَ فيمَـــا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسَ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ** فَأَنْتَ بِالـروح لَا بِـــالْجِسْمِ إِنْسَانُ.(2)

و قال أحدهم :

كَـــم قَتيلٍ لشَهْـــــوَةٍ وأسيـــرِ ** أُفٍّ مِـــنْ مُشْتَهِي خِـــلاَف الجَمِيلِ

(*)و اسْتَفْرِغ الدّمع .. أي: «وَابْكِ على خَطِيئَتِكَ.. »؛الحَدِيث [مسند أحمد(4/ 158:17458..)].. وكان فروة بن مجاهد إذا حدث بهذا الحديث يقول : «ألا فَرُبَّ من لا يملك لسانه ، أو لا يبكي على خطيئته...».

(1)بردة الإمام العارف بالله الفقيه المعروف بـ: الشيخ البوصيري – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – لمدح خير الخلق محمد ﷺ،(البحر البسيط).

(2)قصيدة لشاعر الحكمة أبو الْفَتْح علي بن محمد الكاتب الْبُسْتِيِّ ،قصيدة تفيض بالنصح والهداية والتبصير...الخ للاستزادة انظر المصدر: «ملتقى ترفيه الأعضاء : من قسم ملتقى منسوبي وزارة الصحة السعودية» ، و انظر : أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين : 495،(البحر البسيط أيضا).

شَهَوَاتُ الإِنْسَانِ تُورِثُهُ الذُّلْ ❊❊ وَتُلْقِيهِ فِي البَلاَءِ الطَّوِيلِ.

... واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا أبو بكر (الآجري) -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بقوله : ... اعلموا أنه من لم يحسن أن يكون طبيبا لنفسه ، لم يصلح أنْ يكون طبيباً لنفس غيره ، ومن لم يحسن أن يؤدب نفسه ، لم يحسن أنْ يؤدب نفسَ غيره ، واعلموا أنه من لم يعرف ما لله -عزَّ وجلّ- عليه في نفسه مما أمره به،ونهاه عنه،ولم يأخذ نفسه بعلم ذلك ،كيف يصلح أنْ يؤدب زوجته وولده ، قد أخذ الله -عزَّ وجلّ- عليه تعليمهم ما جهلوه . ما أسوأ حال من توانى عن تأديب نفسه ورياضتها بالعلم وما أحسن حال من عني بتأديب نفسه ، وعلم ما أمره الله -عزَّ وجلّ- به وما نهاه عنه ، وصبر على مخالفة نفسه ، واستعان بالله العظيم عليها"[1].

❊ ❊ ❊

(1)أدب النفوس للآجري، للاستزادة انظر :ذم الهوى : 1/ 42.

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

يَا أخي لا تجعلْ عقلَك يلتصِقُ بفكرةٍ سيِّئةٍ أو أحقادٍ أو نزاعاتٍ معيّنةٍ أو دافع من شيء مَّا حتّى لا تتثاقل إلى الأرضِ .أفرغ قلبك و عقلك من التّشاؤُم و القلق و الأحقاد حتى و إن مررت بمواقف صعبة في حياتك، و كلّنا مررنا بما مررت به، و تَسَبَّبَ لنا في بعض الأحزان ، و لكن استطعنا دفعَ الإساءةِ بالتي هي أحسنُ، و التعامل مع هذه الأحاسيس بطريقة متزنة لا تجعل المشاكلَ تعيقُ حياتَنَا فاستطاعت عقولنا طردها، و الهروب من التّفكير السلبي في أشياء أخرى ملأت عقولَنَا و قلوبَنَا ،و لم تتركْ فرصةً للوسوسة قَطّ و هي قراءةُ الرِّسالة السَّماويّة الّتي نزلت من الله -عزَّ و جلّ - إلى محمّد رسول الله ﷺ فيجب علينا كلّنا أن نشكر الله على هذه النِّعمة : نعمة كلامه جلّ جلاله يَقُولُ سُبۡحَٰنَهُۥ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠ -٣٦].

قولُه ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ﴾أي فرق عظيم بين هذه و هذه ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ أيْ مَنْ أساءَ إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه كمـــا قال أمير المؤمنين الفاروق

عمـر بن الخطّاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- "و ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيـع الله فيـــه". (*1)

و قوله -عزَّ وجلّ- ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ و هو الصَّديق أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنةُ إليك، إلى مصافاتك و محبتك و الحنوِّ عليك حتَّى يصيرَ كأنَّه وليٌّ حميمٌ، أي قريب إليك من الشَّفقة عليك و الإحسان إليك.

ثم قال -عزَّ وجلّ-: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي ذو نصيب وافر من السّعادة في الدّنيا و الآخرة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسيره لهذه الآية :أمر المؤمنين بالصبر عند الغضبِ، و الحلمِ عند الجهلِ، و العفوِ عند الإساءةِ ، فإذا فعلُوا ذلك عصمَهم اللهُ من الشَّيطانِ و أخضعَ لهم عدوُّهم كأنه وليٌّ حميمٌ.

... " بيَّن الله سبحانه هاهنا أنَّ الخُلُقَ الحسنَ ليس كالخلقِ السَّيِّءِ، وأمرنا بتبديل الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة، وأحسن الأخلاق الحِلْمُ؛ إذ يكون به العدوّ صديقًا والبعيد قريباً ، حين دفع غضبه بحلمه وظلمه بعفوه وسوء خاتمته بكرمه ، وفي مظنة الخطأ أن من كان متخلقًا بخلقه متّصفًا بصفاته مستقيمًا في خدمته صادقًا في محبّته عارفًا بذاته وصفاته ليس كالمدعي الذي ليس في دعواه معنىً قال ابن عطاء : لايسوِّي بين من أحسن الدّخول في خدمتنا والخروج منها و بين من أساء الأدب في الخدمة ؛ فإن سوء الأدب في القرب أصعب من سوء الأدب في البعد فقد يصفح عن الجهَّال الكبائر ، ويأخذ الصديقين باللحظ والالتفات (*2)، وقال الأستاذ : أي : ادفع بالخصلة التي هي أحسن السيئة يعني بالعفو عن

(*1)عن مالك بن دينار ، قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : « يَا بُنَيَّ : اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة » الزهد لأحمد بن حنبل، وانظر : البداية و النهاية : 2/ 151 ، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص: 26 أحمد بن عاشور).

(*2) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يُوسُف: ٤٢]

المكافآت بالتجاوز والصفح عن الزلة ، وبيَّن الله سبحانه ألا يبلغ أحدٌ إلى درجة الخلق الحسن وحسنات الأعمال إلا من يصبر في بلاء الله وامتحانه بالوسائط وغير الوسائط ، ولا يحتمل هذه البليات إلا ذو حظٍّ من مشاهدته وذو نصيبٍ من قربه ووصاله ، صاحب معرفة كاملة ومحبة شاملة ، وكمال هذا الصبر الاتصاف بصبر الله ، ثم الصبر في مشاهدة الأزل ، فبالصبر الاتصافي والمشاهدة الأبدية والحظ الجمالي يوازي طوارق صدمات الألوهية وغلبات القهارية.

قال بعضهم : لايطيق أحدٌ الهجوم على المعارف إلا من يصبر على احتمال النوائب والشدائد فيها ،ولا يرى لنفسه قيمةً ، ولا لروحه خطرًا ؛ إذ ذاك يمكنه مجاورة المعارف والهجوم عليها.

وقال ابن عطاء : لا يوفق لجميل الأخلاق إلا الصابرون على خفض الخلاف "[1].

و واجِبُنَا العمليّ نظَّمه لنا الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله:

وَعَاشِرْ بِمعروفٍ، وَسَامِحْ مَنِ اعْتدى *** وَدافِعْ ولَكِنْ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ[2].

❊ ❊ ❊

(1) تَفْسِيرُ الغَوْث الربّانيْ والإمَام الصّمَدانيْ سِيْدي محييْ الدِّين عَبْد القَادِرْ الجِيْلاَنيْ لجزء من الآية الكريمة [35] من سورة [فُصِّلَت].

(2) دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:139 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(الطّويل).

شفاءُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدُ سماحتِنَا

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ ﴾ [النِّسَاء: ٨٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾ [الأنْعَام: ١٢٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ ﴾[الأنْعَام: ١٢٥].

قال مالك، قال : بلغني أن لُقْمَانَ الْحَكِيمَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- قال لِابْنِهِ : « لَيْسَ غِنًى كَصِحَّةٍ، وَلَا نَعِيمٌ كَطِيبِ نَفْسٍ »[1] وقال أيضًا : « كفى بالقناعة عزًّا، وبطيب النَّفس نعيمًا »[2].

... سلامةُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدةُ سماحتِنَا، يا صاحب القلبِ السّليمِ المسامحِ ، يا صاحب النَّفسِ المطمئنّةِ، يا صاحب العقلِ المتّزِنِ استمتعْ ومتِّعْ واشكر اللهَ -عزَّ وجلّ- على هذه النِّعمةِ، فالمحسنون المسامحون، أصحابُ الفضل، إنَّ سعادتهم و راحتهم و بهجتهم و فرحتهم و لذّتهم وليدةُ أفكارهم و تركيزهم. فالمسامحون أصحاب قلوبٍ سليمةٍ، و ذوات عليا يَنتج عنها التّسامح و الحنان و العطاء و الرّأفة بمخلوقات الله -عزَّ وجلّ- و كلّ هذه الصِّفات الإيجابيَّة تجعل صاحبَ هذه الذات يصلُ إلى راحة نفسيَّة و هدوءٍ نفسيٍّ، فيعيشُ الفرحَ قبل وقوعِهِ، ويصل مرحلةَ الحكمةِ و السّعادةِ و الطّمأنينةِ التي تجعلهُ يعيشُ في الحاضر لا في الماضي ويترقَّب المستقبل بتفاؤلٍ وأمل ، و تكون معاملتُه حميدةً مع الأصدقاءِ و مع الأهل و كلِّ الخلقِ.

---

(1)شعب الإيمان للبيهقي: 10/ 138، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص:137 أحمد بن عاشور).

(2)ربيع الأبرار للزمخشري: 486، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص: 136 أحمد بن عاشور) .

إهداء و لمسة وفاء: إلى كلّ من يملك هذه الشّمائل، سمات السّماحة و الوفاء يا كاظم الغيظ يا مسامح ،يا صاحب العفو ،يا صاحب القلب السّليم شديد التّحمّل ، يا صاحب الحظّ العظيم أرجوك بَسِّم لنا الحظّ حتّى يبتسم لنا. لأن الحظّ الجميل ، والحظّ الكبير، و الحظّ الكثير ....كلّ ذلك يحتاج إلى الحظّ العظيم قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٥].

فلا وَ لَنْ تنال منك مصائب الدّنيا .ولا وَ لَنْ تنال منك الأزمات الماديّة و المعنويّة التي مررت بها في حياتك ،و لن ينال منك الشّيطان و لا الغضب و لا القلق و لا اتباع العصبيّة و كوابيس الحقد .نعم لنْ يَنَالَ منك كلُّ ذلك ، و لا مِن قُدُراتك الذِّهنيّة و النفسية العالية جدًّا فإنَّك تهوِّن المصائبَ و الصعوبات عليك وعلى مَنْ حَوْلَكَ بابتسامتِكَ المشرقة التي أشرقت في قلوبِنَا، وبكثرة ذكرِكَ لربِّك هوّنت مصائب الدّنيا عليك ،وبكثرة استجابتك لكلام ربّك هوَّنت الأحزان عليك. بكثرة حلمك على خصومك باعدت الإهانات اللاحقة منك .نعم !هذا هو الحلُّ الوحيدُ فإنّك تتقبّل تلك الإساءات بكلّ صبرٍ و هدوءٍ و صفحٍ، إنَّك فزت في قلوبنا قبل سماعنا عنك بالفوز (لأنَّ المسامح كريم كرّمه الله). و هذا الكتاب كلّـــــه من أجلك كتاب (المسامح كريـــــم). لولا ابتسامتك و عفوك كيف تعرف بنصرك؟

فيا فائزاً إنْ شاء الله في الدّنيا و الآخرة ، هيا بنا نتجوَّل جولات و رحلات روحيّة و علميّة محفوفة بالبهجة و السَّعادة، و نغوص في بحور و بساتين و أنهار العلم، ونستمتع بعقولنا المميِّزة ،و نُزَكّي أرواحنا ، و نسعى للتَّقرّب من خالقنا ، (ربِّنا) –عزَّ وجلّ– و نجرد أنفسنا بالتَّرفّع عن الأهواء و الأحقاد و النِّزاعات و الشّهوات لأنَّ التّرفّع عن هذا السّلوك يجعل النّفس تكتسب بلسم الحياة و بهجتها ، و نلتمس حرِّيتنا من الآلام المصاحبة للشّهوات

و الأحقاد و الخصومات و الإساءات ، و نشمِّر عنها و عن كلّ الدّنيا و نرتقي و نرفرف معًا إلى مراقي المجد و السُّؤدد والاطمئنان و الشَّرف الدّائم و العِزِّ الباقي حتّى نلقى الله وهو راضٍ عنّا إن شاء الله وندخل فيما أفصح به نبينا ﷺ : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ،... »، إلى آخر الحديث.(1)

(العالـم العلوي)

العالـمُ العلويُّ هو العالـمُ الموجودُ ، عالـمُ السعادةِ في جنّةِ الخلودِ

عالـمُ الفوزِ برضا الخالق المعبودُ ، وعالـمنا السفلي هو وسيلة الصعود .

و ليصبح همُّنا هَمًّا واحدًا أَلَا و هو رِضَا الله - عزَّ وجلّ - فحياتُنا أحلامٌ لا تنتهي إن شاء الله إلّا بحسن الخاتمة ، و بعد حسن الخاتمة الحياة الأبدِيّة الخالدة بحول الله وهي جنّـات تجري من تحتها الأنهار .

قَالَ ٱللَّهُ تَعَـالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السَّجْدَة: ١٧](2*).

... فلا تسألْ عن درجات متفاضلات ، ومنازل لا ينقطع فيها نعيمُهَا ، ولا يهرم خالدُهَا ولا ييأس ساكنُهَا.

---

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ من حديث عَبْدِ الله بنِ عَمْرو في : 25 - كتاب البر و الصلة عن رسول الله ﷺ : 16 - باب مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ النَّاسِ. [رقم (1924) ، أبو داود (4941) ، و أحمد (2/ 160 :6504..)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » ، وانظر:[«السلسلة الصحيحة» (925)]باب : الأخلاق والبر والصلة .

(2*) قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾ [مُحَمَّد: ٥ ، ٦] الآيات في وصف الجنّة : [البَقَرَة : ٢٥]-[التَّوْبَة : ٧١، ٧٢]-[يُونس : ٩، ١٠]-[الحِجْر: ٤٥ -٥٠]-[مَريَمْ:٦٠- ٦٤]-[الحَجّ: ٢٣]-[الفُرْقَان:١٥، ١٦]-[فَاطِر : ٣٣-٣٥]-[يس: ٤٥ - ٥٨]-[صَ : ٤٩ -٥٤]-[الزُّمَر: ٧٣-٧٥]-[الدّخَان: ٥١-٥٩]-[مُحَمَّد: ١٥]-[قَ : ٣١-٣٧]-[القَمَر : ٥٣-٥٥]-[ألرَّحْمَنُ : ٤٦-٧٨] -[الوَاقِعَة: ١٠ -٤٠]-[الحَاقَّة : ١٩-٢٤]-[الإنسَان: ٥-٢٢]-[المُرْسَلات: ٤١-٤٤]-[النَّبَإ: ٣١-٣٧]-[المطَفِّفِين:١٨-٢٧]-[الغَاشِيَة : ٨-١٦].....

ولا تسألْ عن بهجة الرِّياض المونقة ،وما فيها من الأنهار المتدفِّقة، والرياض [1*] المعشوشبة، والطّيور المغرِّدة ، والأصوات الشَّجيَّة المطربة ، والاجتماع بكلّ حبيب [2*] والأخذ من المعاشرة والمنادمة بأكمل نصيب ، رياض لا تزداد على طول المدى إلَّا حسنًا وبهاء ،ولا يزيد أهلها إلّا اشتياقًا إلى لذَّاتها و ودادها .فمهْما أرادوا فهو حاصلٌ ، ومهْما طلبوا حصل من الخيرِ الكثيرِ ،والنّعيمِ الغزيرِ ، والفرحِ والسّرورِ ، واللّذةِ والحبورِ، ونالوا رضا الله وتنعّموا بقربه في دار كرامته . كما قال تعالى على لسان رسوله الكريم ﷺ:فِيمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾**[السَّجْدَة: ١٧] »[3] ،وَعَنْه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ».[4] وَعَنْهُ أيضًا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،يُبَلِّغُ بِهِ عن النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا».[5]

❊ ❊ ❊

(1*) و الرياض المعشوشبة : أي الغياض الـمُورِقَةِ الظَّليلةِ .

الغياض : مفردها غَيْضَةٌ ①الأجَـمَـةُ ②مجتمعُ الشجر و الماءِ.

(2*) و الاجتماع بكلّ حبيب، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحِجْر: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطُّور: ٢١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٦]،فيه دليل على أن الرجلَ الصالحَ يُحفَظُ في ذريته، وتشملُ بركةَ عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجته في الجنّة، لتقَرَّ عينهُ بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة. قال سعيد بن المسيب :إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي .

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:59 – كتاب بدء الخلق : 8 – بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَـخْلُوقَةٌ.[رقم(3244) ، مسلم (2824)، أحمد (2/ 438:9696..)].

(4)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:59 – كتاب بدء الخلق : 8 – باب ما جاء في صفة الجنّة وأنها مـخلوقة .[رقم(3244) ، مسلم (2824)، أحمد (2/ 260:7563..)].

(5)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:65 – كتاب التفسير : 56 – سورة الواقعة : 1 بَابُ قَوْلُهُ : ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقِعَة: ٣٠] . [رقم(4881) ، مسلم (2826)، أحمد (2/ 438:9697..)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 622، محمد فؤاد =

القصاص حق وعدل ، والتسامح والعفو سمو وفضل :

وقد يجمعُ اللهُ الشَّتيتَينِ بَعْدَمَا ❊❊❊ يَظُنَّان كُلَّ الظَّنِّ أن لا تَلاقَيَا[1].

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾[المَائِدَة: ٤٥][2]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الشُّورَى: ٣٧ – ٤٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[المُمْتَحِنَة: ٧].

..... «...وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا »[3]. إلى آخر الحديث:

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلحِلْمِ وَاصْفَحْ عَنِ الأَذَى ❊❊ فَإِنَّكَ لاَقٍ مَا عَمِلْتَ وَ سَامِعُ

= عبد الباقي)، كتاب الجنة وصفة نعيمها و أهلها ، باب إن في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها] . و للاستزادة في وصف الجنّة انظر : « سُنَنُ التِّرْمِذِيّ»: 36/ 32 –كتاب صفة الجنّة عن رسول الله ﷺ .[التِّرْمِذِيّ : (2522 .....2572)]. خمسون حديثًا ما لذّ و طاب في وصف الجنّة.

(1) ... (البحر الطّويل).

(2*) ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ ﴾ أي : بالقصاص ،في النفس ، وما دونها من الأطراف والجروح ، بأن عفا عمن جنى، وثبت له الحق قبله. ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ أي: كفارة للمجني عليه ،لأن الآدمي عفا عن حقه. والله تعالى أحق وأولى بالعفو عن حقه.وكفارة عن العافي ،فإنه كما عفا عمن جنى عليه ، أو على من يتعلق به ، فإن الله يعفو عن زلاته وجناياته .(تَفْسِير العَلاَّمَة الشَّيخ عبد الرَّحمن بْن نَاصِر السَّعديْ لآخر الآية الكريمة [45]من سورة [المَائِدَة])... الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ١٧٨]–[النَّحل: ١٢٦ – ١٢٨]..

(3) أخرجه التِّرْمِذِيّ (1997) من حديث أبي هريرة و قال: «غريب» ، قلت [أبي حَامِد الغزالي] :رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوي تردد في رفعه، و انظر : [«علل الدارقطني» (1436،419)] .

وَ أَبْغِضْ إِذا أَبْغَضْتَ بُغْضًا مُقَارِبًا ** فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ ؟[1]

و عن زيد بن أسلم ، أن لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- ، قال لابنه : « مَنْ قَالَ الشَّرّ يُطْفِئُ الشَّرّ ؟ فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَلْيُوقِدْ نَارًا عند نارٍ ، ثُمَّ لِيَنْظُرْ هَلْ تُطْفِئُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ؟ ألا فَإِنَّ الخَيْرَ يُطْفِئُ الشَّرَّ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ »[2] ، و في روايةٍ أخرى: قال لقمان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه« يَا بُنَيَّ : كَذَبَ مَنْ قَالَ : الشَّرّ بِالشَّرِّ يُطْفَأُ،فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَلْيُوقِدْ نَارَيْنِ وَلْيَنْظُرْ هَلْ تُطْفِئُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، وَإِنَّمَا يُطْفِئُ الخَيْرُ الشَّرَّ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ».[3]

... تجنَّبْ نقاشَ الغاضِب ، واخترْ لحظات الهدوءِ[4*] للحوارِ ، وكن لَيِّنَ الجانب وفي كلّ خلافٍ اِجعل نصبَ عينيك هذه المقولة : " نتعاون فيما اتّفقنا عليه ،ولْيعذر بعضُنَا بعضًا فيما اختلفنا فيه إن لم يكن في الأصول".[5*]

إنَّ الخلافَ يحتاجُ إلى شخصين بينما إيقافُ الخلافِ يحتاج إلى شخصٍ واحدٍ فقط...

---

(1)ديوان الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص: 101 عبد الرّحمن المصْطاوِي)،(الطّويل التام).

(2) مداراة الناس لابن أبي الدنيا .

(3) أَدَبُ الدُّنْيَا وَ الدِّينْ : 297، و انظر : وصايا لقمان و حكمه (ص : 114 أحمد بن عاشور).

(4*) واخترْ لحظات الهدوءِ للحوارِ ... قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : «لِلْقُلُوبِ شَهْوَةٌ وَ إِقْبَالٌ ، وَ فَتْرَةٌ وَ إِدْبَارٌ ، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَ لَا تَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ فَتْرَتِهَا» : إِذَا زَجَرْتَ لَجُوجًا زِدْتَهُ عَلَقًا *** وَجَبَّتِ النَّفْسُ مِنْهُ فِي تَمَادِيهَا

فَعُدْ عَلَيْهِ إِذَا مَا نَفْسُهُ جَمَحَتْ *** بِاللِّينِ مِنْك فَإِنَّ اللِّينَ يُثْنِيهَا،(البحر البسيط).

مرسل : أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»(1 / 134)،و الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي»(1 / 330)من طريق خلاد بن يحيى،عن مسعر،عن معن بن مسعود موقوفًا، و مسعر هو ابن كدام،و معن هو ابن عبد الرحمن بن مسعود ، أبوه عبد الرحمن لم يسمع من ابن مسعود فكيف به؟ من كلام البَرْبَرِيّ ، أدب الدّنيا و الدّين :79.

(5*) قال الذهبي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :(قال يونس الصَّدَفي:ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يوما في مسألة ،ثم افترقنا ،و لقيني ، فأخذ بيدي،ثم قال :يا أبا موسى،ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتَّفق في مسألة)انظر:السير للذهبي (10/ 16،17) قلت [الذهبي]:هذا يدلّ على كمال عقل هذا الإمام ،وفقه نفسه،فما زال النُّظراء يختلفون، وقال ابن عطاء:" لا يوفق لجميل الأخلاق إلا الصابرون على خفض الخلاف ،وقد قال بعضهم :"صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني و بينهم خلاف فإني كنت معهم على نفسي"ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه .

وإنَّ الخلافَ يحتاج إلى مخالِفٍ و مخالَفٍ له، بينما إيقافُ الخلاف يحتاج إلى مطاوِع: «تَطَاوَعَا وَ لَا تَخْتَلِفَا...»؛الْحَدِيث. فيا أخي العزيز :إنَّك تطاوع أخاك في الله لا تطاوعه لشخصه ومكانته، و إنّما تطاوعه من أجل غاية في ديننا و أسوةٍ حسنةٍ لرسولنا الكريم ﷺ:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، عَنْ أَبِيهِ ،قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا ،وَبَشِّرَا ، وَلَا تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»[1]، وَ قَالَ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا».[2]

... أتريد أخي و عزيزي القارئ وصفة حاسمة أكيدة المفعول لتتجنب الانتقام و تتعلم الصّفح ، فالانتقامُ و القلقُ و الانفعالُ و الوسواسُ هي الأفكارُ و الصّورُ و الدّوافعُ الغريزيَّة التي قد تحدث بشكلٍ متكرِّرٍ ،وتفرض نفسَها على شكلِ صورٍ مرئيَّةٍ تظهر و تختفي بسرعةٍ ، تظهرُ و تختفي فجأةً في العقلِ الباطنِ و تشعر بأنَّها خارجةٌ عن إرادتِك، و عادةً لا يريد الشّخصُ أَنْ يفكِّرَ بهذه الأفكار و يجدُها مضايقةً له و يجد نفسه مرغماً عليها و يشعر عادةً بأنَّ هذه الكوابيس لها معنى في الحياة، فتبدأُ هذه الأفكار تؤثّر في القدرةِ على العملِ و النّومِ والشَّهيةِ و عدم الاستمتاعِ بمباهجِ الحياةِ مع انكسارِ النفسِ و هبوطِ المشاعرِ لتصبحَ رهينَة الحزنِ ،و هذه كُلّها سببُها التّفكير في مقابلة الإساءةِ بالإساءةِ. فيا عزيزي ينبغي على الكَيِّسِ أن يحتسبَ و يقابلَ الإساءةَ بالإحسانِ ،و أجرُه على اللهِ و اللهُ لا يضيع أجرَ المحسنين.

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:64 – كتاب المغازي: 61 –بَابُ بَعْثُ أَبِي مُوسَى وَمُعَاذٍ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ. [رقم(4344)، (4345)، مسلم (1733)و أحمد (4/ 412: 19719..)،أبو داود(4835)]. وانظر: [«السلسلة الصحيحة »(1151)] باب العلم والسنة والحديث النبوي .

(زاد مسلم «ولاَ تَخْتَلِفَا »وهي عند البخاري ،3038)) وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 63 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير] .

(2)(صحيح ،متفق عليه):أخرجه البخاري من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 3 –كتاب العلم: 11 –بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ،يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا . [رقم(69)، مسلم (1734)].

كما جاء في سورة الشّورى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشُّورَى: ٤٠].

و كما صحَّ في الحديث: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَ مَا زَادَ اللهُ رَجُلاً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزّاً، وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ »[1].إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا فقل له يا أخي اعف عنه، فإنَّ العفو أقربُ للتَّقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفوَ، فقل له : بابُ العفوِ واسعٌ فإنّه من عفا و أصلح ، فأجرهُ على الله لأنه أولى بالعفوِ وهو ذو الجلال و الإكرام.و صاحب العفوِ ينام على فراشه بالليل هادئًا و صاحبُ الانتِصار لنفسِه يقلبُ الأمورَ ثائرًا.وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ،عن أبي هريرة: أن رجلاً شتم أبا بكر، والنّبي ﷺ جالسٌ، فجعل النّبي ﷺ يعجب ويتبسم، فلما أكثر ردَّ عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله ! كان يشتمني وأنت جالس فلما رددتُ عليه بعض قوله، غضبتَ وقمتَ، قال: «إِنَّهُ كانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشّيْطانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطان» . ثم قال: «يا أبا بَكْرٍ ! ثَلاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: ما مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيغضِي عَنها لله - عَزَّ وَجَلَّ - إلا أعَزَّ الله بِها نَصْرَهُ، وَما فَتَحَ رَجُلٌ بابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بها صِلَةً إلا زادَهُ الله بها كثرةً. وما فتحَ رَجُلٌ بابَ مَسْألةٍ يُرِيدُ بها كَثْرَةً إلا زادَهُ الله –عَزَّ وَ جَلَّ- بها قِلّةً »[2]،و واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله:

- يُخَاطِبني السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ *** فَأَكْرهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
- يَزِيدُ سَفَاهةً فأَزِيدُ حِلْمًا *** كَعُودٍ زَادَهُ الإِحْرَاقُ طِيبًا[3]

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 25 – كتاب البر و الصلة عن رَسُولِ الله ﷺ: 82 – باب مَا جَاءَ فِي التَّوَاضُعِ . [رقم (2029)، صحيح: مسلم (2588)، و أحمد (2/ 235: 7238)، و الدارمي (1718)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

(2) [(أحمد2/ 436: 9671)]، والطبراني في «الأوسط» بنحوه، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (2231)].

(3) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 91، 92 مُحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)، (الوافر).

وقال:

- لَقَدْ أسمعُ القولَ الذِي كان كُـــلَّما ❊❊❊ تُذكِّرنيـهِ النَّفْسُ قـلبِـيَ يَصْـــدَعُ
- فأُبْدِي لمن أبْداهُ مِنِّي بَشاشـــــةً ❊❊❊ كأنِّـيَ مَـسْرورٌ بمَـا مِنهُ أَسْمَـــعُ
- و مَا ذاكَ مِن عُجبٍ بهِ غيرَ أَنَّنِـي ❊❊❊ أرى تـَرْكَ بعْضِ الشَّرِّ للشَّرِّ أقْـطَعُ.[1]

❊ ❊ ❊

(1) دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:26 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(الطّويل).
وَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ : أرى أنَّ تركَ الشَّرِّ للشَّرِّ أقْطَعُ .

الفَصْل الرابع :

التسامـــح حيـــاة

أمراضُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدةُ أحقادِنَا (العقل المضطرب)

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ﴾[البَقَرَة: ٦١]،

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ ﴾[الأنْفَال: ٥٣].

... مسكينٌ من يريد أن ينتقمَ لنفسِهِ و لكنَّه ينتقمُ من قلبِهِ و عقلِهِ و بدنِهِ، لأنَّ الانتقامَ يؤثِّر في صاحبه قبلَ أن يؤثِّر في الخصم، فبمجرد التّفكيرِ في الانتقامِ يفقد الإنسانُ العقل السَّويَّ و القلب السَّليم و يصبح مضطرب التَّفكير ... فنشوةُ الانتقامِ تدومُ لحظةً واحدةً، و يدومُ ندمُهَا و ضررُهَا طيلةَ الدَّهرِ، و لذَّةُ العفوِ تدومُ إلى الأبدِ في الدّنيا و الآخرةِ، - اللّهمّ ارزقنا و إخواننا لذَّة العفوِ، اللذّةُ الأبديّة لذّة الدَّارين -

-إذا قابلت الإساءةَ بالإساءةِ، فمتى تنتهي الإساءةُ؟ ... ؟؟ ...؟؟...

-إذا قابلت الإساءةَ بالانتقامِ، فمتى ينتهي الانتقامُ؟

-إذا كنت تسعى لكي تنتقم لإساءةٍ صغيرةٍ، فإنك تسعى وراءَ إساءةٍ كبيرةٍ.

-عن بشر بن رافع، قال: قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ: لَا تَتْرُكْ صَدِيقَك الْأَوَّلَ، فَلَا يَطْمَئِنَّ إلَيْك الثَّانِي، يَا بُنَيَّ: اتَّخِذْ أَلْفَ صَدِيقٍ، وَالْأَلْفُ قَلِيلٌ، وَلَا تَتَّخِذْ عَدُوًّا وَاحِدًا، وَالْوَاحِدُ كَثِيرٌ»[1]:

"وَ ذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَـــاءِ جَـمْعًا *** فَمـا طَعْمٌ أَمَـــرُّ مِـنَ السُّؤَالِ

وَلَـمْ أَرَ فِي الْـخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلًا *** وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ".[2]

(1) أدب الدّنيا والدّين: 299،وانظر: وصايا لقمان وحكمه (ص: 57، 58 أحمد بن عاشور).

(2) من كلام صلاءة بن عَمْرٍو؛ أدب الدّنيا والدّين: 245.

... المسيئون و المنتقمون انفعالاتهم و ارتعاشهم و توتُّرات أعصابهم و أمراضهم وليدة أحقادهم ، صاحبُ العقلِ المنتقمِ يحملُ الأشياءَ التي تضايقُهُ بداخلِه، و في قلبِه و يتكلّمُ على كلِّ شيءٍ و لومرّ منذ سنوات، يتكلّم عنه و كأنَّه حدث الآن ،فيغضب و يتضايق مرةً أخرى يتضايق من هذا و ذاك و يعيشُ المشكلَ مرَّات عديدة، و كأنَّه وقع له الآن فيصدر له هذا من التّفكير في الانتقام فتصبح ذاتُهُ سُفْلِيَّةً طينيّةً فيتثاقل إلى الأرض فيمرض قلبُه و تصبح نفسُه تأمره بالسّوءِ فيصاحبه الخوفُ، و اللّومُ و الحقدُ و الغيرةُ و المقارنة ،كما تحتوي نفسُه على الغضبِ و الخصامِ و الكذبِ و مقابلةِ الإساءةِ بالإساءةِ و الشّكوى المستمرّة فتصل هذه الذاتُ بصاحِبها إلى مرحلةِ الكراهيّةِ و الغضبِ و اليأسِ و التّشاؤمِ وعيشِ المشكلِ قبل وقوعِه،و تصبح مليئةً بالضّغوطِ النّفسيَّة الّتِي توصلُ صاحبَها إلى القلقِ و الإحباطِ و العيشِ في الماضي و الحاضرِ و المستقبلِ في حيِّز الخصوماتِ، و تتولّدُ عن ذلك الانفعالاتُ و الضّغوطاتُ العصبيّة و الأرقُ و قد يكونُ مصحوبًا بالاكتئابِ الحادِّ ، و أعراضٍ أخرى كسرعة الغضبِ دون سببٍ مع عدمِ الشّعورِ بالأمانِ ، و يصعبُ عليه التَّركيز و يستحيلُ عليه الاسترخاء ،و تَنْعَدِمُ عنده اللّذةُ و الارتياحُ ، و بشكل عامٍ فإنَّ المرضَ يبدأ مع بدايةِ التّفكيرِ في الانتقامِ .والمشكلةُ أنَّ هذه التّغيّرات الفسيولوجيَّة لا تقتصر على موقفِ الغضبِ نفسه،وإنّما من الممكنِ أَنْ تحدثَ هذه التغيرات في الجسم للأشخاص الّذين يسترجعون هذه المواقف في ذاكرتهم ،فيستمرُّ العبءُ على القلبِ والأوعيَّةِ الدمويَّةِ لفتراتٍ طويلةٍ، ولذلك فهذه المجموعة عرضة أكثر من غيرهَا لتأثير الضّغط على الأوعيّة الدمويّة في شبكيّة العين وفي القلب وفي الكِلَى .....بمعنى أنَّ زيادةَ الضّغطِ بخمسة ملم من الزئبق لفتراتٍ طويلةٍ أخطر بكثير من أن يرتفع الى180 ملم من الزِّئبق لدقائق معدودة ،وقد أوضحت تلك

الدِّراسةُ أَنَّـهُ يجبُ قطع الطّريقِ على إِعادةِ تذكّر تلك المواقف التي ثار فيها غضب الشَّخص ... كذلك يبدو أنَّ كيمياءَ المخِّ تلعبُ دورًا في بداية مرض القلق و الغضب، و يولّدَ لدى صاحبه فقدانَ الثّقةِ بالنّفسِ ،و ينتج عنه صراع نفسي غير واعٍ في العقلِ الباطنيِّ، فيؤرِّقه ذلك فيقضي لَيْلَهُ بأكملِهِ وهو يتقلّبُ على فِراشِهِ وله أكثر من مئة خطّة تُضَايِقُهُ على خَصْمِهِ هذا هو الدّاء .... ، وصاحب العفو يقول : *خطة واحدة تكفيني السّمَاح* ،

(*اللّهمّ إنِّي عفوت – لوجهك الكريم – عمَّنْ ظلمني*) ، هذا هو الدّواء . فإذا عُرِفَ السّببُ سَوف يزول العجبُ! وإذا أردت أن تتحصّل على الدّواء فيجب عليك فهم الدّاءِ.لأنَّ فهمَ الدّاءِ هو نصفُ الدّواءِ، و هو إن يشاء الله الطّريق إلى الشّفاء ...

... « دواؤُكَ مِنْكَ وَ مَا تُبْصِرُ .. و داؤك فيك و ما تشعر

و تحسب أنّك جِرْمٌ صغير .. و فيك انطوى العالَـمُ الأكبر».[1]

(1) من كلام و حكم الصحابي الجليل عليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،(البحر المتقارب).

و الـــدّواء:

الدواء يكون بتوجيه انتباهه وتركيز فكره إلى أشياء أخرى إيجابيّة أكثرُ جمالًا في حياته سواء من الشّخص نفسه أو ممّن يحيطون به، ولذلك تجدُ أنَّ ديننَا الحنيف وجّهنا كثيرًا لعدم الغضـب :«لاَ تَغْضَبْ.... »،[1]الْحَدِيثَ . وبالعفو و الصفح: «... وَانْسَ اثنين ... و أَمَّا اللَّذان تنساهما: إحسانك في حقِّ الغير ، و إساءة الغير في حَقِّك »[2]،كمحاولة لِقطـع الطّريق على تذكّر تلك المواقف التّي تثير غضب الشّخص من جديد

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[البَقَرَة: ١٠٩]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعْرَاف: ١٩٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ ﴾[الحِجْر: ٨٥]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩ ﴾ [الزّخْرُف: ٨٩]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الشُّورَى: ٤٠]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ ﴾ [المَعَارِج: ٥].

فو الله لَرَبُّنَا أرحمُ بِنَا من أنفسِنَا، فو الله لربّنا أرحم بِنَا من عقولنا،فو الله لربّنا أرحم بِنَا من جهازنا العصبي .لأنَّ ربَّنَا يغفر لنا أخطاءنا عندما نستغفره ولكنّ جهازنا العصبي لا يغفرها لنا قطّ.

---

(1) (صحيح): أخرجه البخاري في : 78 - كِتَابُ الأَدَب : 76 - بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَب لِقَوْلِ الله تَعَالَى :﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عِمْرَان: ١٣٤]، وَ قَوْلِهِ - عَزَّ وَ جَلَّ - :﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ ﴾[الشُّورَى: ٣٧]. [رقم (6116)، التِّرْمِذِيّ (2020)].

(2) قال لقمان الحكيم -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : «اذكر اثنين وَ انْسَ اثنين : أَمَّا اللَّذان تذكرهما: فالله ،و الموت. وأَمَّا اللَّذان تنساهما : إحسانك في حقِّ الغير ، و إساءة الغير في حقِّك».روح البيان : 3 / 48، وانظر :وصايا لقمان وحكمه (ص : 142 أحمد بن عاشور).

... يتركز علاج هذا النَّوع من صاحب الأعصاب الثّائرة على مفهوم أنَّ الأعراض كلّها تصدر من التّفكير في الانتقام و يجب أن يعرف الدَّاء كي يسهل الدّواء، مع الفهم المتزايد و تحسين التّفكير من (العقل الـمضطرب ذي التّفكير الانتقاميِّ) إلى أن يشاء الله لصاحب العقل الـمتَّزن و التفكير السوي.أنْ يقول:خُطّة واحدة تكفيني (سامحت...)الحلّ الوحيد للخروج من هذه الكوابيس،خطّة واحدة تكفيني كي أُريحَ رأسي: المسامحة

وواجِبُنَا العمليّ يسديه لنا الرّاسخون في العلم بقولهم :

وَلَكِنْ إِذَا مَا جَلَّ خَطْبٌ فَسَامَحَتْ *** بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا[1].

وَأَنْشَدَ آخر :

مَنْ حَطَّ ثِقْلَ حُمُوله *** في باب مالـــكه استراحَا

إن السَّلامة كلُّـها *** حصلت لمن ألقى السِّلاحَا[2].

وقال الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

لَـمَّا عَفَوْتُ و لـمْ أَحْقِد عَلى أحَـدٍ *** أَرَحْتُ نفْسي مِنْ حمل المشقات[3].

* * *

(1) لسان العرب: (2/ 419)،(البحر الطّويل).

(2)...(البحر الكامل مَـجْزُوٌّ).

(3)دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 39 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)،(البسيط).

حســـن الخُلُـقِ

حسنُ الخلقِ أعلى درجات الإحسان ، ومن أجله جادت رسالة الرّحيم الرّحمن ، نجده في خلق محمّد ﷺ الرّسول الإنسان، طالما كان باعثه الإيمان وجاء في ذلك شهادة الواحد الدّيان ،لمدح و ثناء و تعداد محاسن النّبيّ ولد عدنان ﷺ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٥٩]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٥ – ٢١٨]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحْزَاب: ٢١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القَلَم: ١ – ٤].

" أي :عاليًا به ، مُسْتَعْليًا بخلقك الذي منَّ الله عليك به .

وحَاصِلُ خُلُقِهِ العظيم ما فسّرته به أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - لمن سألها عنه، فقالت : «كان خُلُقُهُ القرآن »[1]، وذلك نحو قوله تعالى :﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعْرَاف: ١٩٩]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التَّوْبَة: ١٢٨]، وما أشبه ذلك

(1) [رواه مسلم و غيره].

من الآيات الدّالات على اتّصافه ﷺ بمكارم الأخلاق ،[والآيات] الحاثّة على الخلق العظيم ، فكان له منها أكملها وأجلّها ، وهو في كلّ خصلة منها في الذّروة العليا . فكان ﷺ سهلاً لينًا، قريبًا من النَّاس، مجيبًا لِدعوة من دعاه ، قاضيًا لحاجة من استقضاه ، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه ، ولا يردّه خائبًا . وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه ، وتابعهم فيه إذا لـم يكن فيه محذورٌ، وإن عزم على أمر لـم يستبدّ به دونهم ، بل يشاورهم و يؤامرهم. وكان يقبل من محسنهم ، ويعفو عن مسيئهم ، ولـم يكن يعاشر جليسًا له إلّا أتمّ عشرته و أحسنها ؛فكان لا يعبس في وجهه ، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بِشْرَهُ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة ، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان ، ويحتمله غاية الاحتمال، ﷺ"[1]...فإن حسن الخلق من الصِّفات الحميدة الممدوحة الّتي مدح الله بها نبيه المصطفى ﷺ.

و سئلت أمّنا عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عن خلق الرسول ﷺ فقالت: « كان خُلُقُهُ القرآن» ومعنى هذا أنه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ-، صار مثلاً أعلى للقرآن الكريم، أمرا ونهيا ، سجية له، وخلقا تطبعه ، وترك طبعه الجبلي فَما أمره القرآن فعله،وما نهاه عنه تركه.هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الدِّين واللين والإحسان ، والعلم، و الْحِلْم ، والصَّبْر ، والشكر ، والعدل ، والزُّهد ، والتواضع، والعَفْو ، والعِفّة ، والجُود ، والشجاعة ، والحَيَاء ، والْـمُرُوءَة ، والصَّمْتِ ، والتُّؤَدة ، والوقار ، والمعاملة الطيبة والرأفة والرحمة والأخوة والشفقة وحُسْن الأدب ، والمعاشرة ، وأخواتها ، وهي الّتي جِمَـاعُها حُسْنُ الخُلُقِ ،وكل خلق جميل. إلى غيرها

(1) تَفْسِير العَلاَّمة الشَّيخ عَبد الرَّحمن بْنِ نَاصِرِ السَّعدي للآية الكريمة [4] من سورة[القَلَم].

من الصفات الحميدة كما قال عنه خادمه ، عن أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،قَالَ :خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلَا: لِـمَ صَنَعْتَ، وَلَا: أَلَّا صَنَعْتَ.(1)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا.(2)

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،قَالَ: لَـمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا».(3)

وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ،أَنَّهَا قَالَتْ :مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَـمْ يَكُنْ إِثْمًا ،فَإِنْ كَانَ إِثْمًا ،كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ،وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ ، فَيَنْتَقِمَ للهِ [بِهَا].(4) وَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،قَالَ : مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ،وَلَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ ﷺ.(5)

و مما روى الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاق »وفي روايةٍ: «صالح الأخلاقِ».(6)

و قد حثَّ رسول الله ﷺ كثيرًا على حُسن الخُلق فقال : «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 78- كتاب الأدب : 39- باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل. [رقم(2038)، مسلم (2309)].

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 61 - كتاب المناقب : 23 - بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ. [رقم(3562)، مسلم (2320)].

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 61 - كتاب المناقب : 23 -بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ . [رقم(3559)، مسلم (2321) و أحمد (2/ 161:6514)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 27 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب كثرة حيائه ﷺ] .

(4)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 61 - كتاب المناقب : 23 -بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ.[رقم(3560)، مسلم (2327)].

(5)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 61 - كتاب المناقب : 23 -بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ.[رقم(3561)، مسلم (2330)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 493 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب طيب رائحة النّبي ﷺ ولين مسه والتبّرك بمسحه] .

(6)[رواه البخاري في " الأدب المفرد" رقم (273)، و ابن سعد في الطبقات ،(1/ 192) والحاكم (2/ 613) وأحمد(2/ 381:8991)]، وانظر: [«السلسلة الصحيحة»(45)]باب الأخلاق والبر والصلة.

وَ أَقْرَبكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا ،... »[1] إلى آخر الحديث .

و أوصى - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ - أبَا ذر فقال: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَ أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَ خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[2] .

و هذه الوصيَّة لكافّة المسلمين ،و من كَرَمِ الله سبحانه و تعالى أنه يُثِيبُ على حُسن الخُلُق و العمل الصّالح بالأجر العظيم و يرفع لـه الدرجات ،و يملأ به الحسنـــات. فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ »[3].

وعن عبد الله بن عمر، قال: سُئل النبي ﷺ : « أيّ الناس خير؟. قال: أحسنهم خلقًا»[4].

فقال العلماء في صاحب الخُلُقِ الحسن : " كثير الحياء ، قليل الأذى ،كثير الصلاح ، صدوق اللّسان ،قليل الكلام، حليمًا ،وفيًّا ،عفيفًا ،صابرًا ،رحيمًـا ،لا لعّانًا و لا سبّابًا و لا نمامًا و لا حسودًا،يحب في الله ، و لا يحقد على خلق الله."

وَقال ابن قيم الجوزية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: " جمعَ النّبيُّ ﷺ بين : تقوى الله ، وحُسْنِ الخُلُقِ ...لأنَّ تقوى الله تُصلِحُ ما بين العبد وبين ربِّه ، وحُسْنُ الخُلُقِ يُصْلِحُ ما بينه وبين خلقِهِ؛ فتقوى الله تُوجِبُ له محبةَ الله، وحُسْنُ الخُلُقِ يدعو النّاس إلى محبَّتِهِ".[5]

وقال الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

---

(1) رواه التِّرْمِذِيّ في :25- كتاب البر و الصلة : 71- باب مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلاَقِ . [رقم (2018)، أحمد (2/ 218:7065)]، وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ :« هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ».

(2) [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (1987)]،وَقَالَ : « حَدِيثٌ حَسَنٌ»،وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ : «حَسَنٌ صَحِيحٌ»،[أحمد (5/ 153:21412..)، و الدارمي (2833)]. و حسَّنه الألباني في صحيح الجامع (97).

(3) أخرجه أبو داود في :35- كِتَاب الأَدَبِ : 8- باب حُسْن الخُلُق .[رقم (4799) ، أحمد (6/ 446:27587) ، و التِّرْمِذِيّ مطولاً (2002)]، وانظر:[«السلسلة الصحيحة» (876)]باب الأخلاق والبر والصلة.

(4) [الهيثمي :مجمع الزوائد – الصفحة أو الرقم: (28/ 8)]، وانظر:[« السلسلة الصحيحة» (1837)]باب الأخلاق والبر والصلة.

(5)انظر : كتاب الفَوَائِدْ – فصل فيه العبر و المواعظ (تقوى الله ، و حسن الخلق ص: 76).

- أُحِبُّ مَكارِم الأخْلاق جُهْـــــدِي *** و أَكْره أنْ أَعِيـــــبَ و أنْ أُعَـابا
- وَأصْفَح عن سِبابِ النَّاسِ حِلمًـــا *** وشَّــرُ النَّاسِ منْ يَـهوى السِّبابـا
- سَليمُ العِرض مَنْ حَذِرَ الجوابـــا *** و مَنْ دارى الوَرى فَعَلَ الصَّوابـا*
- وَ مَـنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَّبُـــــوهُ *** وَ مَنْ حَقَرَ الرِّجَـالَ فَلَنْ يُهابَـا
- و مَنْ قَضَتِ الرِّجَالُ لَهُ حُقُوقًـــا *** وَ مَنْ يَعْـصِ الرِّجَـالَ فَمَا أَصَابَـا.[1]

و واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا شيخنا العالـم العارف بالله العلامة الفقيه المعروف بسي عبد القادر بن سالـم بقوله : "عليكم بهذين قرءان يتلى وقرءان مجسّد المتمثل في أقواله وأفعاله و تقريراته ﷺ. فعليكم بهذين لن تضلوا ما تمسكتم بهما"، ومصداق ذلك في كلام الصادق المصدوق عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ الله وَسُنَّتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ »[2].

* * *

(1) دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص :3 5 مُحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عبد الله) ، (الوافر) .

* و مَنْ دارى الوَرى فعل الصَّوابا ، يقال : دارهم ما دمت في دارهم .

(2) المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، خطبته ﷺ في حجة الوداع، الجزء 1 ص284. أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ الْفَقِيهُ ، أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ السَّكَنِ الْوَاسِطِيُّ ، ثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ ، ثَنَا صَالِحُ بْنُ مُوسَى الطَّلْحِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، بِهِ.

كيف نعيش إيجابيًا مع الحياة و نعالج نتائجها السلبيـة ؟:

" مِـحَنُ الْفَتَى يُخْبِرْنَ عَنْ فَضْلِ الفَتَى ❊❊❊ كَالنَّارِ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ الْعَنْبَرِ " (1)

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٤]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩ – ١٤٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العَنكَبُوت: ١ – ٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [صٓ : ٤١ – ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[مُحَمَّد: ٣١](2*).

(1) للاستزادة انظر : أَدب الدّنيا و الدّين ، الْفَصْل الثَّانِي فِي الصَّبْرِ وَ الْجَزَعِ ،(البحر الكامل).

(2*) الآيات في ذلك : [آل عِمْرَان: ١٤٣-١٥٤]-[آل عِمْرَان: ١٧٩]-[التَّوبة: ١٦] -[الأحْزَاب: ١٠ -١٢]-[الصَّافَّات: ٩٩ - ١١١]...

عن قتادة قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : « يَا بُنَيَّ : إن الصبر على المكاره من حسن اليقين، وإن لكل عمل كمالا وغاية ، وكمال العبادة الورع واليقين »[1]،وقال أيضًا: «ومَنْ يتوكَّل على الله، ويسلّم لقضاء الله، ويفوّض إلى الله، ويَرْضَى بقدر الله، فَقَدْ أقام الدين وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير وأقام الأخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره»[2] ، وقال أيضًا: « للإيمان أربعة أركان: لا يصلح إلا بهنّ كما لا يصلح الجسد إلا باليدين والرجلين:التوكّل على الله،والتسليم لقضائه،والتفويض إلى الله، والرضا بقدر الله . وقال في وصيته لابنه: أُوصيك بِخصالٍ تُقَرِّبُك إلى الله، وتباعدك من سخطه: الأولى: تعبد الله لا تشرك به شيئًا.

الثَّانية :الرِّضا بِقَدَرِ الله فيما أَحببت وكرهت».[3]

... كيف نعيش إيجابيين مـــع الحياة و نعالج نتائجها السّلبيّة، بالتي هي أحسن؟ كلُّنا بلا استثناء نتعرّضُ لمشاكل وأحداثٍ يوميّةٍ، حيث إنَّ الحياةَ بدوافعِها أصبحت وكأنّها مصنعُ للقلقِ ،ومبعثُ للهلعِ والفَرَقِ[4*] ،ولكّن نوباتُ الاكتئاب الحادِّ والتّوتّر و الانهيار العصبي لم تنْشأ من الأحداث اليوميّة لأنَّ الأحداثَ اليوميّة تبدو أمرًا طبيعيًّا ،وهذه سنّةُ الحياةِ من بداية حياة البشرِ ،فأبونا آدم و أمّنا حواء -عَلَيْهِمَا السَّلامُ- كانا في الجنّةِ يأكلان منها رغدًا[5*]،ويسعدان بالنّعيم مؤبّدًا،فأُنزِلاَ إلى دار الإمتِحَانات ، و أصبَحا يأكلان من المكدِّرَات، وكلُّ فردٍ في هذه الدّنيا له نصيبُه من الأحداثِ اليوميّةِ :

---

(1)ابن أبي الدنيا في "اليقين". و للاستزادة في معرفة فوائد الصَّبْرِ على البَلاَءِ انظر: « سُنَنُ التِّرْمِذِيّ»34/ 31 – كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ : 57 – باب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلاَءِ ..... [التِّرْمِذِيّ(2396.....)]..

(2)قوت القلوب.

(3)قوت القلوب: 2/ 79، و انظر : وصايا لقمان و حكمه (ص : 28 أحمد بن عاشور).

(4*)الفَرَقُ أي الخوفُ .

(5*)فأبونا آدم و أمّنا حواء - عَلَيْهِمَا السَّلامُ - كانا في الجنَّةِ يأكلان منها رغدًا ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى =

" وَ بَلَوْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا فَإِذَا *** كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ يَسْعَى "[1].

... هنالك مشاكلُ ولكن ليس بعد المشاكلِ فشلٌ، وإنَّما بعد المشاكلِ تجاربٌ وعملٌ[2*]. هناك اِختبارات ولكن ليس بعد الاختبارات دائماً إهانة، وإنّما بعد الاختبارات في الغالب تكريم ومكانة. و بعد الاِخْتِبَارِ وَ الاِمْتِحَان يُكْرَمُ الْـمَرْءُ أَوْ يُهَانُ؟

فيكرم ويكرم ويكرم، يكرم أوّلاً بالصَّبر، وثانيًا بالتَّجَارب، وثالثًا بالحكمة أيّ: يصبح حكيما ، فَيَصْلُبُ عُودُهُ وَ يَسْتَقِيمُ عَمُودُهُ ، وَ يَكْمُلُ بِأَدْنَى شِدَّتِهِ وَ رَخَائِهِ ، وَ يَتَّعِظُ بِحَالَةِ عَفْوِهِ وَ بَلَائِهِ :

" مِـحَنُ الْفَتَى يُخْبِرْنَ عَنْ فَضْلِ الْفَتَى *** كَالنَّارِ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ الْعَنْبَرِ "[3].

فإذا أَرَدْتُم أَنْ تتخلَّصُوا من موروث سنواتِ الانطواءِ، فعليكم بقراءةِ قصصِ

=ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٥ -٣٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١١٧ - ١٢٣].

(1) أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين : 409،(البحر الكامل).

(2*) ليس هنالك فشل في الحياة و إنما هنالك تجارب : الأخطاء تساوي أهداف.

(3) أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين: 408،(البحر الكامل أيضا).

الأنبياءِ(*1) -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- من قصّة أيوب ويوسفَ وكلّ الرّسلِ -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- كي تهون أمامَكم كلّ مشاكل حياتكم اليوميّة في هذه الدّنيا وعليكم أن تتذكّروا بأنّنَا على المحك ، ومرجعنا إلى دار الجزاءِ والمستقرِّ الخالية من المشاغل والكدر.كي تُبْنى هذه القناعة على أسس ثابتة فانظروا

(*1)

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾ أي : قصص الأنبياء والرسل -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- مع قومهم ﴿ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي : يعتبرون بها ، أهل الخير وأهل الشر ، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة ، ويعتبرون بها أيضًا ، ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة ، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له .وقوله: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ أي : ما كان هذا القرآن -الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص -من الأحاديث المفتراة المختلقة ﴿ وَلَٰكِن ﴾ كان ﴿ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب السابقة ، يوافقها ويشهد لها بالصحة، ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه العباد من أصول الدّين وفروعه ، ومن الأدلة و البراهين.

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فإنهم -بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق و إيثاره -يحصل لهم الهدى ،وبها يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل، تحصل لهم الرحمة .

- فصل -

في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة ،التي قال الله تعالى في أولها:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ،وقال:﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ ،وقال في آخرها : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ،غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد . فمن ذلك : أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات ، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة ،ومن محنة إلى منحة ومنَّةٍ، ومن ذل إلى عزّ ،ومن رقٍّ إلى ملك ،ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جدب ،ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها ،ووضحها وبيَّنها.(تَفْسِير العَلاَّمة الشَّيخ عَبد الرَّحمن بن نَاصِرْ السَّعديْ للآية الكريمة [111] من سورة [يوسف] بن يعقوب -عَلَيْهِمَا السَّلامُ-).

كيف أنَّ الله – عزَّ وجلّ – الواحد الأحد الصّمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد الذي لم يتَّخذْ صاحبةً ولا ولدًا الذي لا إله إلّا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير ، لما ختم كتبَه بالقرآنِ و ختم رسالاته بالإسلامِ ، و ختم النّبيّين بمحمّد خير الأنام عليه أفضل الصّلاة و أزكى السّلام .أكَّد هذه الحقيقة وكرَّر ذلك في كثير من الآيات ، وذكر الغايةَ من وجودنا في هذه الحياة .وأعلن اللهُ الواحدُ الأحدُ في كتابه وحدانيته و أكَّد ذلك بإبلاغه لخلقه، و صدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله الكريم:

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[البَقَرَة: ١٣٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعَام: ١٤ – ١٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبْرَاهِيم: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ

ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسْرَاء: ١١٠، ١١١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهْف: ١٠٩، ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصَّافات: ١٨٠ - ١٨٢] (*1).

قَالَ عزَّ من قَائِل: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ٩٥]، وَقَالَ أَصْدَقُ قَائِل: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النِّسَاء: ١٢٢].

صدق الله العزيز الوهَّاب ، الكريم التَّواب ،رب الأرباب ،ومسبِّب الأسباب ،وخالق خلقه من تراب ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (2)

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ (3) ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (4)

صدق من لم يزل جليلا ، صدق من اتَّخذناه وكيلا ،صدق من حسبنا به كفيلا

(1 *) الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ١٣٦]-[آل عِمْرَان: ٦]-[آل عِمْرَان: ٥٩ -٦٨]-[المَائدة: ٧٣]-[الأنعَام: ٧١]-[الأنعَام: ١٠١ -١٠٣]-[الأنعَام: ١٦١ -١٦٥]-[التَّوبَة: ١٢٩]-[يُوسُف: ٣٩، ٤٠]-[الرَّعْد: ١٦]-[الرَّعْد: ٣٠]-[النَّحْل: ١ -٢٢]-[النَّحْل: ٥١ -٥٤]-[مَرْيَمْ: ٣٤ -٣٦]-[طه: ٨]-[طه: ١٤]-[الأنبيَاء: ٢٥]-[الأنبيَاء: ١٠٨]-[الحَجّ: ٣٤]-[المؤمِنُون: ٩١، ٩٢]-[المؤمِنُون: ١١٥ -١١٨]-[الفُرْقان: ٢]-[النَّمْل: ٥٩ -٦٥]-[القَصَصْ: ٧٠ -٧٣]-[القَصَصْ: ٨٧، ٨٨]-[العَنكبوت: ٤٦]-[الرُّوم: ١٧ -٢٨]-[الرُّوم: ٤٠]-[فَاطِر: ٣]-[الصَّافَّات: ٤، ٥]-[صٓ: ٦٥، ٦٦]-[الزُّمَرْ: ٤، ٥]-[غَافر: ١ -٣]-[غَافر: ٦٢]-[غَافر: ٦٥]-[فُصِّلَت: ٦]-[الشُّورى: ١١]-[الزُّخْرُف: ٨١ -٨٩]-[الدّخان: ٨]-[الجَاثِيَة: ٣٦، ٣٧]-[محَمَّد: ١٩]-[الحَشْرْ: ٢٠ -٢٤]-[التَّغَابُن: ١٣]-[النِّسَاء: ٨٧]-[النِّسَاء: ١٧١]-[الأنعَام: ١٦١]-[التَّوبَة: ٣١]-[الإسْرَاء: ٤١ -٤٤]-[الإسْرَاء: ٦٦]-[مَرْيَمْ: ٩٢ -٩٨]-[طَه: ٩٨]-[الفُرْقان: ٢ [الجنّ: ١ -٣]-[المُزَّمل: ٨، ٩].....

(2) [غـــافر: ٣]

(3) [غـَافر: ١٥]

(4) [الرَّعْد: ٣٠]

صدق الهادي إليه سبيلا ،صدق من اتَّخذ إبراهيم خليلا ،صدق الذي خلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرا ،صدق الله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّلّ وكبِّره تكبيرا .

وهذا هو أعلى الحقوقِ وأعظمها ، وهو حقُّ اللهِ الواحد – عزّ وجلّ – أن يعبد وحده لا شريك له، ثم بعده حقّ المخلوقين. هذا يبيِّن لنا الخالق –عزّ وجلّ – ،أصحَّ وأسلم السُّبل ، ويعطينا الأسوة الحسنة والمثل ، فيما ابتلى به الأنبياءَ وأولى العزم من الرُّسّل ، وكان الصَّبرُ مفتاحَ الفرجِ وبابَ الأمل ، وهو الدّواءُ لهذا الإنسان المخلوق من عجل .(*1)

أين أنتم من ذلك؟ أين صبركم في هذه الحياة ؟أين صبركم الجميل؟ أين رضاكم بقضاء الله وقدره؟ لا بدَّ أن نرضى بقضاء الله وقدره ونشكر الله – عزَّ وجلّ – ونوحِّده جميعًا ونكثر من قراءة سورة الإخلاص لأنَّ فيها توحيد الله الواحد الأحد ...، "قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا

(*1) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يُوسُف: ١١٠]

أبقى لنا الدهر هتافًا على حـــزن *** عـــلى قلوبهم الغـــماء والغمر
إن لم تداركهم نعـــماء تنشـــرها *** يا أرجح الناس حلمًا حين تختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها *** إذا فوك يملؤه من مخضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها *** وإذ يزينك ما تـــأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شـــالت نعامـــته *** واستبـــق منـــا فإنا معشر زهـــر
إنا لنشكر للنعمـــاء إذ كـفرت *** وعنـدنا بعـد هذا اليوم مـدخـر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه *** من أمهاتك إن العفو مشتهـر
يا خير من مرحت كُمْت الجياد به *** عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنـا نؤمـل عفـوًا منـك تلبسـه *** هادي البرية إذ تعفـو وتنتصر
فاعف عفا الله عـمّا أنت راهبه *** يوم القيامة إذ يهـــدي لك الظفر

شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ،(البحر البسيط).

﴿تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢] و قد استدلَّ بها كثير من المفسِّرين كالرَّازي وغيره على وجود الصَّانع تعالى فقال : وهي دالة على ذلك بطريق الأولى ، فإنَّ من تأمّل هذه الموجودات السُّفليَّة والعلويَّة، واختلاف أشكالها و ألوانها و طباعها و منافعها ووضعها في مواضع النَّفع بها محكمة ، عَلِمَ قدرة خالقها وحكمته و علمه و إتقانه و عظيم سلطانه ، كما قال بعض الأعراب، وقد سئل : ما الدّليل على وجود الرَّب تعالى ؟ فقال : يا سبحان الله ! إنّ البعرة لتدلّ على البعير ، و إن أثر الأقدام ليدلّ على المسير ، فسماء ذات أبراج،وأرض ذات فجاج ،و بحار ذات أمواج،ألا يدلّ ذلك على وجود اللّطيف الخبير ؟! .

وحكى الرَّازي عن الإمام مالك أنَّ الرَّشيد سأله عن ذلك فاستدلّ له باختلاف اللّغات والأصوات و النّغمات. وعن أبي حنيفة : أنّ بعض الزَّنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى ، فقال لهم : دعوني فإني مفكِّر في أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لي أن سفينة في البحر مُوَقرةٌ فيها أنواع من المتاجر ، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها،وهي مع ذلك تذهب و تجيء و تسير بنفسها ، وتخترق الأمواج العظام حتَّى تتخلّص منها،وتسير حيث شاءت بنفسها،من غير أن يَسُوقَها أحد . فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل ! فقال : ويحكم ، هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسُّفلي ، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟ ! فَبُهِتَ القومُ ، ورَجعوا إلى الحقِّ ، و أسلموا على يديه . وعن الشَّافعي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : أنه سئل عن وجود الصّانع ، فقال : هذا ورق التّوت طبيعةٌ واحدةٌ ، يأكله الدّود فيخرج منه الإبريسم ، ويأكله النّحل فيخرج منه العسل،وتأكله الشاة و البقر و الأنعام فتلقيه بعرًا و روثاً،وتأكله الظّباء فيخرج منها المسك ، وهو شيء واحد. وعن الإمام أحمد بن حنبل : أنه سُئِل عن ذلك فقال : ههنا حِصْنٌ حَصِين ،أملس ليس له باب و لا مَنْفَذ ظاهره كالفضَّة البيضاء ، و باطنه كالذهب الإبريز ، فبينما هو كذلك إذا انصدع جدارهُ ، فخرج منه حيوان

سميعٌ بصيرٌ،ذو شكلٍ حسنٍ و صوتٍ مليحٍ.يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الطّير. وسُئِل - أبو نواس - عن ذلك فأنشد :

تأمَّلْ في نبات الأرض وانْظُرْ *** إلى آثار ما صَنَـــــعَ المليك

عيونٌ من لُجَيْن شاخصـــاتٌ *** بأحداقٍ هي الذهــبُ السبيكُ

على قُضُبِ الزَّبرجد شاهـداتٍ *** بـــــأنَّ الله ليــس لـه شريكُ

وقال ابن المعتز - رحمه الله - :

فيا عجباً كيف يُعْصَى الإلـ *** ـهُ أم كيف يجحدُه الجـاحـدُ

وفـي كـلِّ شـــيءٍ لـه آيـةٌ *** تـدلُّ على أنّـه واحـــــــدُ

وقال آخرون : من تأمل هذه السَّموات في ارتفاعها و اتِّساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصّغار النيِّرة من السَّيارة و من الثَّوابت ، و شاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كلِّ يوم و ليلة دورة و لها في أنفسها سَيْرٌ يخصُّها،ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كلِّ جانب،والجبال الموضوعة في الأرض لتقرَّ و تسكن بساكنيها ، مع اختلاف أشكالها وألوانها، كما قـال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٧ ، ٢٨] ؛ وكذلك هذه الأنهار السَّارحة من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ لمنافع العباد ، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوّعة ، والنبات المختلف الطّعوم و الأراييح و الأشكال و الألوان ، مع اتحاد طبيعة التُّربة و الماء ، استدلَّ على وجود الصَّانع و قدرته العظيمة،وحكمته و رحمته بخلقه و لطفه بهم،وإحسانه إليهم و برّه بهم ، لا إله غيره ، و لا ربَّ سواه ، عليه توكلت وإليه أنيبُ ، و الآيات في القرآن الدّالة على هذا المقام كثيرة جدًّا "[1]:

(1) تفسِيرُ العالم الفقيه المفتي المحدث الحافظ ابنْ كثير لجزء من الآية الكريمة [22] من سورة [البَقَرَة].

- فَيَا عَجَبِي كَيْفَ يعصى الإلـَ ❊❊❊ ــهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَـــدُهُ الجَاحِدُ
- وَلله في كُـلِّ تَحْرِيكَـــــةٍ ❊❊❊ و تَسْكِينَـــةٍ أَبَـداً شَاهِـــدُ

- وَفي كُـلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـــــةٌ ❊❊❊ تَدُلُّ عَلى أَنَّـــهُ وَاحِـــــدُ[1]

وحِّدُوا من لا ينسى و لا ينام، و حِّدُوه وحِّدُوه في صفاته وأسمائه وأفعاله

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ». فَسَأَلُوهُ .فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ،وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ».[2]

(1)دِيوان الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص :1 5مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبو عبد الله) و انظر ديوان «ابن المعتز – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –»،(المتقارب) .

(2)(صحيح ،متفق عليه): [(البخاري (6466)و مسلم (813)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 669 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب فضل سورة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ :إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ،فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ،ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ،وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ». (1) كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩] ، وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مَرْيَمْ :٩٦] ، و كقوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طـــه :٣٩].

... فليتكَ تحلو و الحياةُ مريرةٌ ** و ليتكَ ترضى و الأنامُ غِضابُ

و ليتَ الذي بيني و بينكَ عامرٌ ** و بيني و بينَ العالمينَ خرابُ

إذا صحَّ منكَ الودُّ فالكلُّ هيّنٌ ** و كلُّ الذي فَوقَ الترابِ ترابُ. (2)

قَالَ تَعَالَى:﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطَّلَاق: ٧] ،وَقَالَ تَعَالَى:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشَّرْح: ٥ ، ٦].

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:97 - كتاب التوحيد : 33 -بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَنِدَاءِ اللهِ المَلاَئِكَةَ.

[رقم(7485)، مسلم (2637)،و أحمد(2/ 514 :10728..)، التِّرْمِذِيّ(3172)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص: 564 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده] .

(2) ديوان أبي فراس / دار بيروت للطباعة ، ط1 ، 1986 ص 27 ، وانظر بائية أبي فراس الحمداني«يتيمَة الدَّهْر في محاسِن أهْل العَصْر للثعَالبي النيسَابُوري»الروميات من غرر أبي فراس/الجزء 1/ص: 95/ ط1/ بيروت ،و انظر مناجاة رابعة العدوية ،وانظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العبكري المسمى« بالتبيان في شرح الديوان » و هو البيت الحادي و الأربعون من قصيدته .

و تذكروا دائما قول النّبي ﷺ الذي قال :« ... و أن النصر مع الصبر، و أن الفَرَج مع الكَرْبَ، وأنَّ مع العسرِ يُسراً »[1] إلى آخر الحديث :

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَـضيقُ لَهَـا الفَتـى ❊❊ ذَرْعًا، وعِـنْدَ الله مِنْها الـمَـخْرَجُ

ضَاقَتْ فلمَّا اسْتَحْكَمَتْ حلقَاتُهَا ❊❊ فُرِجَتْ، وكُنتُ أظُنُّها لا تُفْرَجُ[2] .

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن العباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.[رقم (1/ 307:2804) = طرفاه في (2669،2763) –التِّرْمِذِيّ (2516)، جامع المسانيد (30/ 119/ 219)]،وانظر:[«السلسلة الصحيحة» (2382)]باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان.

(2) دِيوان الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص :44مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عبد الله)، (الكامل) .

« إِنَّ المؤمنَ إذا أبصر العاقبة أَمِنَ النَّدامة ». [1]

و لننظر إلى القدر المحض الذي هو نموذج و أكبر نموذج في الأمور التي ظاهرها أمر و باطنها غير ذلك ،ظاهرها كره و باطنها صلاح دينٍ و دنيا:﴿ وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

ظاهره: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾.

و باطنه: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ ،«فإذا جاء الذي يسخرها وجدها منخرقةً فتجاوزها، فأصلحوها بخشبة ... » ؛[2*] الْحَدِيثَ.

ظاهرها منع و تعطيل ، و باطنها عين العطاء ، و كذلك الأمور التي ظاهرها ظلم أي ظلم من ظلمك ،و باطنها منفعة و مسرّة و فوائد لا تدخل تحت الحصر.

فكم في ضمن ذلك المكروه من الفوائد.

وفي هذا يقول الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:«لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك، فإنه يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه» . [3]

و كل هذا لتستدل الخلائق على ألطاف خالقها في أقضيته، و ليعرفوا و يرضوا غاية الرضا بقضائه و قدره ورحمته – عزّ و جلّ – .

---

(1) إحياء علوم الدين للغزالي : 7/ 37، وانظر :وصايا لقمان وحكمه (ص: 29 أحمد بن عاشور).

(2*)يسخرها أيّ: يغصبها ... هو بعض خبر موسى و الخضر - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -

(3)من كلام الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -وحكمه وأمثاله (ص:374 محمّد رضا).

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾[النِّسَاء: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[الأعْرَاف: ١٨٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ ﴾[النُّور: ١١].

... و مصداقا لذلك تأمل ما في هذه القصة من خير ظاهره الشر :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن

يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهْف: ٦٥ - ٨٢].

الآية: 79

(" قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهْف: ٧٩]

كان الملك حيسون يأخذ كل سفينة جيدة غصبًا فلذلك عابها الخضر وخرقها؛ ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها، وجواز إصلاح كل المال بإفساد بعضه، وقد تقدّم. وفي صحيح مسلم وجه الحكمة بخرق السفينة وذلك قوله: « فإذا جاء الذي يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها، فأصلحوها بخشبة... »[1]؛ الْحَدِيث. وتحصّل من هذا الحضُّ على الصبر في الشدائد، فكم في ضمن ذلك المكروه من الفوائد، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦].

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الكهْف: ٨٠]

وعن ابن جريج أيضًا أنَّ أمّ الغلام يوم قتل كانت حاملًا بغلام مسلم وكان المقتول كافرًا. وعن ابن عباس: فولدت جارية ولدت نبيًّا؛ وفي رواية: أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبيًا؛ وقاله جعفر بن محمد عن أبيه؛ قال علماؤنا: وهذا بعيد. ولا تُعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن فيهم؛ ويستفاد من هذه الآية تهوين المصائب بفقد

(1) هو بعض خبر موسى والخضر وتقدم تخريجه.

الأولاد وإن كانوا قطعًا من الأكباد، ومن سَلَّم للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء. قال قتادة: لقد فرح به أبواه حين وُلد وحَزِنا عليه حين قُتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فالواجب على كل امرئ الرضا بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه له فيما يحب.

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ هذان الغلامان صغيران بقرية وصفهما باليتم، واسمهما أصرم وصريم. وقد قال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ -:[4182] « لا يُتْم بعد بلوغ » هذا هو الظاهر. وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتيم بعد البلوغ إن كانا يتيمين، على معنى الشفقة عليهما. وقد تقدم أن اليتم في الناس من قِبل فقد الأب؛ وفي غيرهم من الحيوان من قبل فَقْد الأم. ودلَّ قوله: ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ على أن القرية تسمى مدينة؛ ومنه الحديث [4183]« أُمِرْتُ بقريةٍ تأكل القُرَى...»[1] وفي حديث الهجرة «لمن أنت » فقال الرجل: من أهل المدينة؛ يعني مكة.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾اختلف الناس في الكنز؛ فقال عِكرِمة وقتادة: كان مالاً جسيماً وهو الظاهر من اسم الكنز إذ هو في اللغة المال المجموع؛ وقد مضى القول فيه. وقال ابن عباس: (كان عِلماً في صحفٍ مدفونةٍ) و عنه أيضًا قال: (كان لوحًا من ذهب مكتوبًا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجبت لمن يؤمن بالدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن لها، لا إله إلا الله محمد رسول

(1)أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.[رقم (2/ 237 7264..) ، جامع المسانيد (1/ 347/ 2048)].

الله). وروي نحوه عن عكرمة وعمر مولى غُفْرة، ورواه عثمان بن عفان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دِنْيَةً. وقيل: هو الأب السابع؛ قاله جعفر بن محمد. وقيل: العاشر فَحُفِظا فيه وإن لم يُذْكَرا بصلاح؛ وكان يسمى كاشحًا؛ قاله مقاتل. واسم أمهما دنيا؛ ذكره النقاش. ففيه ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعدوا عنه. وقد روي أن الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته؛ وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦][1]". اهـ) . من الإمام الحافظ القرطبي

("﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة.

﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ أي: سأخبرك بما أنكرت عليَّ، وأنبئك بأن لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر. ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ التي خرقتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم. ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كان مرورهم على ذلك الملك الظالم، فكل سفينة صالحة تمر عليه، ما فيها عيب ،غصبها وأخذها ظلماً، فأردت أن أخرقها، ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم.

(1) تَفْسير العلاَّمة الإمام الحافظ القرطبي لجزء من الآيات الكريمة [79-82] من سورة [الكهْف].

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ ﴾ الذي قتلته ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ وكان ذلك الغلام، قد قدر عليه، أنه لو بلغ، لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا. أي: لحملهما على الطغيان والكفر، إما لأجل محبتهما إياه، أو للحاجة إليه أو يحملهما على ذلك، أي: فقتلته، لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأيُّ فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟!! وهو وإنْ كان فيه إساءة إليهما، وقطعٌ لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية ما هو خير منه، ولهذا قال: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ أي: ولدًا صالحًا، زكيًا، واصلًا لرَحِمه، فإن الغلام الذي قتل، لو بَلَغَ لعقَّهما أشدّ العقوق ،بحملهما على الكفر والطغيان.

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ ﴾ الذي أقمته ﴿ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ أي: حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما، لكونهما صغيرين، عدما أباهما، وحفظهما الله أيضًا، بصلاح والدهما.

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ أي: فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجانًا. ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ ﴾ أي: هذا الذي فعلته رحمة من الله، آتاها الله عبده الخضر ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ أي: ما أتيت شيئًا من قبل نفسي، ومجرد إرادتي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره.

﴿ ذَلِكَ ﴾ الذي فسرته لك ﴿ تَأْوِيلُ مَالَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد، والأحكام ،والقواعد، شيء كثير. " [1] اهـ) . من عَبد الرّحمن بْنِ نَاصِر السَّعدي.

وفي هذا يقول لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: « إِنَّ المؤمنَ إذا أبصر العاقبة أَمِنَ النَّدامة » [2]،و قال أيضًا : «إذا وقع لك ما تحبُّ و ما تكره،فاحذر أن يقع في قلبك أنَّ صلاحك في غير ما وقع لك» [3]، وقيل في الأثر : «لو اطلعتم على الغيب لرضيتم بالواقع».

وواجِبُنَا العملي يسديه لنا حَبَنكَةُ الميدانيُّ بقوله : " مِنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ السَّمْحَةِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهَا هَيِّنًا لَيِّنًا يَتَقَبَّلُ مَا يَجْرِي بِهِ القَضَاءُ وَالقَدَرُ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ،وَيُحَاوِلُ أَنْ يَجِدَ لِكُلِّ مَا يَجْرِي بِهِ ذَلِكَ حِكْمَةً مَرْضِيَّةً وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِهَوَاهُ وَيُرَاقِبُ دَائِمًا قَوْلَ الله تَعَالَى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النِّسَاء: ١٩] ، وَهُوَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَسْتَقْبِلُ كُلَّ مَا يَأْتِيهِ مِنْ قِبَلِ الله - عَزَّ وَجَلَّ - بِغَايَةِ الرِّضَا، وَيُلَاحِظُ جَوَانِبَ الخَيْرِ فِي كُلِّ مَا تَجْرِي بِهِ المَقَادِيرُ، وَهُوَ لِذَلِكَ يَتَرَقَّبُ المُسْتَقْبَلَ بِتَفَاؤُلٍ وَأَمَلٍ كَمَا يَسْتَقْبِلُ الوَاقِعَ بِانْشِرَاحٍ لِمَا يُحِبُّ وَإِغْضَاءٍ عَمَّا يَكْرَهُ وَبِذَلِكَ يُسْعِدُ نَفْسَهُ وَيُرِيحُ قَلْبَهُ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ العَقْلِ، لأَنَّ العَاقِلَ هُوَ الشَّخْصُ الوَاقِعِيُّ أَيِ الَّذِي يُسْعِدُ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ بِالوَاقِعِ الَّذِي لاَ يَمْلِكُ دَفْعَهُ أَوْ رَفْعَهُ، وَيُعَامِلُ النَّاسَ بِالتَّسَامُحِ لأَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ أَنْ يُطَوِّعَ النَّاسَ جَمِيعًا لِـمَـا يُرِيدُ لأَنَّهُمْ مِثْلُهُ ذَوُو طَبَائِعَ مُتَبَايِنَةٍ وَإِرَادَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ " [4].

❊ ❊ ❊

(1)تَفْسير العَلاَّمة الشَّيخ عَبد الرّحمن بْن نَاصِر السَّعدي لجزء من الآيات الكريمة [79-82] من سورة [الكهْف].

(2)إحياء علوم الدين: 7/ 37، وانظر :وصايا لقمان وحكمه(ص : 29 أحمد بن عاشور).

(3) و صايا لقمان و حكمه (ص : 141 أحمد بن عاشور).

(4)باختصار وتصرف عن الأخلاق الإسلامية لحبنكة الميداني (2 / 457-459).

كيف تساعد نفسك للخروج من دوامة الغضبِ ؟ .

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفَاتِحَة: ١ – ٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾[التّكوير: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ [اللّيْل: ٥ – ١٠][1*].

إن شاء اللهُ شيئًا كان ،وإن لم يشأْ شيئًا لم يكن ، وكلُّ شيءٍ بمشيئته :

فَمَا شِئْتَ كَـــانَ، وَإِنْ لَمْ أَشَـــأْ *** وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُـــنْ

خَلَقْتَ العِبَادَ لِـمَـا قَدْ عَلِمْـــتَ *** فَفِي العِلْمِ يَجْرِي الفَتَى وَالمُسِـنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيـــدٌ *** وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْـــهُمْ حَسَـــنْ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَـذَا خَذَلْـتَ *** وَذَاكَ أَعَنْـــتَ وَذَا لَمْ تُعِـــــنْ.[2]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « ... وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَـكِنْ قُلْ : قَدَرُ الله ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»، [3] إلى آخر الحديث .

(1*)الآيات في ذلك : [آل عِمْرَان : ١٦٦]-[المَائِدَة:٣]-[الأنعَام: ٥٣]-[يُوسُف:٧٦]-[إبرَاهِيم:٢٧]-[يس : ٨١،٨٢]-[التّغَابُن: ١١]- [الإنسَان:٢٨ -٣١]-[الأعْلى: ١-١٩]

(2)دِيوان الإمَامِ الشَّافِعِي (ص :19، 20 مُـحمَّد تَبَرْكَانْ أَبو عبد الله)،(المتقارب).

(3) أخرجه مسلم في : 46- كِتَاب القَدَرِ : 8 – بَابِ فِي الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَ الِاسْتِعَانَةِ بِالله وَ تَفْوِيضِ الْـمَقَادِيرِ لله . [رقم (2664)، و النووي (16/ 164)] . قال:(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،بِهِ).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: « يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» [1]، وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ:« احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

... وواجِبُنَا العمليّ يسديه لنا الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله:

دَعِ الأَيَّـــامَ تَفْعَـــلُ مَا تَشَـــاءُ *** وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَـــاءُ

وَلَا تَجْـزَعْ لِحَـــادِثَةِ اللَّيَـــالِي *** فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَـــا بَقَـــاءُ

وَكُنْ رَجُلاً عَلَى الأَهْـوَالِ جَـــلْدًا *** وَشِيمَتُكَ السَّمَاحَةُ وَالوَفَـــاءُ

وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَـــا *** وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَـــا غِطَـــاءُ

تَسَتَّرْ بِالسَّخَـاءِ فَكُـــلُّ عَيْـــبٍ *** يُغَطِّيهِ كَمَـــا قِيـــلَ السَّخَـاءُ [2*]

وَلاَ تَـرْجُ السَّمَاحَـــةَ مِنْ بَخِيـــلٍ *** فَمَا فِي النَّـــارِ لِلظَّمْـــآنِ مَـــاءُ

وَرِزْقُكَ لَيْـسَ يُنْقِصُـــهُ التَّـــأَنِّي *** وَلَيْـسَ يَزِيدُ فِي الـــرِّزْقِ الْعَنَـــاءُ

وَلاَ حُزْنٌ يَـــدُومُ وَلاَ سُـــرُورٌ *** وَلاَ بُؤْسٌ عَلَيْـــكَ وَلاَ رَخَـــاءُ

---

(1) أخرجه التِّرْمِذِيُّ في: 35 - كتاب صفة القيامة و الرقائق و الورع: 59/ 124 –باب: [ساعة و ساعة، و احفظ الله يحفظك]. [رقم (2516)، أحمد (1/ 293: 2669..)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

(2*) يقول علماء الدين السخاء يستر كل عيب إلا الدِّين فلا يكفي عنه السخاء.

إِذَا مَا كُنْـــــتَ ذَا قَلْـــبٍ قَنُـــــوعٍ ❊❊❊ فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيـــــــا سَـــــوَاءُ

وَمَنْ نَزَلَـــتْ بِسَاحَتِـــــهِ المَنَايـــــا ❊❊❊ فَلاَ أَرْضٌ تَقِيـــــــهِ وَلاَ سَمَـــــاءُ

وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَـــــةٌ وَلَـكِـــــنْ ❊❊❊ إِذَا نَزَلَ القَضَـاءُ ضَـــــاقَ الفَضَـاءُ

دَعِ الأَيَّـامَ تَغْـــــدِرُ كُلَّ حِيـــنٍ ❊❊❊ فَمَا يُغْنِـي عَنِ المَـــوتِ الـــدَّوَاءُ. (1)

❊ ❊ ❊

(1)دِيوان الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص :19، 20 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عبد الله)، (الـــوافر) .

الإيـــمان

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البَقَرَة: ٢٨٥](1*).

عَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَ لاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَ وَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « الإِسْلاَمُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَ تُقِيمَ الْصَّلاَةَ،وَ تُؤْتِيَ الْزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » .قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ . يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ.قَالَ:« أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَ الْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » . قَالَ:صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ . قَالَ: « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» .قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْسَّاعَةِ .قَالَ: « مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ الْسَّائِلِ » . قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ، الْعَالَةَ رِعَاءَ الْشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» .قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: « يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ الْسَّائِلُ؟» .قُلْتُ: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ . أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» .(2)

❊ ❊ ❊

(1*).. انظر : [البَقَرَة: ١٢٤ -١٣٦].

(2) [رَوَاهُ مُسْلِمٌ (8)، انفرد به أبو داود (4695)، و النسائي (4990)، ابن ماجه (63)، و أحمد (1/ 51:367..)، و التِّرْمِذِيّ (2610)].

شرح المفردات : *الْأَمَة: الْجَارِيَةُ: الْبِنْتُ الصَّغِيرَة. * الشَّاء: الْغَنَمُ وَ غَيْرُهَا.

*العالة: الْفُقَرَاءُ.*رَبَّتَهَا:سَيِّدَتَهَا.

الإحسان :

"أحسن إلى النّاس تستعبد قلوبَهُمُ * فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ "** [1].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[3]، وَقَالَ أَيضًا: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[4].

وفي الحديث« .....قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.....»؛ إلى آخر الحديث . [5]

---

(1) قصيدة لِشاعر الحكمة أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي،(البحر البسيط).

(2)[البَقَرَة: ١٩٥]

(3)[التَّوْبَة: ١٠٠]

(4)[الرَّحْمَنُ: ٦٠] ... الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ٨٣]-[آل عِمْرَان: ١٤٨]-[النِّسَاء: ١٢٥]-[الأعْرَاف: ٥٦]-[التّوْبَة: ١٢٠]-[يُونس: ٢٦]-[يُوسُف: ٢٢]-[يُوسُف: ٥٦]-[النّحْل: ٣٠ - ٣٢]-[الإسْرَاء: ٧]-[الإسْرَاء: ٢٣ – ٢٨]-[الكهْف: ٣٠، ٣١]-[مَرْيَمْ: ٤١ - ٦٥]-[الحَجّ: ٣٧]-[الصَّافَات: ٧٤ - ١٣١]-[الزُّمَرْ: ١٠]-[الزُّمَرْ: ٣٣، ٣٤]-[الذَّارِيَات: ١٥ - ٢٠]-[النّجْم: ٣١].

إن الله وعد كل محسن ، أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه ، وهؤلاء من أئمة المحسنين ، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب ، العالي غير الخفي ، فذكرهم ملأ الخافقين ، والثناء عليهم ومحبتهم ، امتلأت بها القلوب ، وفاضت به الألسنة ، فصاروا قدوة للمقتدين وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور ، متجددة، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، والله الواحد ذو الفضل العظيم .

(5)[رَوَاهُ مُسْلِمٌ (8)].

*« . . . . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، إلى آخر الحديث. الآيات في ذلك بأنه يراك قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾، [النِّسَاء: ١٠٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعَام: ٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ =

فالإحسان هو الشَّراب الطَّهور الذي يسقيه الله لعباده المؤمنين المرتقين إلى درجة أعلى و هي درجة الإحسان . قد يعفو المرء و يصفح و يسامح و يكظم غيظه و يدفع بالتي هي أحسـن. فيسمو و يرتقي حتّى يكون محسنـًا .أو ربَّما كان في منزلة أدنى من ذلك فيكون مؤمنـًا. أو دون ذلك فيكون مسلمًـا .فأعلى درجة هي الإحسان.لأنَّها شيمة الرُّسل -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- والإحسان يشقُّ على النُّفوس الضَّعيفة فما يكون إلّا للأنفس المطمئنَّة ما يكون إلَّا للأنفس المتحرِّرة تحرُّرًا تامًّا من النَّاحية النَّفسيَّة و الشُّعوريَّة.

... إنّ المحسنينَ تنبض في قلوبهم و دمائهم و عروقهم نبضاتُ رِفْقٍ و حنانٍ، و نورٍ وإيثارٍ و أُخوَّةٍ ودِفءٍ و أمـانٍ ،و بـهجةٍ و إحسانٍ، و محبَّةٍ و نسماتِ الوفاءِ و المودّةِ و الأمانِ، فأرواحهم ممزوجةٌ مع الخلق،و قلوبهم متصافحةٌ مع خلق الله ،فسبحانك اللّهمَّ يا مؤلِّف القلوب سبحانك، يا من إذا رأيت صدق الإيمان من عبادك أوجبت عليهم أن يكونوا إخوانًا ، أعلاهم إحسانًا ، و أوسطهم إيمانًا ، و أدناهم إسلامًا .

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحِجْر: ٤٧].

= رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعْرَاف: ١٤٣]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الطُّور: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجَاثِيَة: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التَّحْرِيم: ٣]-[المَائِدة: ١١١ - ١٢٠]-[الأنعَام: ١٠٢ -١٠٤]-[التّوْبَة: ٤٠]-[يُونس: ٦١ -٦٤]-[إبراهيم: ٣٧ -٤٢]-[طـه:٣٥-٥٢]-[الحَجّ:٧٠]-[القَمَر :٥٢ -٥٥]-[البَلَد: ٥ -٢٠].....

أعلاهم إحسانًا: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [ٱلرَّحۡمَٰنُ: ٦٠]

و أوسطهم إيمانًا : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزَاب: ٤٧]

و أدناهم إسلامًا : ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ [الحجرَات: ١٤]

فإذا هـــم روح واحـــدة تَسْرِي في أجسام متعدّدة، و ينبغي العمل بما أسداه لنا الإمام الشّافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله :

- إذَا هَبَّتْ رِياحُكَ فَاغْتَنِمْهَـــــا *** فَعُقْبى كُـــــلِّ خَافِقَةٍ سُكُـــــونُ
- وَلا تَغْفُلْ عَنِ الإحْسانِ فِيهَـــا *** فَلاَ تَـــدْرِي السُّكـونَ مَتى يَكُونُ
- وَ إنْ دَرَّتْ نِياقُكَ فَاحْتَلِبْهَـــــا *** فَما تَـــدْرِي الفَصِيلَ لِمَنْ يَكُـــونُ.[1]

❊ ❊ ❊

(1) دِيوان الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص 142 مُحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عبد الله)، (الوافر).

المحسن حرٌّ و لو آذيته، و المسيء عبدٌ و لو عفوت عنه

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١ ﴾ [الجَاثِيَة: ٢١]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزَّلزَلة: ٦ – ٨][1*].

عن زيد بن أسلم قال: بلغنا أن لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- قال لابنه : « يا بنيّ إذا فعلت الخير فارج الخير ، وإذا فعلت الشر فلا تشك أن يفعل بك الشر » [2] :

" إذَا وَتَرْت امْرَأً فَاحْذَرْ عَدَاوَتَهُ *** مَنْ يَزْرَعِ الشَّوْكَ لَا يَحْصُدْ بِهِ عِنَبَا "[3].

إنَّ اللهَ سبحانَه و تعالى يحبُّ أهلَ العفوِ و السّماحةِ و الوفاءِ كما يحبُّ أصحابَ الأخلاقِ الكريمةِ،قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ- :«إنَّ اللهَ-عزّ وجلّ- كريم، يحبُّ الكرَمَ ومعالي الأخلاق،ويبغض سَفْسَافَها»[4]، وَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا ، وَيَكْرَهُ دَنِيَّهَا وَسَفْسَافَهَا »[5].

(1*) الآيات في ذلك : [الإسْرَاء: ٧]-[الفُرْقَان: ٦٣ – ٧٧]-[لُقْمَان: ١٦]-[النَّجْم: ٣١]-[القَلَم: ٣٤-٣٨]...

(2) الزهد الكبير للبيهقي.

(3) من كلام صالح بن عَبْدِ الْقُدُّوسِ، أَدَب الدُّنْيَا و الدِّين : 479،(البحر البسيط).

(4) [رواه الطبراني في «الكبير» (1/ 140 / 1) فَقَال : حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، حدَّثنا الحسن بن سفيان الشيباني ، حدَّثنا محمد بن سلمة المرادي ، حدَّثنا حجاج بن سليمان بن القمري ، ومات قبل ابن وهب ، حدَّثنا أبو غسان المدني ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد به ، وابن عدي (1/ 114)]، وانظر : [«السلسلة الصحيحة» (1378)]باب الأخلاق والبر والصلة .

(5)(صحيح) : أخرجه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (1/ 19) ، والطبراني في « الكبير»(6/ 181 رقم 5928) و« الأوسط »(2940)، والحاكم في« المستدرك » (152)،والبيهقي في « الكبرى » (10/ 191)، وأبو نعيم في « الحلية »(3/ 255)من طريق محمد بن ثور ، عن معمر، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد مرفوعًا ، وله شواهد من حديث طلحة بن عبيد الله مرسلاً ، وسعد بن أبي وقاص ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباس ، و حسين بن علي موقوفًا ، لكن أسانيدها جميعًا ضعيفة ، وانظر : [« السلسلة الصحيحة » (1378، 1626، 1627)] .

فيا أخي من كرمك و ارتقاء نفسك أن تسارع للصَّفح و السَّماحة، و الابتسامة و السَّلام والملاحة ،و تكون أنت المبتدئَ ليس المقتدي بالسَّماحة ،تكون أنت المصدرَ ليس المستوردَ للسَّماحة ،فأنت – إن شاء الله – ذو الجود ومكارم الأخلاقِ وليس سَفَاسفها.

إِذَنْ فإذا أسأت إلى من أساء إليك ازداد هياجًا وغضبًا وتبجُّحًا ومرودًا ، وخلع حياءَه نهائيًّا ،وأفلت زمامه ، وأخذته العزَّة بالإثم .

وإذا صبرت صبرًا جميلاً لا جزع فيه حتَّى يقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً، وأحسَنْتَ إلى من أساء إليك ، وتبسَّمت بسمةً حانيةً في وجه هائجٍ غاضبٍ متبجّحٍ مفلوت الزِّمام فينقلب هياجه إلى وداعة ، وغضبُه إلى سكينة ، وتبجُّحهُ إلى حياءٍ ، فسيقوده الإحسانُ إلى بثّ الإحسان فيصبح بُغْضُهُ محبّةً، وبُعْدُهُ قربةً،وإساءتُه إحسانًا...فالفضلُ للمبتدئِ و إن أحسن المقتدي.و المبتدئُ هو المحسنُ الأوّلُ ومصدر الإحسان.و المقتدي هو الذِي أحسنَ بعدما أساءَ إساءات قبل ذلك و أصبح يحسن، و لَكنْ لَيس الإحسانُ صفتَه بل اقتداءً بصفات الكرام معادن الحلم و الإحسان الذين قادوه بإحسانهم:

و كُلُّهُم مِن رسولِ الله مُلتَمِسٌ ❊❊❊ غَرْفا مِنَ البحرِ أو رَشفًا مِنَ الدِّيَمِ [1].

و كما قيل : الخير بالخير و البادي أكرم ❊❊❊ و الشّر بالشّر و البادي أظلم

اللَّهُمَّ صَلِّ وَ سَلِّمْ وَ بَارِكْ على سيدنا مُحَمَّد المصطفى المثل الأعلى في السّماحة و الوفاء ﷺ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحْزَاب: ٥٦].

❊ فمحسن يعفو عن مسيء

(1) بردة الإمام العارف بالله الفقيه المعروف بـ: الشيخ البوصيري –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– لمدح خير الخلق سيدنا محمد ﷺ،(البحر البسيط).

- و مسيء يرجو سماحة محسنٍ.

❊ سلطانٌ يعفوُ عن عبيده

- عبيدٌ يرجون سماحةَ السّلطانِ.

❊ فالمحسنُ حرٌّ سلطانٌ و لو آذيته

- و المسيءُ عبدٌ و لو عفوتَ عنه.

❊ فالمحسنُ يرتقي به إحسانه إلى نورٍ يسعى بين يَدَيْه، ونضرةُ النّعيم تدلُّ عليهِ، ومنزلةُ الأبرارِ تنتظره . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩٨].

- والمسيءُ تهوي به إســاءتُه إلى النّظر من طَرْفٍ خَفِيٍّ و ذلّ الاعتـذار .

❊ المحسنُ هو السّلطانُ في الدُّنيا و الآخرة.

- و المسيء هو العبد في الدُّنيا و الآخرة.

❊ المحسن صفته يعفو فاليد العليا من مكارم الأخلاق

- و المسيء صفته يهفو فاليد السُّفلى من سفاسف الأخلاق.

فيا ربّ إنّنا عَفَوْنَا عن السّفهاءِ و المسيئين منّا فاعفُ عنَّا نحن عبيدُك أبناءُ عبيدك، فيا ربّ نحن عبادك عفونا عمَّن أساء إلينا فاعفُ عنَّا،اللَّهمّ نحن الضّعفاءُ و أنت القويُّ، اللَّهمّ نحن الفقراءُ و أنت الغنيُّ ،اللَّهمّ نحن الأشحَّاءُ و أنت الكريمُ ،اللَّهمّ إنَّك عفوٌ كريـمٌ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنَّا، إلهنا ذنُوبنا إليك صاعدة ورحمتُك إلينا نازلة ، إلهنا أنخنا مطايانا ببابك ، فارحمنا و آنس وحشتنا إذا صرنا فِي ذِمَّتِكَ وحبلِ جوارِك ، فقنا فتنةَ القبرِ وعذابَ نارِك ،إذا

تقطّعت الأسبابُ، وحيل بيننا وبين الأحبابِ، و وارانا التّراب ،وفارقنا الأهلُ والأصحابُ ، فإنَّه لا تسعنا إلَّا رحمتُكَ يا عزيز يا وهَّاب فإنَّه لا يسعنا إلّا رحمتك وجودك وكرمك وإحسانك . لا تسعنا إلّا رحمتك....

وواجِبُنَا العمليّ يعظُنا به الصّحابي الجليل عليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله :

النَّفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ *** أَنَّ السَّلاَمَةَ فِيهَا تَــرْكُ مَا فِيهَا

لاَ دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ المَــــوْتِ يَسْكُنُهَا *** إِلاَّ الَّتي كَانَ قَبْلَ الـمَوْتِ بَانِيهَا

فَإِنْ بَنَــاهَا بِخَيْرٍ طَـــــابَ مَسْكَنُهَا *** وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَـابَ بَانِيهَـــا

أَيْنَ المُلُوكُ الَّتِي كَـــــانَتْ مُسَلْطَـــنَةً *** حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقِيهَا؟

أَمْوَالُنَا لِذَوِي المِـــــــيرَاثِ نَجْمَعُهَا *** وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْــرِ نَبْنِيهَـا

كَمْ مِنْ مَدَائِنَ فِي الآفَــاقِ قَدْ بُنِيَــتْ *** أَمْسَتْ خَرَابًا وَدَانَ الـمَوْتُ دَانِيهَا

لِكُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَــتْ عَلَى وَجَــلٍ *** مِنَ المَنِيَّةِ آمَـــــالٌ تُقَوِّيهَـــا !

فَالمرءُ يَبْسُطهَا والدَّهْــرُ يَقبِضُهَـــــا *** والنَفس تَنشرُهَا والموتُ يطويهَا !

وَاعمَــلْ لِدَارٍ غــدًا رِضوَانُ خَازِنهَـا *** و الـجَارُ أحـمَدُ و الرّحمن نَاشيهَا

قصــورهَا ذَهبٌ و الـمسك طِينَـتُها *** والزَعـفَرانُ حَشيـشٌ نَـابتٌ فيـهَا

أنـهَـارهَا لَبن مـحـضٌ وَ من عَسَـلٍ *** و الـخَمر يـجري * رحيقًا في مـجاريـهَا

وَ الطَيـر تَـجريْ عَلى الأَغصَانِ عاكفة *** تُـسبـح الله جَـهـرًا في مغَـانـيـهَا

مَن يشـتري الدَار في الفردَوْس يعمرهَا *** بــركعـة في ظَــلامِ اللّيل يُـخـفـيهَا.(1)

* * *

(1) ديوان الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، (ص: 155، عَبْد الرَّحمن المصْطَاوِيْ)،(البسيط).

* و الخَمر يجري : لعل صوابه و الخَمر تجري .

سمعنا من شيخنا مسعودي عطية – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – أن خطأ الكتب لا يمحى و يكتب في الهامش لعل صوابه كذا .

الفصل الخامس :

التسامح وتطبيقاتُهُ

اِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْفِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ** فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا

- لن يضيع عُرْفٌ بين الله و النّاس -

المثل التطبيقي من حياة النّبي ﷺ في « السماحة»

عَنْ أَبِي رَافِعٍ ،مَوْلَى رَسُولِ اللهﷺ قَالَ: اسْتَسْلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَكْرًا. فَجَاءَتْهُ إِبِلٌ مِنَ الصَّدَقَةِ، قَالَ أَبُو رَافِعٍ :فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ،فَقُلْتُ : لاَ أَجِدُ فِي الإِبِلِ إِلاَّ جَمَلاً خِيَارًا رَبَاعِيًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ : « أَعْطِهِ إِيَّاهُ،فَإِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً»[1]،وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ : رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «[دَعُوهُ،] فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ». ثُمَّ قَالَ:[« أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ». قَالُوا :يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ فَقَالَ : «أَعْطُوهُ،فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً»][2]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ [فَأَدْمَوْهُ ،] وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». [3]– و هو ما حدث له ﷺ بالطائف –

وعَنِ البَرَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْتَمِرَ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَسْتَأْذِنُهُمْ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ ،فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لاَ يُقِيمَ بِهَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ ، وَلاَ يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ [*4] وَلَا يَدْعُوَ مِنْهُمْ أَحَدًا.قَالَ :فَأَخَذَ يَكْتُبُ الشَّرْطَ بَيْنَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،فَكَتَبَ: هَذَا مَا قَاضَى

---

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ في: 12 – كتاب البيوع: 75 – باب مَا جَاءَ فِي اسْتِقْرَاضِ البَعِيرِ أَوِ الشَّيْءِ مِنَ الحَيَوَانِ أَوِ السِّنِّ .[رقم (1318)، صحيح : مسلم (1600)، أبو داود (3346)، و النسائي (4617)، ابن ماجه (2285)، و مالك (2693)، و أحمد (6/ 390:27251)، و الدارمي (2607)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في: 40 – كتاب الوكالة : 06 – باب الوكالة في قضاء الديون . [رقم(2306)، مسلم (1601)، وأحمد (2/ 416:9429)، و التِّرْمِذِيّ (1317)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 326 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب من استسلف شيئًا فقضى خيرًا منه وخيركم أحسنكم قضاء].

(3)(صحيح ،متفق عليه) :أخرجه البخاري في:60 – كتاب الأنبياء -عَلَيْهِمُ السَّلامُ-: 54 – بَابُ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ . [رقم(3477)، مسلم (1792)، أحمد (1/ 380:3611..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 381 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب غزوة أحد]،وانظر: [«السلسلة الصحيحة»(3175)]باب الأخلاق والبر والصلة .

(4*) جُلُبَّانِ السِّلاَحِ هُوَ:أَلْطَفُ مِنَ الجِرَابِ يَكُونُ مِنَ الأدم ، يوضع فيه السيف مغمدًا ، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ويعلقه في الرَّحْلِ .

عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله. فَقَالُوا : لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ الله لَمْ نَمْنَعْكَ وَلَتَابَعْنَاكَ ، ولَكِنِ اكْتُبْ : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله . فَقَالَ: « أَنَا وَاللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ،وَأَنَا وَ اللهِ رَسُولُ اللهِ». قَالَ : وَكَانَ لَا يَكْتُبُ ، قَالَ:فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحَ رَسُولَ اللهِ». فَقَالَ عَلِيٌّ : وَالله لَا أَمْحَاهُ أَبَدًا. قَالَ : «فَأَرِنِيهِ»، قَالَ : فَأَرَاهُ إِيَّاهُ،فَمَحَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ وَمَضَتِ الأَيَّامُ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: مُرْ صَاحِبَكَ فَلْيَرْتَحِلْ.فَذَكَرَ ذَلِكَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ: «نَعَمْ» ثُمَّ ارْتَحَلَ.(1)

ورُوي أَنَّ أعرابيًا جاءهُ يطلبُ منه شيئًا ، فأعطاه ؛ ثم قال :«أحسنْتُ إليكَ ؟». قال الأعرابي : لا ، ولا أَجْمَلْتَ . فغضِبَ المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم : أن كُفُّوا ، ثم قام ودخل منزلَه ، وأرسل إليه ، وزادَه شيئًا ، ثم قال :«أحسنْتُ إليك ؟» قال : نعم ، فجزاكَ الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيرًا .

فقال له النبيُّ ﷺ:«إنكَ قلْتَ ماقُلْتَ ، وفي نفس أصحابي من ذلكَ شيء ، فإن أَحْبَبْتَ فقلْ بين أيديهم ماقُلْتَ بين يديّ حتى يذهب مافي صدورهم عليك».

قال : نعم . فلما كان الغَدُ – أو العَشِيّ – جاء ، فقال ﷺ: « إنَّ هذا الأَعرابيَّ قال ما قال، فزِدْناهُ فزعم أنه رَضِيَ ، أكذلكَ؟» قال : نعم ، فجزاكَ الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيرًا .

فقال ﷺ: « مَثَلي ومَثَل هذا، مَثَلُ رجلٍ ، له ناقةٌ شَرَدَتْ عليه ، فاتَّبعها الناسُ فلم يزيدوها إلاَّ نُفورًا ، فناداهم صاحبها : خَلُّوا بيني وبين ناقتي ، فإني أَرْفَقُ بِها منكم وأعلم ، فتوجَّه لها بين يديها ، فأخذَ لها من قُمَامِ الأَرضِ ، فردَّها حتى جاءت واستناخت ،

(1) أخرجه البخاري في : 58 – كِتَاب الجِزْيَةِ : 19 – بَابُ الـمُصَالَحَةِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَوْ وَقْتٍ مَعْلُومٍ .[رقم (3184) ،الفتح 6 و اللفظ له ، و مسلم (1783) و أحمد (4/ 298: 18658..)].

وشَدَّ عليها رَحْلها ، واستوى عليها ، وإِنِّي لو تركتُكم حيثُ قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»[1] .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً . حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ:« يَا مُحَمَّدُ ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ».[2]

❊ ❊ ❊

(1) انظر الحديث في الشِّفَا بِتَعْرِيْفِ حُقُوْقِ المصْطَفَى ﷺ للعَلاَّمَةِ القَاضِي أَبِي الفَضْل عِيَاضِ بن مُوسَى اليَحْصُبِي/ الباب الثاني « فصل في شَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ﷺ وَرَأْفَتِهِ لِـجَمِـــيْعِ الْـخَلْقِ ص 73 ».

(2) (صحيح): أخرجه البخاري في : 77-كِتَابُ اللِّبَاسِ : 18-بَابُ البُرُودِ وَ الحِبَرِ وَ الشَّمْلَةِ .[رقم (5809)، مسلم (1057)].

وهذه نماذج في تسامح الأصحاب ، لعل فيها تبصرة لأولي الألباب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزُّمَرْ: ٢٢ ، ٢٣].

(عَنْ عَطَاءِ بْنِ فَرُّوخٍ مَوْلَى الْقُرَشِيِّينَ :أَنَّ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ أَرْضًا فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ ؟ قَالَ: إِنَّكَ غَبَنْتَنِي ،فَمَا أَلْقَى مِنَ النَّاسِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَلُومُنِي ، قَالَ: أَوَ ذَلِكَ يَمْنَعُكَ ؟ قَالَ:نَعَمْ ، قَالَ: فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ ،ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« أَدْخَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ- الْجَنَّةَ رَجُلاً كَانَ سَهْلاً، مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا، وَقَاضِياً وَمُقْتَضِيًا» [1].

... و كانت لأبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- جارية زنجية فأساءت إليه، و غمَّت أهله،فرفع السوط عليها ليضربها به،ثم توقف و قال:لو لا القصاص يوم القيامة لأوجعتك كما آذيتنا، و لكن سأبيعك ممن يوفيني ثمنك و أنا أحوج ما أكونَ إليه،اذهبي فأنت حرة لله -عزّ و جلّ-.[2]

... ذات ليلة خرج أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى المسجد ومعه أحد حراسه فمرَّا برجل نائم على الطريق فعثر به عمر .

فقال له الرجل في غضب : أمجنون أنت ؟

فقال عمر : لا .

---

(1) أحمد (1/ 58) واللفظ له وقال الشيخ أحمد شاكر (1/ 335): «إسناد صحيح» ،ورواه النسائي (7/ 318، 319) وصحيح النسائي (4379)، (4705) وابن ماجه (2202)، جامع المسانيد (17/ 219/ 136)، وقال الألباني «حسن» .

(2) انظر قصص أصحاب الرسول ﷺ ،حياة أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ،حلمه، و عفوه عمَّن أساء إليه.

(ص:414 الشَّيخ مَحْمُودْ المصْرِي أبو عمار).

فهمَّ الحارس أن ينال من الرجل ؛ لأنه أخطأ في حق أمير المؤمنين .

فقال له عمر : مه فإنه سألني أمجنون أنت ؟ فقلت : لا .

... ذكر ابن كثير في سيرة عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أنه صعد المنبر يومًا فقام إليه رجل من الناس ونال منه وأغضبه .

فقال له عمر : يا هذا أَرَدْتَ أَنْ يَسْتَفِزَّنِي الشَّيْطَانُ مَعَ عِزّة السُّلْطَانِ وأن أفعل بك اليوم ما تفعل بي غدًا ؟ اذهب غفر الله لي ولك[1] .

... دخل مجاهد بن جبير على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في مرضه ، فسأله عمر : ما يقول الناس فـيَّ ؟

قال : يقولون إنك مسحور .

قال : ما أنا بمسحور ولكني سُقيتُ السّم .

ثم دعا غلامًا فقال له : ما حملك على أن سقيتَني السّم ؟

قال الغلام : أُعْطِيتُ ألف دينار وعلى أن أُعْتَق .

فقال عمر : هات الألف دينار .

فجاء بها فألقاها في بيت المال .

ثم قال للغلام : اذهب حيث شئتَ فأنت حُرّ[2].

فهيا أحبابنا نعوِّد أنفسنا كظم الغيظ والتحلي بالحلم عسى أن يملأ الله قلوبنا إيمانًا وحكمة ويزيدنا يوم القيامة رفعة .

❊ ❊ ❊

(1) انظر حيَاة عُمَر بن عَبْد العَزِيز« محمد صِدِّيق المنشاوي ص: 61 حلم العظماء»، و انظر أَدَب الدّنيا و الدّين : 354.

(2) انظر حيَاة عُمَر بن عَبْد العَزِيز« محمد صِدِّيق المنشاوي ص: 74 عمر يُسقى سُمًّا».

طرق علميّة وسلوك ناجح ،لاكتساب مهارة التّسامح

إنَّ كظمَ الغيظِ وحده لا يكفي لإطفاء غضب النَّفسِ والوصول إلى الرِّضى الدَّاخلي، ولكن يجب أن يتبعه عفو وتسامح، وأنْ يؤكِّد الشّخص ذلك بإحسان يقدِّمه للطَّرف الآخر المعني بالمشكلة (الزّوج أو الزّوجة أو الأخ أو الصَّديق أو الجار أو زميل العمل، الخ) وهذا ما جاء به علم النَّفس الحديث، وهو ما أكّده القرآنُ الكريمُ قبل ذلك بكثير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٣ ، ١٣٤].

و يتبادر إلى أذهاننا سؤالٌ مهمٌّ.. سؤال بمثابةِ حجر الزَّاوية في هذا الموضوع، وإليك السّؤال: هل النّفس قابلة للتَّغيير؟ إن النّفس كالجسدِ.. فالجسدُ يُخلَق ناقصًا (طفل)، كالمولود الجديد يتعهّده أبواه فينمو ويكبر بالغذاء.. وكذلك النَّفس تُخلق ناقصةً، وتروض بالمجاهدة. و تنضج بالعلم و المعرفة و رياضة العقل وإذا مرض الجسدُ فعليه بالدّواء لِيُشْفَى، وأحيانا يكون الدّواء مرًّا .. وكذلك النَّفس بها عيوب تحتاج إلى المجاهدة والصَّبر، و التربية و التخلية .

و سؤال آخرُ : هل الشخص العصبي الغضوب يُمْكِنُ أن يتغيَّر ويصبح حليمًا؟ الإجابة الوافية نجدها في حديث الرّسول ﷺ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مَنْ

كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا - وَلَا أَقُولُ لَكُمُ الْجَنَّةَ - مَنْ تَكَهَّنَ، أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرٌ».[1]

وهكذا وضع النبيُّ ﷺ قاعدةً تنصُّ على أَنَّ الأخلاق قابلة للتّغيّر، وأنَّ الإنسانَ ممكن أن يطوِّر نفسه بالمجاهدةِ وأن يكتسبَ مهارةَ الحلم وكظم الغيظ والعفو والتَّسامح، وإيَّاك أن تقنعَ نفسَك باستحالةِ تغيُّرك. فتجد من النَّاس من يقول: هذا طبعي ولن أتغيَّر، و هذا كلام خاطئ.

مهارة اكتساب الصِّفات الحميدة:

"يقول (أنتوني روبنز) – و هُو مِنْ أبرز الكُتَّابِ والمدرِّبين في مجال التّنمية الذّاتيَّة –في كتابه (قدرات غير محدودة –علم جديد للإنجاز الشّخصي): "إذا أردت أن تكون قويًّا فتظاهرْ بأنَّك قويٌّ". وهو يشرحُ للقارئِ بأنَّ هناك علاقة تبادليَّة بين سلوك الجسم وتصوراته الداخليّة، فالحالةُ النّفسيَّةُ تؤثِّرُ في وضعيةِ جسمِ الإنسانِ وطريقةِ تنفسه وتوترِ عضلاتِه، وبالمقابل فإنّ تغييرَ الإنسان لسلوك جسمه يغيِّر من حالته النّفسيّة. مثال: المكتئب يحني كتفيه، يتنفّس تنفّسًا ضعيفًا ضحلاً، ويجلس تلك الجِلسة الدّالّة على حال الاكتئاب الشّديد لديه. ولكن، إذا غيَّر من وضعية جسمه، فوقف منتصبًا، مائلاً بكتفيه إلى الخلف، متنفِّسًا

(1)[المعجم الأوسط، باب الألف، باب من اسمه ابراهيم، ابراهيم بن احمدبن عمر الوكيعي، الجزء 3، الصفحة 321] من حَدِيث إِبْرَاهِيمُ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ الْمُؤَدِّبُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، بِهِ. و أخرجه ابن ابي الدنيا في كتابه " العقل و فضله" ص: 62.

بعمق من الصَّدر، ناظرًا إلى الأعلى، أي إذا ما وضع جسمه في سلوك جسميّ آخر فلن يشعر بالاكتئاب.

لو لاحظنا كلام الكاتب وتمعنا فيه جيّدًا، لوجدنا أنَّ الدِّراسةَ العميقةَ والتّجاربَ الإنسانيّةَ والتَّمعُّنَ فيها قد تكون هي من قادت هذا الكاتب – وغيره من الكُتَّابِ الغربيين – إلى حقيقة معروفةٍ لدينا منذ قرونٍ، قد وردت في أحاديث رسولِ الله ﷺ، كقوله: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ...»[1] إلى آخر الحديث، وقوله: «من يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه الله، وَمَنْ يَتَصَبَّر يُصَبِّرْهُ الله»[2]. يعطينا رسولُ الله - عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ - هنا وصفةً لاكتساب صفاتٍ حميدةٍ إذا كانت هناك صعوبة في اكتسابها والتَّحلي بها، فهو ينصحك أنْ تتظاهر –في هذه الأحوال أو غيرها من المواقف– وكأنّك تتمتّع بها، فتتظاهرْ بالصَّبرِ وإنْ كانت آلامُك مضنيّةً، وتتظاهر بالحلم وإنْ كان الغيظُ يكاد يفجِّرُ قلبَك. كذلك يمكن أنْ تُظهِر سلوكَ أصحابِ العفّةِ وإنْ كانت الشَّهوة تغريك، وتسلك سلوكَ أصحاب العفوِ والإحسان وإنْ كان حبُّ الانتقامِ يملأ نفسك. وبتكرار هذه الأحوال – مع الإخلاص لله تعالى في القصد من ذلك – والدّأب عليها والدّعاء إلى الله بتسهيل اكتسابها، تبدأ النّفس بالتّغيّر والطِّباع بالتّحوّل وتغدو هذه الصِّفات الحميدة صفات مكتسبةً. وصدق من قال: «فالحلم يحتاج إلى رياضة نفس وصبر على الأذى مرة بعد مرة حتى يصير صفة لها وخُلُقًا من أخلاقها».

(1) [المعجم الأوسط، باب الألف، باب من اسمه ابراهيم، ابراهيم بن احمدبن عمر الوكيعي، الجزء 3، الصفحة 321] من حَدِيث إِبْرَاهِيمُ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ الْمُؤَدِّبُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، بِهِ. و أخرجه ابن ابي الدنيا في كتابه " العقل و فضله" ص: 62.

(2) [المعجم الأوسط، باب الألف، باب من اسمه ابراهيم، ابراهيم بن احمدبن عمر الوكيعي، الجزء 3، الصفحة 321].

التّخلّصُ من الغضبِ أهمُّ خطوةٍ في طريقِ التّسامحِ لقد أثنى الله -جلَّ وعلا- على الكاظمين .

فقال : ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٣٤]

لوجدنا أنَّ القرآنَ الكريمَ اعترفَ بـأنَّ الْغَيْظَ هو شعورٌ فطريٌّ طبيعيٌّ لا نستطيع تجنّبَه في بعضِ المواقِفِ، وأمام بَعضِ الأشخاصِ، ولكنَّ ذمّ الغضب وهو أنْ يتحوَّل غيظُك هذا إلى سلوكٍ سلبي غير مقبولٍ، كلام بذيء مثلا أو حركات اعتداء وانتقام للنّفس. ومن خلال ما ذُكِر نستطيعُ القولَ أنَّ ضبطَ النّفسِ في مثل هذه الحالة، يكون بمنعها من التّصرّفِ الخاطئ في المواقِفِ الطّارئةِ والمفاجئةِ الَّتِي تتطلّبُ قدرًا من الشّجاعةِ والحكمةِ لكبتِ الغضبِ وحسن التّصرّفِ. وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ عن المصطفى ﷺ فيها بيان فضل كظم الغيظ وعدم الغضبِ ومن ثَمّ ضبط النّفسِ منها قوله -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ- : « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله».(1)

من أنواع الغضب:

(1) الغضبُ المحمودُ : ويظهر هذا النّوع عِنْدمَا تُنْتَهك محارم الله تعالى فَهُوَ ثمرةٌ من ثمراتِ الإيمانِ إذ أنّ الذي لا يغضب في هذا الموقف ضعيف الإيمان، قال تعالى عن موسى -عَلَيْهِ السَّلامُ- بعد علمه باتخاذ قومه العجل : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ

(1) أخرجه ابن ماجه في : 37 - كتاب الزهد : 18 -بَابُ الحِلْمِ . [رقم (4189)، إسناده صحيح . أحمد (2/ 128:6122..)]. قال:حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَخْزَمَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ،بِهِ.

ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ [الأعْرَاف: ١٥٠].

... وكان غضب النّبيّ ﷺ لا يُعرف إلّا عند انتهاك محارم الله تعالى،عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ .وَلَا امْرَأَةً ،وَلَا خَادِمًا . إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله . وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ . فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ . إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله. فَيَنْتَقِمَ لله – عَزَّ وَجَلَّ – »(1).

... وكذلك الغضب المحمود يكون عند المحافظةِ على النّفسِ، المحافظة على الدّين، المحافظة على العرض، وعندما تنتهك حرمات المسلمين وبلادهم.

(2) الغضب المذموم : هو أن يغضبَ المرءُ انتقامًا لنفسه، أو لأجل المصالح الشّخصيّة، أو لأتفه الأسباب ،فيعمي الشّيطانُ عينه عن ذكر الله، فلا يستطيع أن يذكر الله وهو في حالة الغضب ،بل يزداد غضبًا إن قام وذكّره أحد.

ولا يخفى ما في هذا النّوع من الغضب من تمزُّق للوحدة، وتصدُّع للجماعة، واستئصال لمعاني الأخوَّة والمحبَّة والصَّفاء، والتي هي أساسيات المجتمع الإسلامي المتماسك المستقرّ. فلا عجب أن يهتمّ الإسلام بظاهرة الغضب هذا الاهتمام الشَّديد، فتأتي الآيات والأحاديث لتمتدح وتعظِّم من شأن الكاظمين الغيظ الذين يملكون أنفسهم عند الغضب، وتحذِّر من سوء عاقبة هذه الصِّفة على الفرد والجماعة.

(1)أخرجه مسلم في :43- كِتَاب الفَضَائِلِ : 20- بَاب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ وَ اخْتِيَارِهِ مِنَ الْـمُـبَاحِ أَسْهَلَهُ وَ انْتِقَامِهِ لله عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ. [رقم (2328)]. و قال حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -.

أثر العفو والتّسامح في النّفس

تقول الكاتبةُ والصّحفيَّةُ (سيبل إيفانز -المتخصصة في الدّراسات الاجتماعيّة والنفسيّة)، في كتابها (مفاتيح الغضب -كيف تفصل في النِّزاعات وتقوم بتهدئة الجميع): "على الرّغم من أنّ القدرة على التّسامح رائعةٌ ،فلا يمكن لشخصٍ أن يغفر وينسى ما لم تكنْ لديه هذه القدرة على التّسامح. في الحقيقة محاولة كبت الألم بنسيانه قد يزيد من غضبك، في حين أنَّ التّسامح والعفوَ سيقلِّل من حدّةِ الذِّكرى المؤلمةِ هذه حتى دون النّسيانِ، وسوف يشعر الإنسانُ المتسامح بتحسّنٍ كبيرٍ، وسوف ينال كثيرًا من الفضل و الرِّضى من نفسه ومن النّاس".

وتسأل الكاتبةُ: "لماذا يجب علينا أن نحاول بشدَّة في أمر التّسامح هذا؟ لأن التّمسُّك بالغضب يمكنه أن يصيبَ الإنسانَ بمرضٍ جسديٍّ، كما يمكن أيضًا أن يجعله حادَّ الطِباع ومستاءً طول الوقت. يجب أن نتسامحَ لأنَّ التّسامحَ يصفه الكثيرون من الخبراء النَّفسيين بأنّه تصريف للغضب وتخفيف من الألمِ. وعندما تحمل ضغينةً لشخصٍ قريبٍ أو صديقٍ أو أخٍ أو زميلٍ يظل صدرك ضيّقًا حرجًا ، مجروحًا و متألِّمًا كأنّما تصّعّدُ في السّماء ؛ وهذا يحتاج إلى أن نصل إلى حقيقة أن ما من أحد كامل :

"وَ لَسْت بِمُسْتَبْـقٍ أَخًـا لَا تَلُمُّـهُ *** عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْـمُهَذَّبُ "؟[1]

"هُمُ النَّاسُ وَ الدُّنْيَا وَ لَا بُدَّ مِنْ قَذًى *** يُلِمُّ بِعَيْنٍ أَوْ يُكَدِّرُ مَشْرَبَا

وَ مِنْ قِلَّةِ الْإِنْصَافِ أَنَّك تَبْتَغِي الْـ *** مُهَذَّبَ فِي الدُّنْيَا وَ لَسْتَ الْـمُهَذَّبَا "؟![2]

و الأجمل ... و أقرب رُحْـما :

"خُذْ مِن خليلك ما صفَـا ** و دع الَّذي فيـه الكدرْ

(1) من كلام النَّابِغَة الذُّبْيَانِيّ : (ص : 234 أَدَبُ الدُّنْيا وَ الدِّين)،(البحر الطّويل).

(2) من كلام ابْن الرُّومِيِّ : (ص : 235 أَدَبُ الدُّنْيا وَ الدِّين) ،(البحر الوافر).

فالعـمـرُ أقـصـرُ من معـا ❊❊ تبة الـخليلِ على الغِيَـرْ ".[1]

... وأن الحياة الحقيقيَّةَ تتطلّب خيارات". وتطرح الكاتبةُ مثالاً على هذه الخيارات تقول: "هل علاقة بها عيب مع صديق غير كامل أفضل من عدم وجود أيِّ علاقة على الإطلاق؟ عادة نعم". وتستشهد الكاتبةُ في نهاية بحثِهَا هذا بالحكمة الصّينيّة القديمةِ والتي تقول: "الذي يسعى إلى الانتقام – للنّفس – هو الذي يجب أن يحفر قبرين".

طرق عملية لاكتساب مهارة التّسامح

ثمّ تطرح الكاتبة (إيفانز) في كتابها هذا (مفاتيح الغضب) عدَّة طرق وتوصيات لمن أراد تعلُّم واكتساب مهارة العفو والتَّسامح، أذكر منها:

(1) اسألْ نفسَك بداية: "هل أنا على استعداد للتَّسامح؟ هل لديَّ الرَّغبة الحقيقيَّة في التَّسامح؟"، وهذا التَّساؤل يعني أنَّ التَّغييرَ يبدأ من داخل النَّفس. فإذا لم تكن لديك الرّغبة الحقيقيَّة في ذلك فإنَّك لن تتغير، و على هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعْد: ١١].

ثُمَّ تنصح المؤلِّفةُ من أراد التّسامحَ ولكنّ تنقصه العزيمةُ، أنْ يبحث عن حافز حقيقيٍّ يدفعنا للتَّسامح، تقول: "تحدث إلى أشخاص آخرين تحبُّهم عن المشكلة التي تحتاج أن تعفو وتسامح فيها، أحيانًا يمكننا أن نستمد القوةَ من الآخرين الذين يتمنون لنا حقًّا السَّعادةَ. فقد يساعدونك - هؤلاء الأصدقاء المخلصون – بأفكار عن كيفيَّة التَّسامح". أمَّا نحن كمسلمين فقد وضع لنا القرآن الكريم أكبرَ وأعظمَ حافزٍ للتَّسامح والعفو عن الآخرين، هو رضوانُ اللهِ تعالى والسّعادةُ الأبديَّةُ في جنّةِ الخلدِ[2❊]، وهل هناك أعظم من هذا الحافز؟!

(1) للاستزادة انظر: إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ، ج2/ كتاب آداب الألفة و الاخوة و الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق و هو الكتاب الخامس من ربع العادات الثاني، الباب الثاني في حقوق الأخوة و الصحبة ...،(البحر الكامل).

(2❊) للاستزادة والبشارة الكبرى انظر صفحات.....شفاء قلوبنا و عقولنا و أنفسنا و أبداننا وليد سماحتنا من هذا الكتاب .

(2) لا تنتظرْ حتّى يتوقفَ شعُورك بالاستياء حتَّى تسامحَ، فالتّسامحُ يبدأ كقرارٍ واعٍ وليس كشعورٍ. اخترْ أن تسامحَ، ثمَّ بالتَّدريجِ يبدأ المرءُ في الشُّعور بالتَّسامحِ.

(3) استبْعد كلمةَ "لَكِنَّ" أو "أسامحك ولَكِنَّ.." فهذا لن يُشعِر أيًّا من الطَّرفيْن بالتّسامح. إذا ما قرّرت التّسامح، افعلْ ذلك بدون مقيِّداتٍ أو شروطٍ.

(4) إذا ما جَبَلْتَ نفسك على التَّسامح ضعْ الماضيَ خلفَ ظهرك. وعلى الرَّغم منْ أنَّه – في بداية الأمر – قد لا يمكنك نسيانُ الخطإِ بسهولةٍ، يجب ألّا تكرِّر الحديثَ عن هذا الخطأ في كلّ لقاء أو مناسبةٍ. وهذا من الأمور المساعدة على الوصول إلى تجنّب الغضب، ونسيان الخطإِ، والتّسامح المنشودِ.

(5) لا تنتظِرْ كلمةَ "أنا آسف"، فالتَّسامحُ لا يعني أن نجعل الآخرَ يحطُّ من قدر نفسه، وإن كان الاعتذارُ الذِي يواصل فعل الأشياء السّيئة ويتوقّع التّسامح معه لأنّه يقول : "أنا مطلوبٌ ومرغوبٌ فيه. إذا ما حدث الاعتذارُ فهو أمرٌ لطيفٌ ومحمودٌ.

(6) لا تجعل الاعتذارَ – فيما إذا كنت أنت الطّرف المسبّب للمشكلة – عادتك، فهذا أبغض من عدم الاعتذار على الإطلاق. فالشّخص آسف" في كلِّ مرَّة، يستنفد حقوقه في التّسامح.

(7) إِنَّ التّسامحَ لا يعني الضَّعف كما يعتقد بعض منا، ولا يعني أيضا التّسامح عن الأمور العظيمة كالخيانةِ والأذى المتعمّدِ وغيرها من الأمور الَّتِي لا يقبلها عقلٌ ولا دينٌ. ولكنّنا هنا نتحدّثُ عن الأخطاءِ الَّتِي يمكن أنْ تصدرَ من أيِّ بشرٍ لا يتّصف بالكمال، لأنَّ الكمال لله وحده – جلَّ وعلا –. وبذلك يكون التَّسامحُ مصدرَ قوّةٍ للإنسانِ، فيستطيعُ أَنْ

يتعايشَ مع نفسه ومع مَنْ حَولَه بسلامٍ وطمأنينةٍ، وهو بذلك كلّه يكون قد وصل إلى الغايةِ المنشودة وهي رضا الله تعالى.

(8) وأخيرا اسألْ نفسَكَ، لماذا لا أريد أن أسامح؟ واطرحْ بدائلَ لِكُلِّ سبب أو هدف من أسباب أو أهداف عدم التّسامح، وإليك الأمثلة التّالية للتّوضيح :

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: لأنّه سيعيد السُّلوكَ مرَّة أخرى إذا سامحته.

❊ البدائل: (هو المسؤول عن خطئه وهو الذي سيكسب الإثم، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطُّور: ٢١].

سأفكِّر كيف أتعامل مع هذا النَّوع من الأخطاء أو السُّلوك بحيث لا أسمح له بأنْ يُغضبَني).

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: إذا سامحته يعني أنِّي أوافقه على سلوكه الخاطئ.

❊ البدائل: (أنا أسامحُ الشّخصَ نفسَه وهذا لا يعني أني أوافقه على سلوكه الخاطئ) (ثمَّ أفكِّر في طريقةٍ أنصح بها هذا الشَّخص) وتذكَّرْ دائمًا بأنَّ الله تعالى يقول:﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾[البَقَرَة: ٢٧٢]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الـمَائِدَة: ٩٥].

- سببُ عدم التّسامحِ قد يكون: لن أسامحه لأضع حاجزًا بيني وبينه.

❊ البدائل: (التّسامح يعني كسب الأجر الكبير من الله تعالى و لا يعني أن نعود – أنا والشّخص المسيء – كالسّابق) (أنا من يختار نوع العلاقة التي أريد) (أستطيع مسامحة الشّخص وترك العلاقة بهدوء في الوقت نفسه) .

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: أعتبر نفسي ضعيفاً إذا سامحته.

❊ البدائل: (التّسامح يعني أنني انتصرت على نفسي) (التّسامح سلاحٌ لا يملكه إلّا الأقوياء العظماء ومن تمكّن من هزيمة نفسه الأمّارة) (لن أكون قائداً إذا لم أتمكّن من التّسامح) (في ظاهر التَّسامح ضعفٌ ولَكِّنْ في داخله قوَّة خفيَّة لا يعلمها إلّا من جرَّبها عن عِلْمٍ ودراية واقتناع).

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: إذا سامحت فإنّني أؤذي نفسي.

❊ البدائل: (أنا واثق من نفسي ومن مكانتي ولن أتأذى بإساءة غيري) (فأنا كالشَّجرة المثمرة التي إذا رُميت بالحجارة أسقطت ثمرًا) (*1) (عدم التّسامح معناه ضعفي أمام نفسي) (الأذى الحقيقي بالسّعي وراء الانتقام للنّفس).

- سببُ عدم التّسامحِ قد يكون: إذا سامحته فلن أنتقم.

❊ البدائل: (لم ينتقم رسول الله ﷺ لنفسه قطّ، وكذلك الصّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- والتّابعون وكبار (*2) الشَّخصيات والنَّاجحين على مرِّ التّاريخ) (أنا أختار المسامحة بدل الانتقام لنفسي) (نجاحي في حياتي يعتبر أكبر انتقام).

(*1) وكن كالنخيل مترفعا عن الأحقاد فيرمى بالحجارة فيعطي أطيب الثمار .

و قال حَسَن البنا -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: « كُونوا مع النّاس كالشّجر، يَرمونَهُ بالحجَر، فَيرميهم بأطيب الثَّمر».

(*2) لاَ يَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ *** وَ لاَ يَنَالُ العُلاَ مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ : =

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: الله أذن لي بالانتقام لماذا لا أنتقم؟

❊ البدائل: (الله يحبُّ العافين عن النَّاس ويرحمهم ويغفر لهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النُّور: ٢٢].

- سببُ عدم التَّسامحِ قد يكون: هو المخطئ فلماذا أسامحه؟

❊ البدائل: (أنا أسامحه لأحصل على الأجر وليبوء هو بالإثم ولأنّي أنا الأفضل وَلِأُرِيحَ نفسي وأحافظ على صحتي).

= وَلَا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَدِيمَ عَلَيْهِمُ *** وَلَيْسَ كَرِيمَ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدَا

يُعَاتِبُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا *** دُيُونِي فِي أَشْيَاءِ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا

أَلَمْ يَرَ قَوْمِي كَيْفَ أُوسِرُ مَرَّةً *** وَأُعْسِرُ حَتَّى تَبْلُغَ العُسْرَةُ الجُهْدَا

فَمَا زَادَنِي الإِقْتَارُ مِنْهُمْ تَقَرُّبًا *** وَلَا زَادَنِي فَضْلُ الغِنَى مِنْهُمُو بُعْدَا

أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخَلُّوا وَضَيَّعُوا *** ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدَّا

وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ البَابُ دُونَهَا *** مُكَلَّلَةٍ لَحْمًا مُدَفِّقَةٍ ثَرْدَا

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً *** وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرُهَا تُشْبِهُ العَبْدَا

وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ *** حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدَا

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي *** وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدَّا

أَرَاهُمْ إِلَى نَصْرِي بِطَاءً وَإِنْ هُمُ *** دَعَوْنِي إِلَى نَصِيرٍ أَتَيْتُهُمْ شَدَّا

إِذَا قَدَحُوا لِي نَارَ حَرْبٍ بِزَنْدِهِمْ *** قَدَحْتُ لَهُمْ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ زَنْدَا

فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ *** وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا

وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ *** وَإِنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدَا

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي *** زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِم سَعْدَا

وَلَا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَدِيمَ عَلَيْهِمُ *** وَلَيْسَ كَرِيمَ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدَا

فَذَلِكَ دَأْبِي فِي الحَيَاةِ وَدَأْبُهُمْ *** سَجِيسَ اللَّيَالِي أَو يَزِيرُونَنِي اللَّحْدَا

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنًى *** وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا

عَلَى أَنَّ قَوْمِي مَا تَرَى عَينُ نَاظِرٍ *** كَشِيبِهِم شِيبًا وَلَا مُرْدِهِمُ مُرْدَا

بِفَضْلٍ وَأَحْلَامٍ وَجُودٍ وَسُؤْدَدٍ *** وَقَوْمِي رَبِيعٌ فِي الزَّمَانِ إِذَا شَدَّا،(البحر الطّويل).

- سببُ عدم التّسامحِ قد يكون: لأنّه سيكرّر الخطأ مرّة أخرى.

❊ البدائل: (سأفكّر بطرق إبداعيّة للتّعامل مع أخطائه في المستقبل): «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».[1] (لسنا من نحاسب ولكن حسابه على الله، وما علينا إلّا التّذكير والنّصيحة والبلاغ).

وهذا يؤكِّدُ لنا أنَّ الْعَفْوَ والتّسامحَ مهارةٌ يمكن للمرء تعلُّمها واكتسابها، وهذا ما أكّدته البحوثُ النّفسيّةُ الحديثةُ. فالإنسان من الممكن له أنْ يختارَ العفوَ والتّسامحَ فيرضي نفسه ومن حوله ويؤجر على ذلك، أو يتركَ نفسَهُ فريسةً سهلةً للخيار الثّاني -الغضب والانتقام- فلا يضرّ إلّا نفسه ويأثم.[2]

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 37- كتاب الزُّهْدِ: 30- بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ. [رقم (4251)، أحمد مطولاً (3/ 198: 13048..)، و التِّرْمِذِيّ (2499)، (2667)].

(2) الخميس، 30 ديسمبر 2010 .01:00 د. محمد بهجت الحديثي.

سامحوا الزّوجةَ في الأخطاءِ والهفواتِ الَّتِي لا تتعلَّق بالعرضِ وما يمسّ الشرف

واعلموا أَنَّ اللهَ أنزل في حقِّ كُلِّ الأزواجِ كما جاء في سورة البَقَرَة:

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

[البَقَرَة: ٢٣١، ٢٣٢].

(" قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : نزلت هذه الآية في الرجل يُطَلِّقُ امرأته طلقةً أو طلقَتَيْنِ ، فتنقضي عِدَّتُهَا ، ثم يبدو له أن يتزوَّجها وَ أَن يُرَاجِعها ،وتُرِيدُ المرأةُ ذلك، فيمنعها أولِيَاؤُهَا من ذلك ، فنهَى اللهُ أَنْ يَمْنَعُوهَا . وكذا روى العَوْفِي عنه ، عن ابن عبّاس أيضاً ، وكذا قال مسروق وإبراهيم النَّخعي والزُّهري والضَّحاك : إنها أُنزلت في ذلك . وهذا الذي قالوه ظاهرٌ من الآية، وفيها دلالة على أن المرأة لا تملكُ أن تُزَوِّجَ نفسها ، وأنه لا بد في النكاح من ولي ، كما قاله التّرمذي وابن جرير عند هذه الآية .[1095] وكما جاء في الحديث: « لاَتُزَوِّجُ المَرْأَةُ المَرْأَةَ ، و لاَ تُزَوِّجُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا ، فإن الزانية هي التي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا ». [1096] وفي الأثر الآخر : « لاَ نكاح إلاَّ بِوليٍّ مرشد وَ شَاهِدَيْ عَدْلٍ»، وفي هذه المسألة نزاع (*1)بين العلماء ، مُحَرَّرٌ في موضعه من كتب الفروع ، وقد قَرَّرْنَا[ابْن كثير]: ذلك في كتاب « الأَحكام»، ولله الحمد والمنَّة .

(1*) و في هذه المسألة نزاع : لعل صوابه و في هذه المسألة << خلاف >> لأنّ الخلاف اجتهاد و رحمة و النّزاع شقاق و فرقة .

حدّثنا يونس عن الحسن ، أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجُها ، فتركها حتى انقضت عِدَّتُها فَخطَبَهَا ، فأبى مَعْقِلٌ ، فنزلت ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ . وهكذا رواه أبو داود والتّرمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مَرْدَوَيه من طُرُق متعددة عن الحسن ، عن معقل بن يسار به. [1098] وصحَّحَه الترمذي أيضًا . ولفظه عن معقل بن يسار ، أنَّه زوَّجَ أخته رجلاً من المُسلمين ، على عهد رسول الله ﷺ، فكانت عنده ما كانت ، ثم طلقها تطليقةً لم يُراجعها حتى انقضت العِدَّة ، فَهَوِيَهَا وَهَوِيَتْهُ ، ثم خَطَبَها مع الخُطَّاب ، فقَال له: يا لُكَع ، أكرمتُكَ بها وَ زَوَّجْتُكَهَا فَطَلَّقْتَهَا ، والله لا ترجع إليك أبدًا ، آخِرَ ما عليك ، قال : فعلمَ الله حاجَتَهُ إليها، وحاجَتَهَا إِلَى بَعْلِهَا ، فَأنزل الله : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾،فلما سمعها معقل قال : سَمْعًا لربِّي وطاعةً، ثم دعاه ،فقال : أُزَوِّجُكَ وَأُكْرِمُكَ .

زاد ابن مردويه : وكفرت عن يميني . وروى ابن جرير ، عن ابن جريج قال : هي جميلة بنت يَسَار ، كانت تحت أبي البَدَّاح . وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق السَّبيعي قال: هي فاطمة بنت يَسَار . وهكذا ذكر غير واحد من السلف أن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار وأخته . وقال السدي : نزلت في جابر بن عبد الله وابنة عَمٍّ له . والصحيح الأول ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ أي : هذا الذي نَهَيْنَاكُم عنه من مَنْعِ الوَلاَيَا ، أن يتزوجن أزواجَهُنَّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف يأتمرُ به ، وَيَتَّعِظُ به وينفعل له ﴿ مَن كَانَ مِنكُمْ ﴾ أيها الناس ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ أي : يؤمن بشَرْع الله ، ويخَافُ وَعِيْدَ الله وعذَابَه ، في الدار الآخرة ، وما فيها من الجزاء ﴿ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ

﴿ وَأَطْهَرُ ﴾ أي : اتِّبَاعُكُمْ شَرْعَ الله في رَدِّ المُولِيَاتِ إلى أَزْوَاجِهِنَّ ، وترك الحَمِيَّةِ في ذلك ، أزكى لكم وأطهر لقلوبكم ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ أي : من المصالح فيما يأمر به وينهى عنه ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي : الخِيَرَة فيما تأتون ، ولا فيما تَذَرُونَ." [1] اهـ).من ابنِ كثير

... عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا،فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا ، وَقَالَ:أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ!فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجُزُهُ، [2*] وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ : «كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ ؟». قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ: فَوَجَدَهُمَا قَدِ اصْطَلَحَا ، فَقَالَ لَهُمَا : أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « قَدْ فَعَلْنَا ، قَدْ فَعَلْنَا ». [3]

ولننظر إلى قصة خصام وقعت بين علي وفاطمة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، ولما علم بها النّبي ﷺ ماذا صنع ؟ تعالوا نستمع للقصة ... « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فَقَالَ : هَذَا فُلَانٌ -لِأَمِيرِ الْـمَدِينَةِ -يَدْعُو عَلِيًّا عِنْدَ الْـمِـنْـبَرِ قَالَ : فَيَقُولُ : مَاذَا ؟ قَالَ : يَقُولُ لَهُ : أَبُو تُرَابٍ فَضَحِكَ قَالَ: وَاللهِ مَا سَمَّاهُ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ وَمَا كَانَ لَهُ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ فَاسْتَطْعَمْتُ الْحَدِيثَ سَهْلًا وَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ ثُمَّ خَرَجَ فَاضْطَجَعَ فِي الْـمَسْجِدِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:« أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ » قَالَتْ : (فِي الْـمَسْجِدِ) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَوَجَدَ رِدَاءَهُ قَدْ

---

(1)تَفْسيرُ العالم الفقيه المفتي المحدث الحافظ ابْن كثير للآية الكريمة [232]،من سورة [البَقَرَة]، و انظر[صحيح : البخاري (5130)، أبو داود (2087)، و النَّسائي في « السنن الكبرى » (10974)، و التِّرْمِذِيّ (2981)].

(2*)يَـحْجُزُهُ : أي يمنعه من ضربها و لطمها.

(3)(صحيح): أخرجه أبو داود في : 35 - كِتَابِ الأَدَبِ : 91 - بَاب الـمُزَاحِ . [رقم (4999)، النسائي في «الكبرى» (8441)]. قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْعَيْزَارِ بْنِ حُرَيْثٍ ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، بِهِ].

سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَخَلَصَ التُّرَابُ إِلَى ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ فَيَقُولُ: «اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ مَرَّتَيْنِ». [1]

خرج علي في حالة غضب من البيت ، وهذا عمل حسن حتى تسكن فورة الغضب لأنّه إن بقي فربَّما صدر منه ما لا يليق بجناب فاطمة .وانظروا إلى كرم خلق النّبي ﷺ حيث توجه هو نحو علي ليترضاه ، ومسح عن ظهره ، وداعبه بالكنية ، ولم يعاتبه على مغاضبته لفاطمة .

وعن حبيب بن أبي ثابت قال : كان بين علي وفاطمة كلام فدخل رسول الله ﷺ فلم يزل حتى أصلح بينهما ، فقلت له : دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشرى في وجهك فقال : «وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي ».

و ينبغي العمل بما أسداه لنا الحافظ ابن حجر –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بقوله :

"يؤخذ من الحديث استحباب الرفق بالأصهار ، وترك معاتبتهم إبقاءً لمودتهم ".

❊ ❊ ❊

(1)(صحيح):أخرجه البخاري في : 62– كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - : 9– بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْقُرَشِيِّ الْـهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .[رقم (3703) ، مسلم (2409)] .قال :حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مَسْلَمَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ،بِهِ.

سامح زوجتك

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[النِّسَاء: ١٩]،وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٣٦]...-﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾-(*1).

سامح زوجتك لأنَّ الرسول ﷺقال : « ... وَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ... »(2)إلى آخر الحديث .

وقال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ -: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَ أَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي وَ إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ »(3).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ الله ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ،فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ،فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ : «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». (4)

روى البخاري عن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،أن النَّبِيّ ﷺ كان في بيت عائشة مع بعض أصحابه فأرسلت له زينب بنت جحش إحدى زوجاته قصعة فيها طعام مع خادم لها ، فضربت عائشة بيدها فكسرت القصعة ، فماذا صنع النّبي ﷺ ؟

(1*) جاء في بعض التفاسير من أقوال العلماء ،أن المراد بـ: ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾، هنا هو« الزوجة »والله أعلمُ .

(2) [رواه البخاري (5186)،و مسلم (1468،47)].

(3) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 46 - كِتَاب الـمَنَاقِبِ عنْ رَسُولِ الله ﷺ : 63 / 137 - باب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ .[رقم (3895) وَ قَالَ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ »، أبو داود (4899)، و الدارمي (2306)].

(4)(صحيح ،متفق عليه):أخرجه البخاري في:78 - كتاب الأدب: 18 -بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ .[رقم(5997)، مسلم (2318)، أحمد (2/ 269:7683..)].

ضم أجزاء القصعة المكسورة وجعل فيها الطعام وقال: «كُلُوا ؛ غَارَتْ أُمُّكُمْ» ، فلما فرغوا من الطعام أتى بقصعة صحيحة ودفعها إلى الخادم بدلًا من المكسورة . (1)

فنلاحظ أن النّبي ﷺ اعتذر لعائشة بأن الذي حملها على كسر الإناء هو الغيرة التّي تكون بين الضرائر ، لكنه ﷺ أنصف زينب فبعث لها بإناءٍ جديدٍ صحيحٍ ، ويكون قد احتوى الموقف والمشكلة وانتهت عند هذا الحد .

فاحتواء المشكلة سريعًا بحلول سريعة أو إصلاح سريع هدي نبوي .

أمَّا تأجيلُ علاج المشكلةِ أو إصلاحها مع القدرةِ على ذلك زمنًا طويلًا فهو الخطأُ كل الخطإ . (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فِي حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ اللَّيْثِ . وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ : قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلاً سَهْلًا (2*) إِذَا هَوِيَتِ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ .فَأَرْسَلَهَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ، مِنَ التَّنْعِيمِ) . (3)

قال مالك : بلغني أن لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- قال لابنه :« يَا بُنَيَّ : ليكنْ أوَّل ما تفيد من الدُّنيا بعد خليلٍ صالحٍ امرأةٌ صالحةٌ» . (4) وقال أيضًا:«ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصَّبيِّ، وإذا كان في القوم وُجِدَ رجلًا» . (5)

---

(1)[انظر الحديث في فتح الباري 5(ح 2481)، أحمد (3/ 105)، البخاري (2481 و 5225)، أبو داود (3567)، ابن ماجه (2334)، و التِّرْمِذِيّ (1359)].

(2*)سهلاً : أي سهل الخُلُقُ كريم الشمائل ، لطيفا .

(3)أخرجه مسلم في : 15 - كِتاب الْحَجّ : 17 - بَاب بَيَانِ وُجُوهِ الإِحْرَامِ وَ أَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَ التَّمَتُّعِ وَ الْقِرَانِ وَ جَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ عَلَى الْعُمْرَةِ وَ مَتَى يَحِلُّ القَارِنُ مِنْ نُسُكِهِ. [رقم 137 –(1213)].

(4)نسبه طاهر بن عاشور إلى «جامع المستخرجة» للعتبي،و ذكره في تفسير التحرير و التنوير:21/ 114،وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:131 أحمد بن عاشور).

(5) ونقل نحوهُ عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-. الإحياء2/ 308 والمراح في المزاح، أبو البركات الغزي،وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:131 أحمد بن عاشور).

... سامح زوجتَك و «شريكتك» التي امتزجت بها و امتزجت بك، سامح أمّ أبنائك(1**)

و شريكة حياتك و سكن نفسك فهيَ حارسةُ مالك، و منظمة معاشك ، و مربية أولادك، و ملبية رغباتك، وهي من رضيتك زوجًا و حاميًا و سندًا و أملًا و ملاذًا لها، سامح من تفني في سبيلك و سبيل أبنائك شبابها و جمالها و حياتها، سامح التِّي اعتمدت عليك دون أهلها، و أغضبتهم في سبيل إرضائك حتى تخلو عنها ؟ حاول أن تسامحها على ما مضى وَ اصْرفْ ذَلِكَ إِلَى فَتَرَاتِ النُّفُوسِ ، وَ اسْتِرَاحَاتِ الْخَوَاطِرِ، فإنها أم أولادك وَ قَدْ تَغَيَّرَت عَنْ مُرَاعَاةِ نَفْسِهَا التِّي هِيَ أَخَصُّ النُّفُوسِ بِهَا، وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ التغيّر من قصد، و لعله أغلب الظّنّ نتيجتهُ من المصادر المتنوعة من الضغوط الخارجية بما فيها ضغوط العمل ،وضغوط تربية الأولاد، و هذه الأحداث اليومية أصبحت و كأنها مصنع للقلق لها.

فيا أخي العزيز لا تعن الشيطان على زوجتك المسكينة فسامحها، وألقِ لها بحبل المودة والرحمة و الحنان فهي بحاجة إليك، و بحاجة إلى حنانك ،فهي بحاجة إلى ابتسامتك فيا أخي الرحيم: أيُّ جو أجمل من إدخال السرور و الأمل و إرجاع الابتسامة إلى أولادك، فيا أخي من واجبك أن تجبر قلبها الكسير و تضمد نفسها الجريحة و تفرج كربها و ترجع الابتسامة إلى أولادك ؟و تقول لها هيا بنا نرجع ابتسامة أولادنا معـا.

و لقد اخترت لأحبتي الآية الكريمة : « البَقَرَة: [237]» .

(1**) عن عبد الله بن بكر المزني قال : سمعت أبي يحدث ، عن لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- قال : « ضَرْبُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ كَالسَّمَادِ لِلزَّرْعِ » الزهد لأحمد والنفقة على العيال لابن أبي الدنيا،و الآداب الشرعية:4/ 265 ، وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:132 أحمد بن عاشور).

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾[البَقَرَة: ٢٣٧].

و واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا أبو بحر – رحمه الله تعالى رحمة واسعة – و جمعنا به في الفردوس الأعلى – آمين – : "...أولادنا هم قرّة أعيننا ، و ثمار قلوبنا ، و عماد ظهورنا ، و نحن لهم أرض ذليلة ، و سماء ظليلة ، و بهم نصول على كل جليلة ؛ فإن طلبوا فأعطهم ، و إن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم و يحبوك جهدهم ، و لا تكن عليهم ثقلًا ثقيلًا ، فيملوا حياتك و يودوا وفاتك و يكرهوا قربك ..... "[1].

❊ ❊ ❊

(1) للاستزادة انظر : إِحْيَاء عُلوم الدِّينِ للإمام أبي حَامِد محمَّد بن محمَّد بن محمد الغزالي / كتاب آداب الألفة و الأخوة حقوق الوالدين و الولد ج2/ ص 310،311.

سامحـــي زوجكِ كي لا تيتمي أولادك

لقد تألمت على الصبيان الذين يعيشون محرومين من الحنان ومن الأحضان و من الرعاية و الدفء و الأمان؛ فهم أبرياء لا ذنب لهم في هذا الحرمان الذي سببه الطلاق ،و هذه الأحزان التّي سببها الطلاق أيضًا. هذا اليأس و اليتم و الحسرة سببها الطلاق ، فماذا تريدين يا أختاه أكثر من هذا ؟ من ندم الطلاق فأرجوك[*1].

(*1)

عندما تعتريني الأحزان
أبحث عن إنسان
يكون صديقا
يكون رفيقا
فلا أجد سوى أمي
(يا أبي سامح أمي من أجلي
لأني من كبدها)

لا لِلْفِتْنَة لا لِلْفراقِ
لا لِلْحزن
الحزن دولة لا تعيش فيها سوى الدّموع؟
والحزن دولة الدّموع؟

حان الوقت يا
أمي كي تسامحي
أبي قبل أن يفرقنا
الموت.

الأب

أمي سامحي أبي لأنه
دائما يبقى أبي، وتبقين
أمّي تسامحا كي أسعد
بـــــــــكما

الأم

فيا أختي العزيزة لا تعيني الشيطان على زوجكِ المسكين، فسامحيه وألقي له بحبال الود، و الحنان. فهو بحاجة إليك بحاجة إلى حنانكِ بحاجة إلى ابتسامتكِ فيا أختي الرحيمة أي جوٍّ أجمل من فيض القلوب و ذوبان النفوس من الشح و الكِبْرِ ... و تنازلي عن بعض حقوقكِ ، في سبيل رضـــا الله – عزَّ وجلّ – و في سبيل إرجاع الابتسامة لأولادكِ ، و لكِ من يذكركِ كما جـــاء في سورة : النِّسَاء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النِّسَاء: ١٢٨].

فيا أختي بدلاً أن تلعني الظلام ألف مرة أوقدي شمعة و افعلي شيئًا لكسر روتين حياتكِ، و أثيري عواطف زوجك من جديد، فإذا أردت التغيير في زوجك فلابد أن تبدئي أنت بنفسك أولًا مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرّعْد: ١١].

و استعملي فنون التعامل مع زوجكِ كما استعملتها منيرة. تفضلي هذا المثال : منيرة كانت تشكو زوجَهَا لأنّ تعامله جافٌّ معها و مع الأولاد ، أرشدها أحدُ المختصين بالاستشارات الأُسرية بأن تَتَودَّدَ إليه أولًا بالكلام الودود و الحب و اللمس ، فإن قبل زادت و إذا نفر خففت . فعلت ذلك لمدة ثلاثة أشهر بعدها بدأ الزوج و للمرة الأولى يفعل معها نفس الشيء ، بل صار يقول لها كلامًا في غاية الرقة و العاطفة. إن منيرة لم تستمر في اللَّوم بل فعلت شيئًا : غيرت في نفسها و بالتالي تغير زوجها [1].

(1) نشرت مجلة النور في العدد 193 (تجربة ناجحة في الإصلاح بين الزوجين).

حتى نغيِّر لا بد أن نتغير نحن و واجبكِ العمليّ أن تستعملي فنون التعامل والحكمة مع زوجكِ كما استعملتها منيرة، "...وكوني له أرضًا يكن لكِ سماء ، و كوني له مهادًا يكن لكِ عمادًا و كوني له أمة يكن لكِ عبدًا ،لا تلحفي به فيقلاك ،ولا تبَاعدي عنه فينساك ، إن دنا منك فاقربي منه ، و إن نأى فأبعدي عنه، و احفظي أنفه و سمعه و عينه ، فلا يشمن منك إلا طيبًا، ولا يسمع إلا حسنًا ، ولا ينظر إلا جميلًا[1]".

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البَقَرَة: ٢٦٩]،قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ - : «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»[2]:

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي *** وَلاَ تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

فَإِنِّي وَجَدْتُ الحُبَّ فِي القَلْبِ وَالأَذَى *** إِذَا اجْتَمَعَا، لَمْ يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ[3].

"و لا تنقريني نقرك الدفَّ مرة *** فإنك لا تدرين كيف المغيَّبُ

و لا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى *** و يأباك قلبي و القلوب تقلَّبُ".[4]

❊ ❊ ❊

(1) من أجمل نصائح أسماء بنت خارجة الفزاري لابنتها و جميع نساء المسلمين، و للاستزادة انظر : إحياء علوم الدين كتاب آداب النكاح/ الباب الثالث في آداب المعاشرة و ما يجري في دوام النكاح و النظر فيما على الزوج ،وفيما على الزوجة/ ص :86، 87/ ج2، و انظر الأغاني / دار صادر للطباعة، ط2 / 2004 مج 20 ، ص 237.

(2) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 39 – كتاب العلم عن رسول الله ﷺ : 19 – بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ. [رقم (2687)، ابن ماجه (4169)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ » ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ نُمَيْرٍ ،عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ سَعِيدٍ الْـمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،بِهِ.

❊ وكلمة المؤمن تشمل المؤمنة ، وكلمة المسلم تشمل المسلمة، كما قال علماء الأصول لأنه التشّريع العام.

(3) دِيوانُ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:30 مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله) و انظر : عُيون الأخبار / المكتبة العصريّة ، ط1 / 2006، مج 3 ص34 ، (الطّويل).

(4) إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينْ / ج2 «ص : 87»،(البحر الطّويل).

سامح جارك

و إليك وصية الله – عزَّ وجلّ – على الجار :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

سامح جارك الذي كان جبرائيل -عَلَيْهِ السَّلامُ- يوصي الرسول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ- به حتى قال : (ظننت أنه سيورثه) كما هو مبسوط في البخاري و مسلم و غيرهما،فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ و السَّلاَمُ-:«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ ».(1)

وَ قَالَ ﷺ:«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».(2)

... وليكن العفوُ و المغفرةُ شعارَ التعاملِ بين الجيران و لقد اهتم القرآن العظيمُ و السُّنةُ بحقوق الجار اهتمامًا عظيمًا ، و الآياتُ و الأحاديثُ في حقِّ الجار كثيرةٌ جدًّا، منها ما رواه أبو

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث ابن عمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في: 78 – كتاب الأدب: 28 –بَابُ الوَصَاةِ بِالجَارِ .

[رقم(6015)، مسلم (2625) ، أحمد (2/ 160:6506..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 561، 562 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب الوَصِيَّةِ بِالجَارِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ].* يوصيني بالجار: مسلمًا كان أو كافرًا ، عابدًا أو فاسقًا، صديقًا أو عدوًّا، غريبًا أو بلديًّا، ضارًّا أو نافعًا، قريبًا أو أجنبيًّا، قريب الدَّارِ أو بعيدها. سيورثه أي: يأمر عن الله بتوريث الجار من جاره. قال الحافظ في الفتح: (قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: حفظ الجار من كمال الإيمان ، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه). ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه، إلى غير ذلك وكف أسباب الأذى عنه، على اختلاف أنواعه، حسية كانت أو معنوية.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في: 78 – كتاب الأدب: 31 –بَابُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ.[رقم(6018)، مسلم (47)،و أحمد(2/ 267:7660..)، التِّرْمِذِيّ(1974)،أبو داود(3748)،ابن ماجه(3672)].

هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رجلٌ : يا رسول الله إنَّ فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها و صدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال ﷺ : «هيَ في النّارِ». قال : يا رسول الله إنّ فلانة يذكرُ من قِلةِ صيامها،و صَدَقَتِها وصلاتها ، و إنها تَصَدق بالأتوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها . قال : « هِيَ في الجَنَّة».[1]

و في هذه الاخير عن الحسن قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه :« يَا بُنَيَّ : حملت الجندل والحديد و كُلَّ حِمل ثقيل ، فلم أجد شيئًا أثقل مِنْ جارِ السُّوءِ».[2]

وبذلك ندرك خطر إيذاء الجار،وواجِبُنَا العمليّ يسديه لنا حجة الإسلام شيخنا الإمام أبو حامد الغزالي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بقوله :" و جملة حق الجار : أن يبدأه بالسلام، و لا يطيل معه الكلام، و لا يكثر عن حاله السؤال، و يعوده في المرض و يعزيه في المصيبة، و يقوم معه في العزاء، و يهنئه في الفرح، و يظهر الشركة في السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، و لا يتطلع من السطح إلى عوراته ، و لا يضايقه في وضع الجذع على جداره ، و لا في مصب الماء في ميزابه ، و لا في مطرح التراب في فنائه، و لا يضيق طرقه إلى الدار ، و لا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، و يستر ما ينكشف له من عوراته، و ينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، و لا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، و لا يسمع عنه كلامًا، و يغض بصره عن حرمته، و لا يديم النظر إلى خادمته ، و يتلطف بولده في كلمته،و يرشده إلى ما يجهله من أمر دينه و دنياه. هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرها الإمام الغزالي لعامة المسلمين "[3].

❊ ❊ ❊

(1) [رواه أحمد (2/ 440:9722) و البزار ، و ابن حبان في «صحيحه» (5764)، و الحاكم (4/ 166) و قال : «صحيح الإسناد»].

(2) الزهد لأحمد بن حنبل، والزهد والرقائق لابن المبارك ، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:123 أحمد بن عاشور).

(3) قال الإمام الغزالي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– في إحياء علوم الدين كتاب : آداب الألفة و الأخوة و الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق / الباب الثالث (في حق المسلم والرحم والجوار والملك ،حقوق الجار: « جملة حقوق الجار» / ج2/ ص:304).

- الرفق بالأرحام

ارفق و اعطف و سامح أرحامك لعل الله يسامحك، علينا أن نرفــق

و نعطف و نتسامح مع أرحامنا لعل الله يسامحنا.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النَّحْل: ٩٠](*).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ: « خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ،فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ،قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ [بِكَ] مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: **أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟** قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ ! قَالَ: **فَذَاكِ** ». [قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ] اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ :﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمَّد: ٢٢](2). وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ،أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». (3) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ،و يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ». (4)

(1*) الآيات في ذلك : [البَقَرَة: ٢٦ ، ٢٧]-[النِّسَاء: ١]-[النِّسَاء: ٣٦]-[الأنعَام: ١٥١]-[الرَّعْد: ٢١]-[الإسْرَاء: ٢٣ -٣٤]-[مَرْيَمْ: ١٤]-[مَرْيَمْ: ٥٥]-[طه: ١٣٢]-[الشُّعَرَاء: ٨٩]-[الشُّعَرَاء: ٢١٤ - ٢١٦]-[الأحْقَاف: ١٥ -١٩]-[محمَّد: ٢٢ - ٢٤]-[التَّحْرِيم: ٦]-...

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:65 - كتاب التفسير : 47 - سُورَةُ مُحَمَّد ﷺ:1 - باب ﴿ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾.[رقم (4830)، مسلم (2554)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 551، 552 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البِّر والصِّلة والآداب ، باب صِلَةِ الرَّحِمِ وتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا] .وانظر : [«السلسلة الصحيحة »(2741)] باب الأخلاق والبر والصلة.

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78 - كتاب الأدب : 11 -بَابُ، إِثْمِ القَاطِعِ . [رقم(5984)، (4345) ، مسلم (2556)].

(4)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:34 - كتاب البيوع: 13 -بَابُ مَنْ أَحَبَّ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ .[رقم(2067) ، مسلم (2557)].

وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 551، 552 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب البِّر والصِّلة والآداب ، باب صِلَةِ الرَّحِمِ وتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا] .

وقال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ- لابنه : « يَا بُنَيَّ : من أرضَى وَالِدَيْهِ فقد أرضى الرَّحمن ، ومَن أسخطهما فَقَد أسخط الرَّحمن . يَا بُنَيَّ : إنَّما الوالدان بابٌ من أبواب الجنَّة ،فإن رَضِيَا مضيت إلى الجِنان، وإن سَخِطَا حجبت عنها».[1]

... تباركت ربنا ما أكرمك و ما أرحمك بعبادك ! يسرت يا رب للناس هذه النعمة نعمة الصفح و السماحة لعبادك المظلومين المسامحين لتكون لذنوبهم كفارةً ، و عندك شفاعةً، و في جنّة الخلد منزلةً ، و من النار حجابًا.فإنَّ الله – عزَّ وَجَلّ – يُحبّ اللينين مع خلقه، المسامحين لهم ، ومن ثمَّ كان ألينُ البشر النّبي المصطفى الأكرم -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- كان أسهلهم معاملة أحَبَّهُم للّين ، فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- :« أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ... »؛[2] إلى آخر الحديث.

فما هذا الحظ الذي ناله أبو بكر الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

لماذا لم يقل أصـــــومكم ؟

لماذا لم يقل أقومكم ليلاً ؟

لماذا لم يقل أكثر كم صلاةً ؟

لماذا قال :« أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ... » إلى آخر الحديث؛ ؟ لأنّ: الرّحمة و اللّين و الحلم، و الأناة و السماحة و الصفح صفاتٌ يحبها الله و رسوله ﷺ

(1)البر والصلة للحسين بن حرب ، وانظر :وصايا لقمان و حكمه(ص:132 أحمد بن عاشور)،(ص:98 محمد عبد الرّحيم)،و عن مسلم بن وازع التميمي ، قال : قال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ-لابنه : « أي بنيّ واصل أقرباءك وأكرم إخوانك وليكن أخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم»ابن أبي الدنيا في "الإخوان"

(2) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 46 – كِتَابُ الـمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ : 32 / 106 – باب مَنَاقِبِ مُعَاذِبْنِ جَبَلٍ وَ زَيْدِبْنِ ثَابِتٍ وَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- . [رقم (3791)، ابن ماجه (154)، و أحمد (3/ 281: 13992..)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

كما قال عنه الصحابي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أبو بكر لم يفتكم بكثرة صيام و لا بكثرة صلاة و لكن بشيءٍ وقر في قلبه [1*] فقال له الصحابي يا أبا بكر الصدِّيق ما لي نصيبك و حظك؟ !:

من لي من سيرك المدللِ تمشي رويدًا و أنت في الأولِ

فكان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ألينهم و أصدقهم و أرحمهم و أحلمهم و أصفحهم بعد الرسول ﷺ، فلهذا بشر به الرسول و شهد له الرسول -عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ- فقال: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ...»؛ [2] إلى آخر الحديث. إذن فالدين المعاملة، و أعلى المعاملة الإحسان. دين اللين دين الحلم دين الصفح دين الأخوة دين السماحة دين الكلمة الطيبة دين العفو دين الرحمة ... الخ، ولهذا جاء في الحديث المروي عنه من طرق، أنه قال: «... إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ». [3] إلى آخر الحديث.

فأبو بكر الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يمتاز بدرجة عظيمة من اللين و الإحسان فأنزل الله في حقه قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النُّور: ٢٢].

(" يقولُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾، أي: من الأَلِيّة و هي: الحَلِفُ، أي: لا يَحْلِفُ ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾، أي: الطَّوْلِ و الصدقةِ و الإحسان ﴿ وَٱلسَّعَةِ ﴾، أي: الجِدَةِ،

(1*) قال لقمان -عَلَيْهِ السَّلامُ-: «يَا بُنَيَّ: لا يُستطاع العمل إلاَّ باليقين، ولا يعمل المرء إلاَّ بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتَّى ينقص يقينه»، الإحياء للغزالي: 1/ 140، وانظر: وصايا لقمان و حكمه (ص: 146، 147 أحمد بن عاشور)، وفي رواية «يَا بُنَيَّ: لا يُستطاع العمل إلاَّ باليقين، ولا يعمل المرء إلاَّ بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتَّى يقصر يقينه، وقد يعمل الضعيف إذا كان متيقنا أفضل من عمل القوي الضعيف في يقينه، ومَنْ يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الإثم» قوت القلوب.

(2) أخرجه التِّرْمِذِيّ في: 46 - كِتَابُ المَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: 32 / 106 - باب مَنَاقِبِ مُعَاذِبْنِ جَبَلٍ وَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-. [رقم (3791)، ابن ماجه (154)، و أحمد (3/ 281: 13992..)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(3) [أحمد (6/ 116: 24909)] ... [البَقَرَة: ١٨٥، ١٨٦] - [البَقَرَة: ٢٨٦] - [الأَنعَام: ١٦١] .....

﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، أي: لا تَحْلِفُوا ألاَّ تَصِلُوا قراباتكم المساكين و المهاجرين. و هذه في غايةِ الترفُّق و العطف على صِلَة الأرحام ،

و لهذا قال: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾،أي: عما تقدَّم منهم في الإساءةِ و الأَذَى؟ و هذا من حِلمه تعالى و كَرَمِه و لُطفِهِ بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم . و هذه الآية نزلت في الصدّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،حين حَلَف ألَّا ينفَعَ مسْطح بن أُثَاثَةَ بنافعةٍ أبدًا بعد ما قال في عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ما قال،كما تَقَدَّم في الحديث، فلما أنزل اللهُ براءةَ أُمِّ المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، و طابت النفوسُ المؤمنةُ و استقرَّت ، و تاب اللهُ – عزَّ وجلّ – عَلَى من كان تكلم من المؤمنين في ذلك ، – فكيف بنا نحن لا نغفر و لا نسامح و لا نصفح عمن ظلمنا و اغْتَابنا فأين نحن من ذلك النور؟ –. وأُقِيم الحدُّ على من أقيم عليه – شَرَع الله تبارك وتعالى – وله الفَضْلُ والـمِنَّةُ – يُعَطِّفُ الصِّديقَ على قَريبه ونسيبه ، وهو مِسْطَحُ بنُ أُثَاثة ، فإنه كان ابن خالة الصدِّيق، وكان مِسكيناً لا مالَ له إلا ما يُنفِقُ عليه أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،وكان من الـمُهاجِرين في سبيل الله ، وقد زَلَقَ زَلْقَةً تاب الله عليه منها ، وضُرب الحد عليها ، وكان الصِّديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -معروفاً بالمعروف ، لهُ الفضلُ و الأيادي على الأقارب و الأجانب، فلما نزلت هذه الآيةُ إلى قوله :

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، أي :فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفرُ لك ، وكما تصفح نصفح عنك .فعند ذلك قال الصدِّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: بلى، والله إنا نُحِبُّ – يا ربنا – أنَّ تغفِرَ لنا. ثم رَجَع إلى مِسْطح ما كان يَصِلُه من النفقة ، و قال : و الله لا أَنزِعُها منه أبداً ،في مقابلة ما كانَ قال :«و الله لا أنفعه بنافعةٍ أبدًا ».فلهذا كان الصدِّيقُ هو الصدِّيقُ ،-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،وعن بنته". [1] اهـ). من ابن كثير.كفى بالصِّدّيق فخرًا أن

(1)تفسير العالم الفقيه المفتي المحدث الحافظ ابن كثير للآية الكريمة [22]من سورة [النُّور]، و للاستزادة انظر: [صحيح: البخاري (4757)، و مسلم (2770)، أبو داود (5219)، وأحمد (6/ 59)، و التِّرْمِذِيّ (3180)].

ذكره الله وأَثْبَتَ له الصُّحبة ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التّوبَة: ٤٠].

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الـمُعْسِرِ. قَالَ :قَالَ الله- عزَّ وجلّ-:«**نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ**». (1)

وَعَنْ حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،قَالُوا أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي [أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ :قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ]». (2)

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ :أَيُّ الأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى الله ؟ قَالَ:«الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» (3)، وَعَنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ» (1)،

---

(1)[رواه مسلم (1561)، و أحمد (4/ 120: 17082..)، و التِّرْمِذِيّ (1307)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في : 34 – كتاب البيوع : 17 –بَابُ مَنْ أَنْظَرَ مُوسِرًا. [رقم(2077)، مسلم (1560)].

(3)أحمد (1/ 236: 2107) ورد في البخاري (باب الدين يسر)رقم (29)، الفتح (1/ 116) بدون إسناده بلفظ« أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » وقال الحافظ ابن حجر –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – قوله (أحب الدين) أي :خصال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة ،لكن ما كان منها سمحًا (أي سهلاً) فهو أحب إلى الله ويدل عليه ما أخرجه أحمد (3/ 479) بسند صحيح من حديث أعرابي لم يسمه أنه سمع رسول الله ﷺيقول «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ». أو الدين يُسْر ، أي أحب الأديان إلى الله الحنيفية . والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ . والحنيفية ملة إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، و الحنيف في اللغة ما كان على ملة إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وسمي إبراهيم حنيفًا لميله عن الباطل إلى الحق لأن أصل الحنف الميل، والسمحة السهلة، أي إنها مبنيّة على السهولة ، لقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] ،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا =

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَجْلاَنَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِـي ضَمْضَمٍ؟ »، قَالُوا : وَمَنْ أَبُو ضَمْضَمٍ ؟ قَالَ : « رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ » ، بِمَعْنَاهُ، قَالَ: «عِرْضِي لِـمَنْ شَتَمَنِي »، وفي رواية أخرى كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّـي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ ».(2)

و قال الإمام أحمد حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: « يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ،تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْـمَرَّةِ الْأُولَى . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ الله

=﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٖ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]،وَقَالَ تَعَالَى:﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المَائِدة: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعَام: ١٦٠ – ١٦١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ ﴾ [التَّوبَة: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ ﴾ [الحَجّ: ٧٦]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٞ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الفَتْح: ١٧] ..... وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب ، لأنه ليس على شرطه ، نعم وصله في كتاب الأدب المفرد ، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن اسحاق عن داود بن الحصين وعن عكرمة عن ابن عباس وإسناده حسن لكونه تقاصر عن شرطه ، وقواه بما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر ، فتح الباري (1/ 116،117)، وانظر : [تاريخ بغداد : (5/ 459/ 2178) ، و ذيل تاريخ بغداد لابن النجار : (2/ 176/ 260)].دار الفكر .

(1) أحمد (1/ 248) واللفظ له ، وقال الشيخ أحمد شاكر (4/ 54) : «إسناده صحيح »، والسيوطي في الجامع الصغير (1037) ونسبه للطبراني و البيهقي في الشعب .وانظر : [«السلسلة الصحيحة »(1456)]باب الأخلاق والبر والصلة .

(2) أخرجه أبو داود في : 35 –كِتَابِ الأَدَبِ : 43 –بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يُحِلُّ الرَّجُلَ قَدِ اغْتَابَهُ . [رقم (4886،4887)].

يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ الله: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ الله إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ ؛فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ؛ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ غِشًّا،وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ . فَقَالَ عَبْدُ الله : هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ[1]. و في روايةٍ أخرى ... «فقال الرجل: آوي كل ليلة إلى فراشي وليس في قلبي حقدٌ على مسلم ...» ؛ الْحَدِيثَ.

و واجِبُنَا العمليّ يسديه لنا الإمام ابن قيم الجوزية –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بقوله : "يا ابن آدم إن بينك وبين الله خطايا وذنوبًا لا يعلمها إلا هو، وإنك تحب أن يغفرها لك...وإن أحببت أن يغفرها لك...فاغفر أنت لعباده...وإن أحببت أن يعفو عنك... فاعف أنت عن عباده...تعفو هنا...يعفو هناك... تنتقم هنا...ينتقم هناك ... تطالب بالحق هنا..يطالبك بالحق هناك...لهذا عوّد نفسك أن تقول كل ليلة..(اللهم أيما عبد أو أمة من أمة محمد ﷺ يحبني ويدعو لي ... فأسأل له الفردوس الأعلى..والملك يرد عليك ويقول ...و لك مثل ذلك ثم تقول..و أيما عبدٍ أو أمةٍ من أمة محمد ﷺ اغتابني أو ظلمني أو بهتني ... أو قذفني... أو قال في ما ليس في فإني عفوت عنه ... وتركتها له .. ويقول الملك و لك مثل ذلك..أي لك العفو من الله "–عزَّ وجلّ–. [2]

❋ ❋ ❋

(1)[(أحمد 3/ 166: 12697)،جامع المسانيد (23/ 392/ 3108)، و عبد الرزاق في «مصنفه»، وابن المبارك في «الزهد»، و النسائي في «الكبرى»، و البيهقي في «الشعب»] .

(2*) مَـنْ نَالَ مِنِّي أو عَلِقْتُ بِذِمّتِهِ *** أَبـرأْتُـهُ للّـه شَـاكِرَ مِنَّتِهْ
أَأُرَى مُعَوِّقَ مؤمِنٍ يومَ الْـجَزَا *** أَوْ أنْ أسُوءَ محمّدًا في أُمَّتِهْ. =

الإحسان إلى الحيوان من أسباب دخول الجنّة

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٣٦](1*).

﴿ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ : هم العبيد حينما كانت ويدخل في هذا المعنى كلّ ما يملكه الإنسان من حيوانات فهو مطالب بالاحسان إليها من طعام وشراب وعدم الضّرب والإهانة.

عَنْ أَنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ ،أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ». (2)

= دِيوانْ الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص:42مُـحَمَّدْ تَبَرْكَانْ أَبُو عَبد الله)، (الكامل) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبرَاهِيم: ٢٤ - ٢٧]،وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الزُّمَر: ٤٢]، قال عبد الرزّاق، عن معمرٍ، عن ابن طاووس، عن أبيه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾، قال: لا إله إلا الله، ﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾، المسألة في القبر .

لأن أحسن الأعمال خواتمها و خاتمة اليوم عند النوم .

لهذا عوّد نفسك أن تقول كل ليلة عند النوم :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عِمۡرَان: ٨] ، ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ [طه: ٢٥] ... الآية،﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحَشْر: ١٠]... الآية .

1- اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ عَفَوْتُ -لوجهك الكريم-عَمَّنْ ظَلَمَني -السّماح -.. -السّماح -..

2- اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ .

3- أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ.

(1*) وإليك بعض الحيوانات الَّتِي ذكرت في القرآن الكريم وكذلك الحشرات ... الآيات في ذلك : [المَائدة : ٣١] -[الأنعَام :٣٨] - [النّحل: ٨٠] -[الإسْرَاء: ٤٤] -[الحَجّ: ٧٣، ٧٤] -[النُّور: ٤٥] -[السَّجْدَة :٢٧] -[سَبَإ: ١٤] -[النَّازعَات ٣١-٣٣] -[الغَاشِيَة: ١٧] ، وانظر : كتاب الشيخ حسنين مخلوف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-،(كتاب الرفق بالحيوان في الشريعة الإسلامية).

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:72 -كِتَابُ الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ : 25 -بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الـمُثْلَةِ وَالمَصْبُورَةِ وَالـمُـجَثَّمَةِ .[رقم (5513)، مسلم (1956)].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ،قَالَ: [كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَمَرُّوا بِفِتْيَةٍ، أَوْ بِنَفَرٍ]، نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: « مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هَذَا». (1)

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ : «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ **أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ ؟**». (2)وعَنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ قَالَ : «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ،فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ بِئْرًا فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ». (3)

أحسنوا إلى الكائنات الحيّة الَّتِي قال عنها المصطفى المثل الأعلى في السماحة و الوفاء رسول الله ﷺ : «فِي كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ». (4)

---

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:72 -كِتَابُ الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ: 25 -بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الـمُثْلَةِ والـمَصْبُورَةِ وَالـمُجَثَّمَةِ .[رقم (5515)، مسلم (1958)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 416، 417 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، باب النهي عن صبر البهائم].

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:56 -كِتَابُ الجِهَادِ وَ السِّيَرِ: 153 -بَاب حَدَّثَنَا يَحْيَى.[رقم(3019)، مسلم (2241)،وأحمد (2/ 402: 9270..)،أبو داود(5266)،النسائي(4364)،ابن ماجه(3225)].وانظر: اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص :470، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب السَّلام ، باب النهي عن قتل النمل].

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:42 -كِتَابُ الـمُسَاقَاةِ: 9-بَابُ فَضْلِ سَقْيِ الـمَاءِ.[رقم(2363)، مسلم (2244)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 471 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب السلام ، وانظر : [«السلسلة الصحيحة» (29)] باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان].

(4) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .[رقم (2/ 375: 8913)، البخاري (2363)، مسلم (5752/ 2244)، و أبو داود (2550)، جامع المسانيد (1/ 146/ 737)]، و انظر : [«السلسلة الصحيحة» (29)] باب التوبة و المواعظ و الرقائق.

سبحان الله حتّى بالكائنات الحيّة رسول الله ﷺ : ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ؛[التّوبَة ١٢٨] ...الآية.

... فعليكم أن تحسنوا إلى الكائنات الحيّة ، و تفكروا فيما عليكم فعله كي تكونوا محبين لمخلوقاته سبحانه – عزَّ وجلّ – لِأَنَّ من حُبِّ الله أن تحب خلقه ولنا في أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وقفةٌ و لمسة وفاء: – ومن نافلة القول أن النّبي ﷺ كنَّى أحد كبار صحابته ، وهو عبد الرّحمن بن صخر الدوسي بأبي هريرة ، وذلك لعطفه ورفقه بهرَّة كانت تلازمه – . فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا ،فَسَقَتْهُ ،فَغُفِرَ لَهَا بِهِ». (1)

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ،قَالَ :«عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ ، سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ؛لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا ،وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ». (2)

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». (3)

... و من هنا نعلم أن الإسلام دين الرحمة و السماحة و المعذرة يدعو للرفق بمخلوقات الله – عزَّ وجلّ – و واجِبُنَا العمليّ علينا الرفق بكل المخلوقات و اتباع سيد الكائنات ﷺ.

❊ ❊ ❊

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:60 – كتاب الأنبياء: 54 –بَاب حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ.[رقم(3467)، مسلم (2245)].
وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 471 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب السلام ، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها]، وانظر : [«السلسلة الصحيحة »(30)] باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان.

(2)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:60 – كِتَاب الأَنْبِيَاءِ: 54 –بَاب حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ.[رقم(3482)، مسلم (2242)،و أحمد(2/ 424:9529..)].وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 471 ، محمد فؤاد عبد الباقي)كتاب السلام ، باب تَحْرِيمِ تَعْذِيبِ الهِرَّةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الحَيَوَانِ الَّذِي لا يُؤْذِي]، وانظر : [«السلسلة الصحيحة »(28)] باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان.

(3)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:78 – كِتَابُ الأَدَبِ: 27 –بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ.[رقم(6013)، مسلم (2319)].
وانظر: اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 491 ، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الفضائل ، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك].

سامحوا إخوانكم و أزواجكم و زوجاتكم و أولادكم و .....

و الذين فقدوا عقولهم

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ٩٢]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٣٦]،وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [المعَارج: ٢٤، ٢٥].

سامحوا إخوانكم و أزواجكم و زوجاتكم و أولادكم و .....

و الذين فقدوا عقولهم

من لـــنا ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ».[1]

وعن كعب، قال: قال لُقْمَان الحكيم -عَلَيْهِ السَّلامُ- فيما يعظ به ابنه: «..... وكن عبدًا لمن صاحبك يكن لك عبدًا، ولا تصعر خدك للناس فيبغضوك، والله أشد منهم مقتًا، وتصدق يا بنيّ من فضل ما أعطاك ربك يزدك من فضله ويطفئ عنك غضبه، وارحم الجار الفقير والمسكين والمملوك والأسير والخائف، واليتيم فأدنه وامسح رأسه فإن الله يرحمك إذا رحمت عباده».[2]

... سامحوا إخوانكم و أزواجكم و زوجاتكم و أولادكم وأيضًا أولئك الذين فقدوا عقولهم ساعة الغضب، سامحوا الذين فقدوا عقولهم و اعلموا أنهم كانوا يبذلون أقصى ما في جهدهم كي يرضوكم حتى فقدوا عقولهم ، و الله إن موقفهم وحالهم ليدعو إلى البكاء والأسى ،فهم بحاجة إلى حنانكم ... فهم بحاجة إلى عفوكم عنهم ... فهم بحاجة إلى مسامحتكم لهم ... فهم بحاجة إلى طيب قلوبكم عنهم و مواساتكم و عطفكم ، و كلام طيب يكون بلسما على جراحهم.

(1)(صحيح ،متفق عليه): أخرجه البخاري في:69 -كِتَابُ النَّفَقَاتِ: 01-بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ.[رقم(5353) طرفاه في(6006)،(6007)، مسلم (2982)،و أحمد(2/ 361: 8770)]. وانظر : اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ [(ص : 649، محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب الزهد والرقائق ، باب الإِحسان إِلَى الأرملة والمسكين واليتيم] .

(2)حلية الأولياء.

و الله لم أستطع أن أكمل ، سامحوني إذا فقدت عقلي نتيجةً لذلك الحزن.

المعذرة على ما تبقى من الكتاب لم يتركني بَثِّي وَحُزْنِي أكمـــــــــل كتابي

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَ السَّلَامُ : «إِنَّ هَذَا القُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ،فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا،فَإِنْ لَـمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا ،...» [1] إلى آخر الحديث.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحَدِيد: ١٦]

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه ابن ماجه من حديث سعد بن أبي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في : [7]5 -أبواب إقامة الصّلوات و السّنّة فيها : 176 -باب حسن الصّوت بالقرآن . [رقم (1337) أبو يعلى (689)، أحمد (1/ 172: 1476)، و أبو داود (1469) مختصرًا ... البخاري (7527)].

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴾ وما ذلك على الله ببعيد

خلاصة القول :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥ ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٥]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٩]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ﴾ [قٓ: ٣٣]

صَدَقَ اللهُ العَظِيمِ ●

و في هذا الأخير يقول المصطفى البشير النذير طبُّ القلوب و دواؤُها ، و عافية الأبدان و شفاؤُها ، و نور الأبصار و البصائر و ضياؤُها ، و قوت الأرواح و غذاؤُها ﷺ :« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »(1). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »(2). وَعَنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « ....، التَّقْوَى هَاهُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ....»(3) ؛ الْحَدِيث . وَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ الله النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ،أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺيَقُولُ:«.... أَلَا وَ إِنَّ فِي

(1)سنن أبي داود : 7 - كتاب الطَّلَاقِ : 11 - باب فِيمَا عُنِيَ بِهِ الطَّلَاقُ وَالنِّيَّاتُ. [صحيح : البخاري (6689)، مسلم (1907)، و أبوداود (2201)، والنسائي (75)،و ابن ماجه (4227)، و أحمد (1/ 25:168..)، و التِّرْمِذِيّ(1647)] . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ : قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ يَقُولُ، بِهِ.

(2)أخرجه مسلم في : 45 - كِتاب البِرِّ و الصِّلَةِ و الآدَابِ : 10 - بَاب تَحرِيم ظلم الـمُسْلِم وَ خَذْلِهِ و احْتِقَارِهِ، وَ دَمِهِ وَ عِرْضِهِ وَ مَالِهِ . [رقم 34 - (2564)، و النووي (16/ 94)، ابن ماجه (4143)، أحمد (2/ 284:7862..)].

(3)[رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564)،و أحمد (2/ 277:7761..)].

الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَ إِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَ هِيَ الْقَلْبُ»؛الْحَدِيث . [1]

وقال لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ-: « ليس من شيءٍ أطيب من اللِّسان و القلب إذا طابا.....». [2]

... و نستنتج مما سبق أنَّ الانتصار للنفس و عدم الصفح عن غيرنا يُلصِقُ بعقولنا فكرة أو دافعًا ما ،و قد يتولد من ذلك ضجيجٌ وصراعٌ نفسيٌّ غير واعٍ في العقل الباطني، وقد أوضحت تلك الدِّراسة السالفةُ الذكر أنَّه يجب قطع الطريق على إعادة تذكر تلك المواقف الّتي ثار فيها غضب الشخص. والعلاج يكون بتوجيه انتباهه وتركيز فكره إلى أشياء أخرى إيجابية أكثر جمالًا في حياته. ولنعد في ذلك إلى ما جاء في الفصل الرابع.

ونستنتج بِأَنَّ تزكيةَ النفسِ واطمئنانها، وراحةَ القلب ومنابته، وسلامته ورجاحةَ العقل وصفاءَه لا تقومُ إلا عن قدم و ساق لكظم الغيظ والعفو والصفح، لأنَّ كظم الغيظ والعفو لتزكية النفوس واطمئنانها ، والصفح لصفاء العقول ورجاحتها ، وسلامة القلوب ومنابتها .

ولا يقوم كظم الغيظ والعفو والصفح إلَّا بالإدراك الحقيقي للتسامح وفوائده، فالسلامة والعافية والطمأنينة وراحة القلب والعقل والنفس والبدن ... كلها وليدة : نجم التسامح ،والتسامحُ نجم ينبغي أن يتهلّل و يبزغ و يسطع في حياتنا . فليكن هذا الكتاب نبراسًا وضَّاءً يدعو إلى التسامح والعفو والتفاؤل والإصلاح، والخير والبرِّ والفلاح، والله الواحد الموفق و المستعان. – آمين –

(1)[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ (الْبُخَارِي(52)،وَمُسْلِم(1599)].

(2) تفسير ابن كثير : 3/ 536 ، و انظر : و صايا لقمان و حكمه (ص : 105 أحمد بن عاشور).

ا
ا
مح
ل
س
ت

❊ ❊ ❊

فهرس المصادر والمراجع :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإِخْلاَصْ: ١ – ٤].

أولاً: كلام الله – عزَّ وجلّ –وهو خريطة النجاح في الحياة وما بعد الممات وسفينة النجاة ومنهاج يهدي إلى سبيل الرشاد .

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المَائِدة: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلَت: ٤٢].

ثانيـــــاً :

مُفَسِّرُو القرءان العظيم مشايخنا جزاهم الله عنا كل الخـــير .

فيا إخواني، وخاصة أبناءنا المقبلين على حفظ كتاب الله – عزّ وجلّ – عليكم بقراءة القرآن العظيم مع التدبر والفهم لمعانيه ، والتعرض لنفحاته، اعتمادًا واستعانة بما تَرَكَهُ لنا أسلافُنَا من تفاسيرٍ متنوعةٍ غير متشابهةٍ ولا يُغْنِي بعضُها عن بعض ، لأَنَّ كتاب الله لا تنقضي عجائبه ، مهما كانت قَدَمُ الْمُفَسِّرِ رَاسِخَةً في علوم العربية والدِّين ، وقد حزّ في نفسي ما رأيته من عَدَمِ الفهم لبعض حفظة القرآن لِـمَا يتلون من كتاب الله –عزّ وجلّ– :

" نَقْرَؤُهُ وَ الْقَلْبُ عَنْهُ لَاهٍ ❊❊❊ كَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ

وَ لَيْسَ لِلْقُرَّاءِ فِيهِ مُزْدَجَرْ ❊❊❊ إِلَّا كَصَوْبٍ وَابِلٍ عَلَى حَجَرْ

يَا أَسَفَى يَا حَسْرَتَى يَا لَهْفَا ❊❊❊ وَ حُرْقَةٌ فِي مُهْجَتِي لَا تَطْفَا "[1]

... وإليك أخي الكريم أهم التفاسير المشهورة والمتداولة مع سَرْدٍ لأسماء كتبٍ أخرى لها علاقة بمباحث القرآن الكريم .

(1) من كلام العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الابراهيمي الديسي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –،(بحر الرجز).

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

الطبري :

أبو جعفر محمد بن جرير توفي سنة 310هـ / 923: مؤرخ ومفسر وفقيه شافعي ، حاول أن يكون له مذهب خاص ، ولد في آمل بطبرستان ، استوطن ببغداد وتوفي بها ، وهو مؤلف كتاب مشهور من كتبه "جامع البيان في تفسير القرآن " يعرف بتفسير الطبري، "و تاريخ الأمم والملوك" ويعرف بتاريخ الطبري ، وله اختلاف الفقهاء وآداب القضاة وتهذيب الآثار :

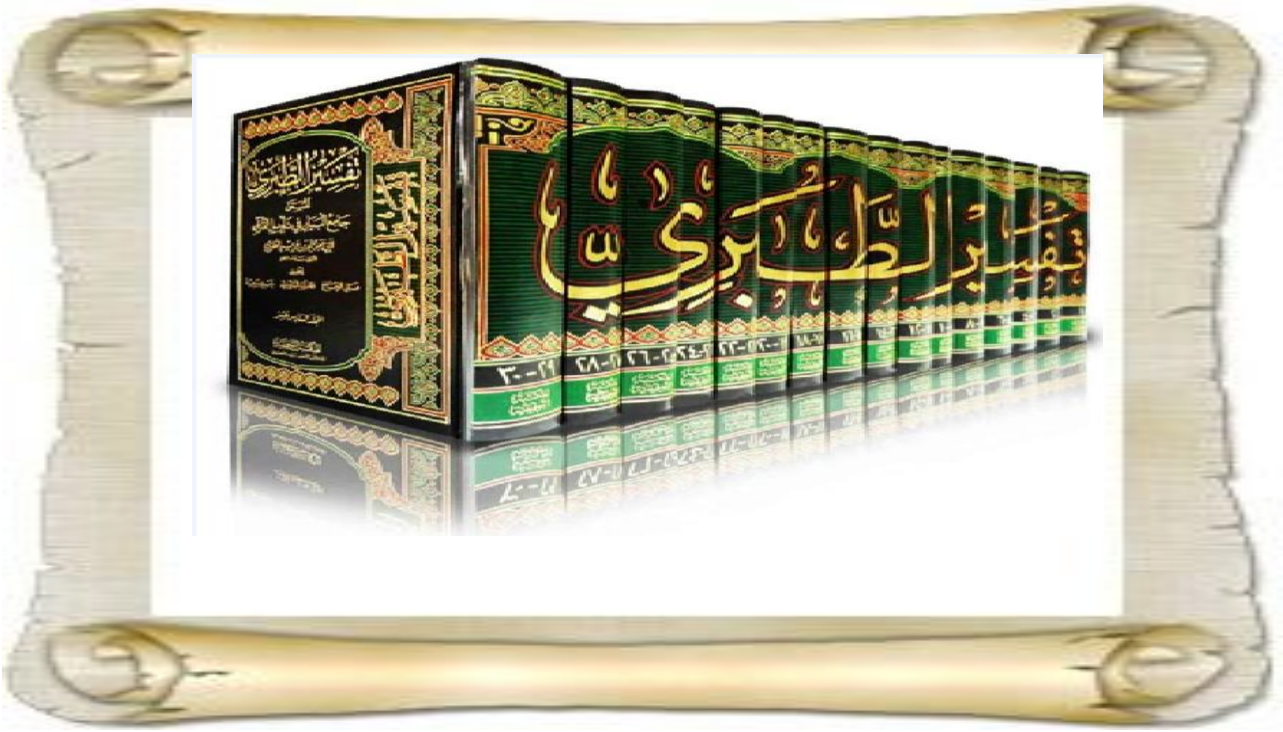

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التِّمْثَـالِ أَكْفَـاءُ *** أَبُـوهُـمُ آدَمٌ، وَالأُمُّ حَـوَّاءُ

نفسٌ كنفـسٍ، وأَرْوَاحٌ مشَاكلـةٌ *** وأَعْظُمٌ خُلِقَتْ فيها وأَعْضَـاءُ

وَإِنَّمَا أُمَّهَاتُ النـَّاسِ أَوْعِيَـةٌ *** مُسْتَوْدَعَاتٌ وَللأَحْسَابِ آبَـاءُ

فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ مِنْ أَصْلِهِمْ شَـرَفٌ *** يُفَاخِرُونَ بِهِ؛ فَالطِّينُ، وَالمَـاءُ

مَا الفَضْلُ إِلاَّ لأَهْلِ العِـلْمِ إِنَّهُـمُ *** عَلَى الهُدَى لِمَـنِ اسْتَهْـدَى أَدِلاَّءُ

وَقِيمَةُ المَرْءِ مَا قَـدْ كَـانَ يُحْسِنُـهُ *** وَالجَاهِلُونَ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْـدَاءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ وَلاَ تَطْلُـبْ بِـهِ بَـدَلاً *** فَالنَّاسُ مَوْتَى، وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَـاءُ!

ديوان الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص: 13، عبد الرّحمن المصْطاوِي)، (**البسيط**).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

الإمام القرطبي:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسِّر ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري (ما بين 600 – 610 هـ)، وعاش بها،ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بِمُنْيَة بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: المنيا، وبقي فيها حتى تُوفِّي.

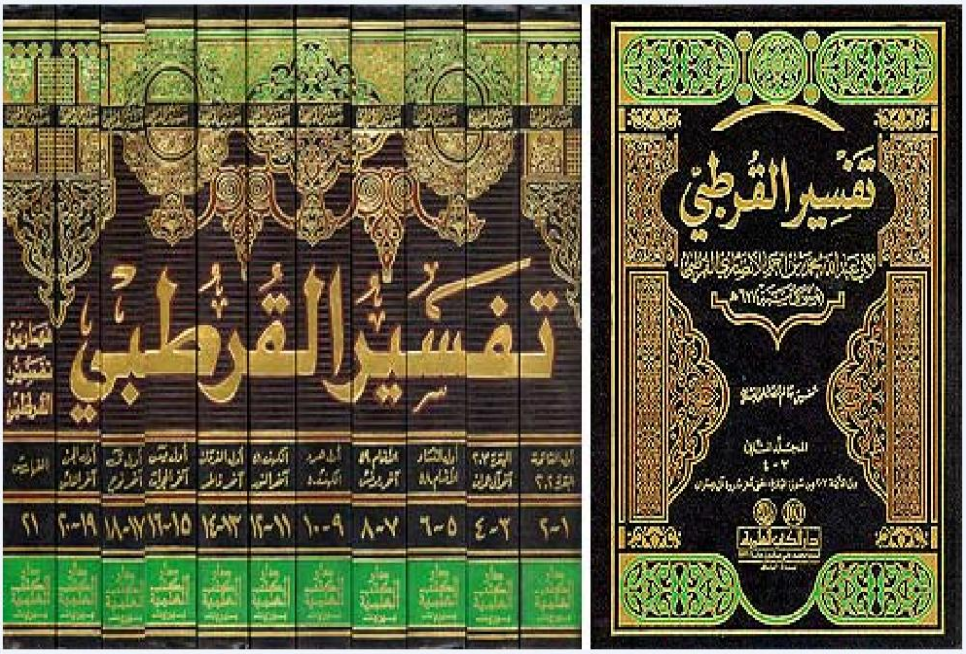

مَا الفَضْلُ إِلاَّ لأَهْلِ العِـلْمِ إِنَّهُـــمُ *** عَلَى الهُدَى لِمَـنِ اسْتَهْـــدَى أَدِلاَّءُ

وَقِيمَةُ المَرْءِ مَا قَـدْ كَـانَ يُحْسِنُـــهُ *** وَالجَاهِلُونَ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْـــدَاءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ وَلاَ تَطْلُـبْ بِـهِ بَـــدَلًا *** فَالنَّاسُ مَوْتَى، وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَـاءُ!

ديوان الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص: 13، عبد الرّحمن المصْطاوِي)، (**البسيط**).

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

ترجمة الإمام ابن كثير: هو الشيخ العالم الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع البُصروي الأصل الدمشقي الشافعي، ولد بـ «مُجيدل»، قرية من أعمال مدينة بُصرى سنة إحدى وسبعمائة، وكان أبوه خطيباً بها، ثم انتقل إلى دمشق سنة ست وسبعمائة، ثم تفقه على الشيخ برهان الدين الفزاري المعروف بالفِركاح وغيره، وسمع ابن السويدي البدر محمد بن إبراهيم، والقاسم بن عساكر وخلقاً، وصاهر الشيخ الحافظ المزي فأكثر عنه، وأفتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل، وولي مشيخة أم الصالح والتنكزية بعد الذهبي، ذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ، وقال في المعجم المختص: هو فقيه متقن ومحدث محقق، ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة. قلت: فمن تصانيفه كتاب «التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» جمع بين كتاب التهذيب، والميزان، وهو خمسة مجلدات. وكتاب «البداية والنهاية» في أربعة وخمسين جزءًا، وكتاب «الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن» جمع فيه بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلى وابن أبي شيبة إلى الكتب الستة، وله غير ذلك اهـ. ذيل تذكرة الحفاظ ص 57-58. وجاء أيضاً في ذيل التذكرة ص 361-362 للسيوطي: الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل إسماعيل بن عمر بن كثير، سمع الحَجَّار والطبقة، وأجاز له القرافي والختني، وتخرج بالمزي ولازمه وبرع، له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله، والتاريخ، وتخريج أدلة التنبيه، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يتمه، ورتب مسند أحمد على الحروف، وضم إليه زوائد الطبراني وأبي يعلى، وله مسند الشيخين، وعلوم الحديث، وطبقات الشافعية، وغير ذلك، توفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة، وقال الذهبي في المختص: الإمام المفتي المحدث البارع ثقة متفنن محدث متقن. وقال ابن حجر: كان كثير الاستحضار، وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع الناس بها بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي، وتمييز العالي من النازل، ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من محدثي الفقهاء. قلت: العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله، واختلاف طرقه ورجاله جرحًا وتعديلاً، وأما العالي والنازل ونحو ذلك، فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة اهـ. وقال ابن قاضي شهبة في «طبقاته»: كانت له خصوصية بابن تيمية؛ ومناضلة عنه واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذي، وتوفي في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية.

(انظر الدرر الكامنة 1/ 374، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 112، وكشف الظنون 1/ 439، والبدر الطالع 1/ 153 للشوكاني، وهدية العارفين 1/ 215):

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

عبد الرحمان الثعالبي:

هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عامر بن نوفل بن عامر بن موصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبد البر بن فيسي بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ولد عبد الرحمن الثعالبي سنة786 هـ1384/ م بوادي يسر بمدينة يسر الواقعة حاليا بولاية بومرداس و القريبة بخمس كيلومترات من مدينة برج منايل شمال شرقي العاصمة الجزائرية، وهذه المدينة هي موطن آبائه وأجداده الثعالبة،يقال أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل الجعافرة. :

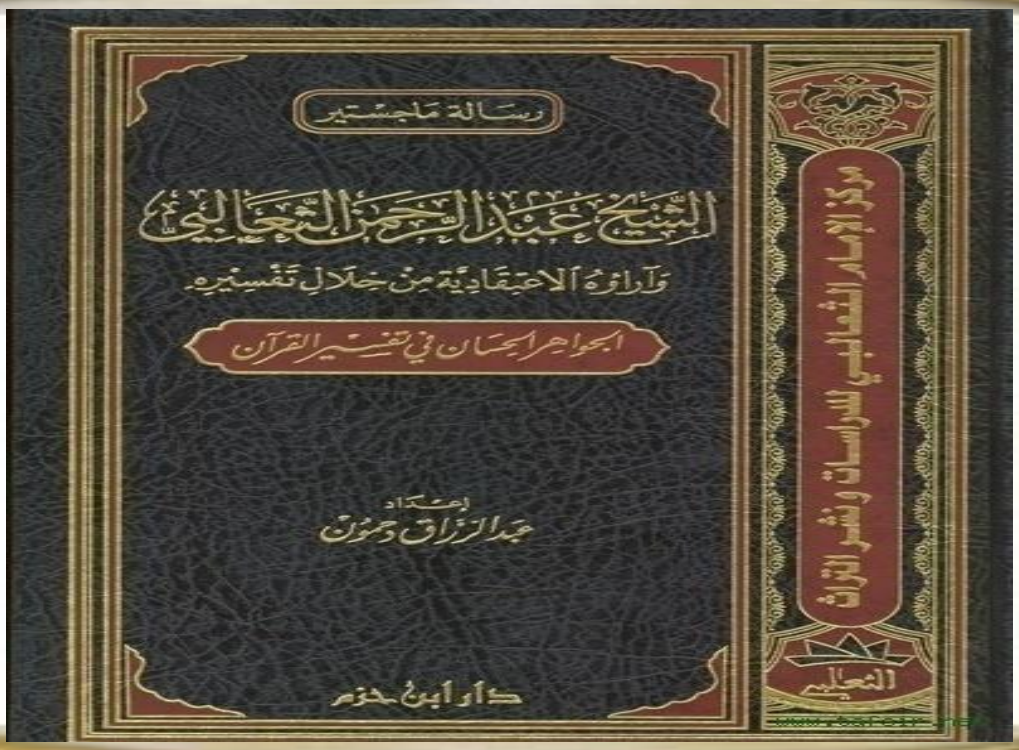

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

جلال الدين السيوطي:

عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي،(القاهرة 849 هـ 1445/م- القاهرة 911 هـ 1505/م) من كبار علماء المسلمين.

جلال الدين المحلي

هو الإمام جلال الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن كمال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم العباسي الأنصاري المحلّي الأصل – نسبة للمحلة الكبرى من الغربية – القاهري الشافعي . ولد في مستهل شوال سنة إحدى وتسعين وسبعمائة 791هـ الموافق سنة 1389 م بالقاهرة ونشأ بها

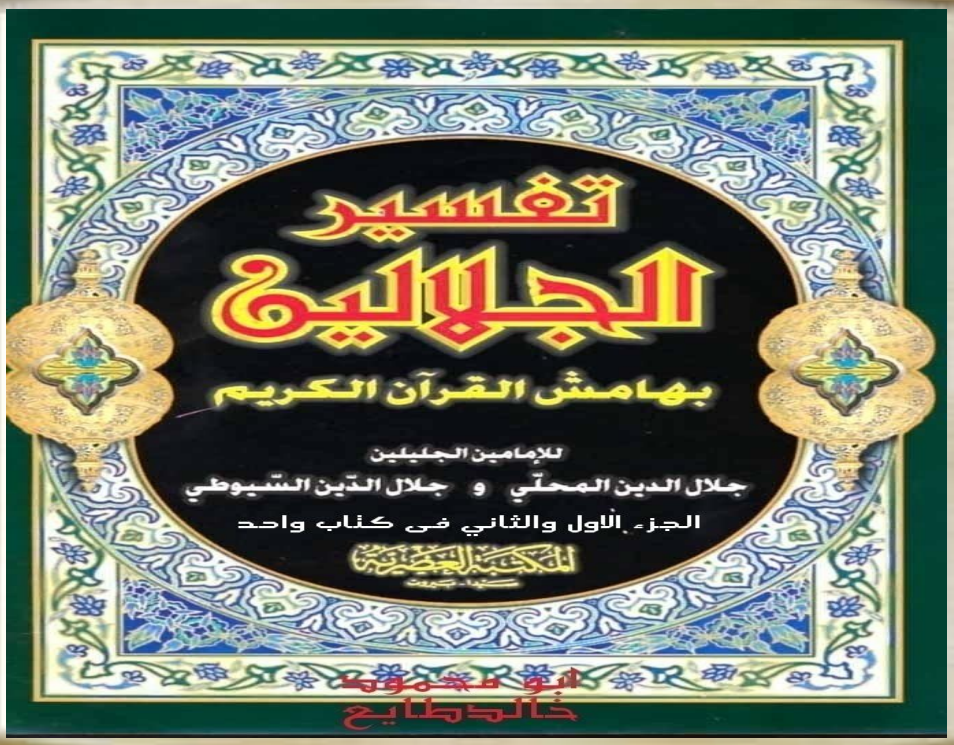

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

ناصر السعدي:

هو الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي من آل سعدي من الحمران من قبيلة النواصر أحد قبائل تميم ويعرف اختصارًا ابن سعدي (1889 – 1956) ولد في بلدة عنيزة في القصيم يوم 12 محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية، وتوفيت أمه وله من العمر أربع سنوات وتوفي والده وهو في السابعة، فتربى يتيماً ولكنه نشأ نشأة حسنة، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في التعلم، وهو مصنف وكاتب كتاب تيسير الكريم الرحمن. :

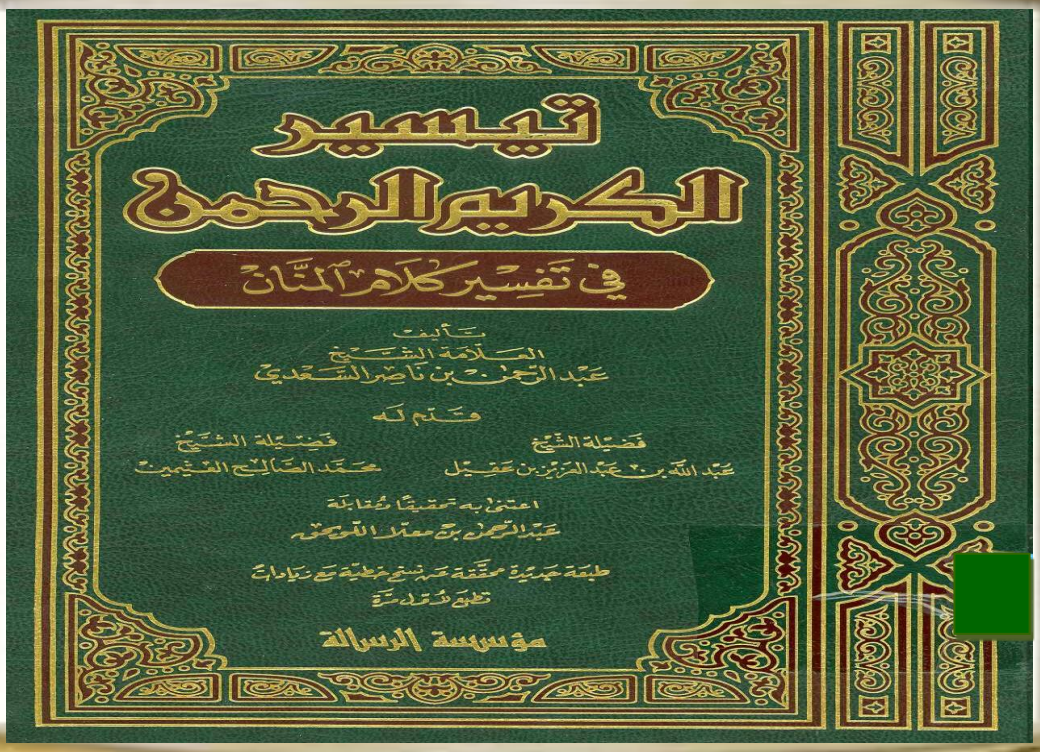

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبيَاء: ٧].

الشيخ الشنقيطي:

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المدني. ولد بموريتانيا عام 1325 هـ حوالي 17 فبراير 1905 مدينة تنبه في موريتانيا حيث نشأ يتيماً فكفله أخواله وأحسنوا تربيته ومعاملته، فدرس في دارهم علوم القرآن الكريم والسيرة النبوية المباركة والأدب والتاريخ، فكان ذلك البيت مدرسته الأولى. ثم اتصل بعدد من علماء بلده فأخذ عنهم، ونال منهم الإجازات العلمية. عُرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة. اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده فكان موضع ثقة حكامها ومحكوميها.. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية سنة 1381هـ ، ثم عين عضواً في مجلس الجامعة، كما عين عضواً في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي ، وعضوًا في هيئة كبار العلماء 8 / 7 / 1391 هـ. توفي بمكة بعد أدائه لفريضة الحج في السابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة. وصلي عليه بالمسجد الحرام ، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة. وصُلي عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي الشريف. مكتبة إلكترونية تحتوي على بعض مؤلفات فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، وهذه عناوينها: له مؤلفات عدة من بينها: - المصالح المرسلة. - الأسماء والصفات نقلا وعقلا. - منهج التشريع الإسلامي وحكمته. - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. - من فتاوى الشيخ محمد الأمين الشنقيطي. - الأحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان - ما -نثر الورود على مراقي السعود -العذب النمير من دروس التفسير. :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٨٢] ،وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعَام: ١٧] ،وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٠] ،وَقَالَ تَعَالَى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [صٓ : ٢٩] ،

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحَشْر: ٢٤].

و قبل أن يفتح ورقات الكتاب يفتح ورقات قلبه لأنه كلام الله للتمعُّن فيه (إذا كان بعض كلام البشر له دواء للسامعين و المقرئين فما بالك بكلام ربّ العالمين الدّواء الشافي من كل داء).

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسْرَاء: ٨٢].

ولنعد في ذلك إلى ما جاء في فضل و فوائد وشفاء القرآن العظيم ،انظر (صفحات الفصل الأول : تشخيص الدّاء و اللجوء إلى الدّواء: من هذا الكتاب).

قال الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في القرآن الكريم:

واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصحُ الّذي لا يَغُشُّ ، والهادي الّذي لا يُضلّ ، والمحدّثُ الّذي لا يكذب ، وما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان ، زيادة في هدى ، و نقصان من عمى ، واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآنِ من فاقةٍ ، و لا لأحد قبل القرآن في غنى ، فاستشفوا من أدوائكم ، واستعينوا به على لأوائكم ، فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء ، و هو الكفر والنفاقُ والغيُّ والضلالُ ، فاسألوا الله به ، وتوجّهوا إليه بحبّه ، و لا تسألوا به خلقه ، إنّه ما توجّه العباد إلى الله تعالى بمثله، واعلموا أنه شافع و مُشفّع ،وقائل مصدقٌ ، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة صُدِّق عليه. (1)

(1) من كَلام الصحابي الجليل عَليّ بْن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ص: 380 محَمد رضَا).

آداب وفضايل تلاوة القرءان الكريم

من آداب تلاوة القرءان الكريم أن تكون طاهر البدن والثياب ، متوضئا خاشعا متأدبا متمثلا . وخير التلاوة ما كانت في صلاة أو عقبها . وأحسن أوقاتها ما كانت في شكوب الليل . فإذا أردت التلاوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم رتل القرءان ترتيلا عملا بأوامره تبارك وتعالى . ويجب مراعاة الوقف والوصل في المواضع المحددة في المصاحف . فذلك مما يساعد على تفهم المعاني . ويجب على من يتلو آيات الذكر الحكيم أو من يستمع إليها أن يحضر ذهنه ويركز حواسه تفكيرا ليتدبر معانيه ويحاول تفهمها . فذلك من أهم المقاصد المبتغاة من تلاوة القرءان أو الاستماع إليه . كما يجب على القارئ أو المستمع إليه أن يقدر أنه هو المقصود بكل أمر وبكل نهي من أوامر القرءان ونواهيه . فالمسلم من ينعظ بآياته وجعلها دستوره في معاملاته . واتباع آدابه وحدد صلته بالناس على هدي أحكامه . وفرق بما

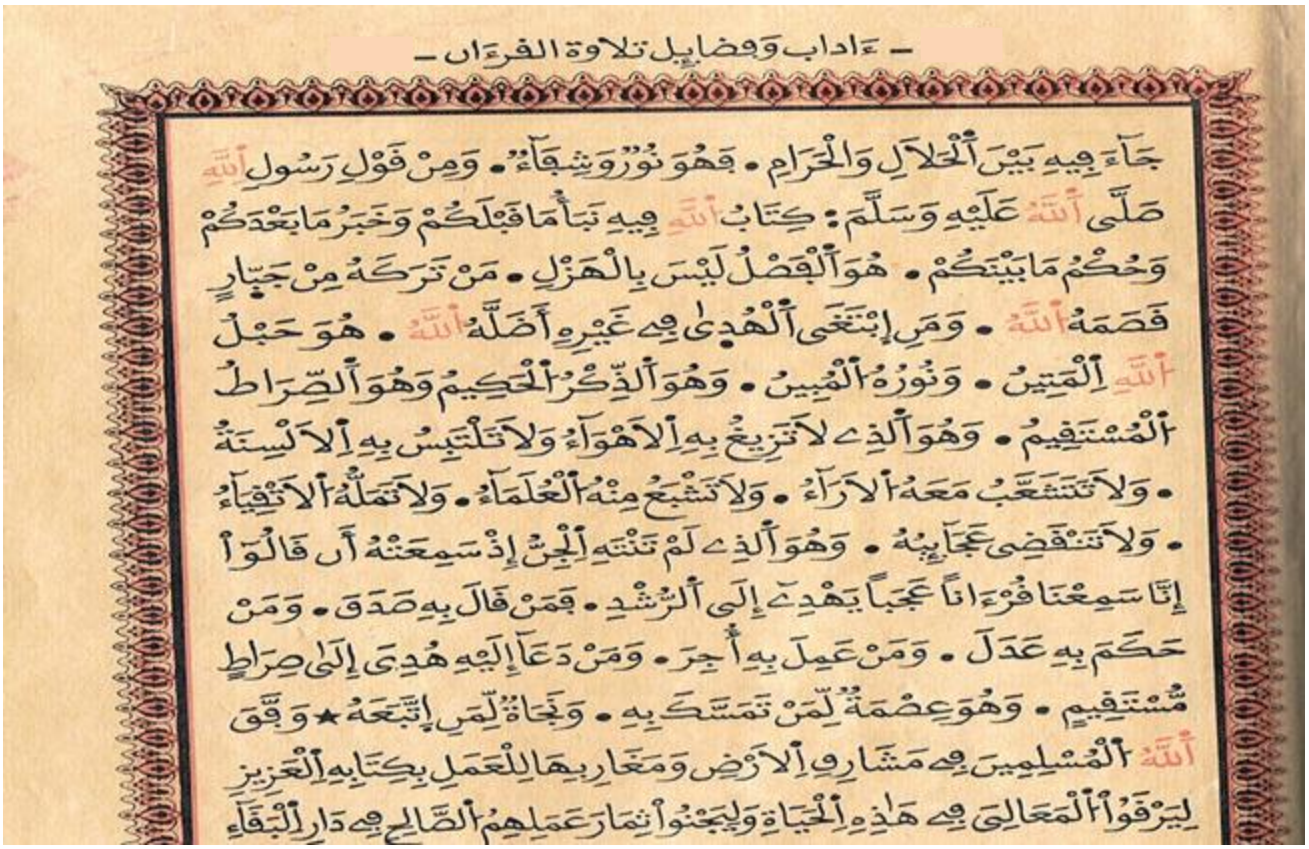

جاء فيه بين الحلال والحرام . فهو نور وشفاء . ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . هو حبل الله المتين . ونوره المبين . وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم . وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة . ولا تتشعب معه الآراء . ولا تشبع منه العلماء . ولا تمله الأتقياء . ولا تنقضي عجايبه . وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرءانا عجبا يهدي إلى الرشد . فمن قال به صدق . ومن حكم به عدل . ومن عمل به أجر . ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم . وهو عصمة لمن تمسك به . ونجاة لمن اتبعه ★ وفق الله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها للعمل بكتابه العزيز ليرقوا المعالي في هذه الحياة وليجنوا ثمار عملهم الصالح في دار البقاء

انظر الحديث في «سُنَنُ التِّرْمِذِيّ»: 42 - كتاب فضائل القرآن : 14/ 14 - باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ القُرْآنِ .[رقم (2906) ، الدارمي (3374)].

وانظر إلى عظمة القرآن العظيم الذي لا تنقضي عجائبه ولا زال المُفَسِّرون يفسرون القرآن العظيم إلى قوله تعالى : ﴿ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مَرْيَمْ: ٤٠]،لا تنقضي عجائبه حتى : ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ ﴾ [الجنّ: ١].

وإليك بعض من المفسرين إذا أردت التدبر و التبحر فيه وفي معانيه: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝١٥١ ﴾ [البَقَرَة: ١٥١]،لكي تعلم أن الله هو الذي: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العَلق: ٥]،قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥ ﴾ [الإسْرَاء: ٨٥]،وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]،وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [الحَجّ: ٥]،وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهْف: ١٠٩]،وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤ ﴾ [طه: ١١٤]،وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨ ﴾ [لُقْمَان: ٢٧ ، ٢٨].....

- تفسير مجاهد (104هـ)
- تفسير مقاتل (150هـ)
- تفسير الثوري (161هـ)
- تفسير يحيى بن سلام (200هـ)
- معاني القرآن للفراء (207هـ)
- تفسير عبد الرزاق (211هـ)
- معاني القرآن للأخفش (215هـ)
- تفسير سعيد بن منصور (227هـ)
- تفسير عبد بن حميد (249هـ)
- تفسير ابن وهب (308هـ)
- تفسير الطبري (310هـ)
- معاني القرآن للزجاج (311هـ)
- تفسير ابن المنذر (318هـ)
- تفسير ابن أبي حاتم (327هـ)
- معاني القرآن للنحاس (338هـ)
- أحكام القرآن للجصاص (370هـ)
- بحر العلوم للسمرقندي (375هـ)
- تفسير ابن أبي زمنين (399هـ)
- تفسير ابن فورك (406هـ)
- المصابيح في تفسير القرآن لابن الوزير (418هـ)
- تفسير الثعلبي (427هـ)
- تفسير المهدوي (حدود430هـ)
- تفسير الهداية لمكي (437هـ)
- النكت والعيون للماوردي (450هـ)
- البسيط للواحدي (468هـ)
- الوسيط للواحدي (468هـ)
- درج التفسير لعبد القاهر الجرجاني (471هـ)
- النكت لابن فضال (479هـ)
- تفسير السمعاني (489هـ)
- تفسير الفقهاء للغزنوي (723هـ)وقيل : (حدود 500هـ)
- لباب التفسير للكرماني (505هـ)
- غرائب التفسير للكرماني (505هـ)
- تفسير البغوي (516هـ)
- تفسير ابن برجان (536هـ)
- الكشاف للزمخشري (538هـ)
- المحرر الوجيز لابن عطية (541هـ)
- أحكام القرآن لابن العربي (543هـ)
- مفاتيح الأسرار ومصابيح الأسرار لمحمد الشهرستاني (548هـ)

- ـ تفسير الخزرجي (582هـ)
- ـ زاد المسير لابن الجوزي (597هـ)
- ـ أحكام القرآن لابن الفرس (597هـ)
- ـ تفسير الرازي (606هـ)
- ـ مباحث التفسير لابن المظفر (630هـ)
- ـ تفسير السخاوي (643هـ)
- ـ رموز الكنوز للرسعني (661هـ)
- ـ تفسير القرطبي (671هـ)
- ـ تفسير الاستغناء للأدفوي (679هـ)
- ـ تفسير أحمد بن يوسف الكواشي (682هـ)
- ـ تفسير البيضاوي (685هـ)
- ـ تفسير ابن أبي الربيع (688هـ)
- ـ تفسير الراغب الأصفهاني(689هـ)
- ـ مدارك التفسير للنسفي (710هـ) وقيل (701هـ)
- ـ غرائب الفرقان للنيسابوري (728هـ)
- -البستان في علوم القرآن لهبة الله البارزي (738هـ)
- ـ تفسير الخازن (741هـ)
- ـ التسهيل لابن جزي الكلبي (741هـ)
- ـ البحر المحيط لأبي حيان (754هـ)
- ـ تفسير ابن كثير (774هـ)
- ـ كشف التنزيل للحداد (المنسوب للطبراني) (800هـ)
- ـ عيون التفاسير للسيواسي (803 هـ)
- ـ تفسير الفيروز آبادي (816هـ)
- ـ التقييد الكبير للبسيلي (830هـ)
- ـ تبصير الرحمن وتيسير المنان لعلي المهايمي (835هـ)
- ـ اللباب لابن عادل (880هـ)
- ـ نظم الدرر للبقاعي (885هـ)
- ـ غاية الأماني للكوراني (893هـ)
- ـ تفسير الإيجي (905 هـ)
- ـ نواهد الأفكار على البيضاوي للسيوطي (911هـ)
- ـ حاشية الكازروني (940هـ)
- ـ تفسير أبي الحسن البكري (952هـ)
- ـ السراج المنير للشربيني (977هـ)
- ـ إرشاد العقل السليم لأبي السعود (982هـ)
- ـ حاشية الخفاجي (1070هـ)
- ـ حاشية زادة على البيضاوي (1078هـ)
- ـ حاشية الجمل على الجلالين (1204هـ)
- ـ حاشية أحمد الصاوي على الجلالين (1221هـ)
- ـ روح المعاني للألوسي (1270هـ)
- ـ محاسن التأويل للقاسمي (1332هـ)
- ـ تفسير المراغي (1371هـ)
- ـ التحرير والتنوير لابن عاشور (1393هـ)
- ـ أضواء البيان للشنقيطي (1393هـ)

.....

ثالثـــــاً : كلام النّبي - عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ -

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النَّجْم: ٣ – ٥] (*1).

الرسول ﷺ : هو أبو القاسم مُـحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ ،واسمه شيبة بن هاشم ،واسمه عمرو بن عبد مناف ،واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر واسمه قيس،وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ..... (" وأما شَرَفُ نسبهِ ﷺ وكَرَمُ بلده ومَنْشَئه فممّا لا يـحتاجُ إلى إقامة دليل عليه ، ولا بَـيَانٍ مُشْكِلٍ ، ولا خَفِـيّ منه ؛ فإنه نُخْبَة بني هاشم ، وسُلالة قريش وصَمِيمُها ، وأشرف العرب ، وأعزهم نَفَراً من قِبَلِ أبيه وأمه ، ومن أهل مكةَ ، مِنْ أكرم بلادِ الله ، على الله ، وعلى عباده . قال القاضي عياض في «الشّفا»،« 127»: حدثنا قاضِي القُضاة : حُسَيْن بن محمد الصَّدَفي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–، قال : حدثنا القاضي أبو الوليد : سليمانُ بن خلف ، حدثنا أبو ذَرّ: عبدُ بن أحمد ، حدثنا أبو محمد السَّرَخْسي ، وأبو إسحاق وأبو الـهيثم قالوا : حدثنا محمد بن يوسفَ قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قُتَيبة بن سَعِيد قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عَمْرو ، عن سَعِيد الـمَقْبُري ، عن أبي هريرة ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « بُعِثْتُ من خير قُرونِ بني آدم قَرْنًافقَرْنًا ، حتى كُنْتُ من القَرْن الذي كُنْتُ مِنه »[2].« 128» –وعن العباس ، قال : قال النبي ﷺ : « إنَّ الله تعالى خلق الـخَلْق فجعلني مِنْ خيرهم ، مِنْ خير قَرْنِهم ، ثم تـخـيَّر القبائلَ فجعلني من خيرِ قَبيلةٍ ثم تـخـيَّر البيوتَ فجعلني من خيـر بيوتهم ،فأنا خَيْرُهم نَفْساً ، وخيرُهم بيتاً »[3] . « 129» –وعن واثِلَةَ بن الأَسْقَع ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله اصطفى من وَلد إبراهيم

(1*) قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢ ﴾ [النِّسَاء: ٨٢] .

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩ ﴾ [البَقَرَة: ١٢٨ ، ١٢٩] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ ﴾[الصَّف: ٦] –بعض الآيات في حق النّبي ﷺ: [البَقَرَة: ١١٩ – ١٣٦] –[آل عِمْرَان: ٨١] –[آل عِمْرَان: ١٥٩] –[النِّسَاء : ١١٥] –[الأنعَام : ١٠٦] –[الأعْرَاف: ١٥٦–١٥٨] –[الأعْرَاف: ١٨٤ –١٨٨] –[الحِجْر: ٨٥–٩٩] –[النّحْل : ١٢٣ –١٢٨] –[الأنبيَاء : ١٠٧–١١٢] –[الفُرْقان :٥٦ – ٥٨] –[الشُّعراء: ٢١٥] –[الأحزَاب: ٢١] –[الأحزَاب: ٤٥،٤٦] –[الأحزَاب: ٦٩] –[سَبإ:٢٨] –[فَاطِر: ٢٤] –[الفَتْح:٨] –[الحَشْر:٧] –[الصَّف: ٧–١٢] –[الجُمُعَة: ١،٢] –[التَّغَابُن: ١٢،١٣] –[الطّلاَق: ١١،١٢] –[الْحَاقَّةُ : ٣٨–٥٢] –[الجنّ: ٢١–٢٨] –[المُزّمل : ١ –٢٠] –[المدّثّر: ١ –٧] –[التّكوير : ١٥ –٢٩].....

(2)[البخاري (3557)].

(3)[الترمذي (3607)].

إسماعيـلَ،واصْطَفَى من وَلَدِ إسماعيل بني كِنَانة، واصطفى من بني كِنَانة قريشاً،واصطفى من قُريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

[1] « 130» –وفي حديثٍ عن ابن عُمر ، رواه الطبري أنه ﷺ قال : «إنَّ الله اختار خَلْقَه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم، فاختار منهم العربَ، ثم اختار العربَ، فاختار منهم قريشًا، ثم اختار قريشًا، فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أَزَلْ خِيَاراً من خِيَار، أَلاَ مَنْ أَحبَّ العربَ فبِحُبِّي أَحبَّهم، ومن أبغض العرب فبِبُغْضي أبغضهم » . « 131» –وعن ابن عباس : أَنَّ النبي ﷺ كانت رُوْحُهُ نوراً بين يدي الله تعالى قبل أَنْ يَـخْلق آدَم بألفي عام ،يُسبِّح ذلك النورُ ، وتسبِّحُ الملائكةُ بتسبيحه ، فلما خلق الله آدمَ أَلْقَى ذلك النورَ في صُلْبه ، فقال رسول الله ﷺ : « فأهبطني اللهُ إلى الأَرْضِ في صُلْب آدم، وجعلني في صُلْب نوح، وقذف بي في صُلب إبراهيم، ثم لـم يَزَلِ الله تعالى يَنْقُلني من الأصلاب الكريمةِ والأرحام الطاهرة، حتى أخرجني بين أبَوَيَّ لـم يَلْتقيا على سِفَاح قطُّ ». « 131، م » –

ويشهدُ لصحةِ هذا الخبر شِعْرُ العباس في مَدْح النبي ﷺ المشهور")[2] : وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْـني *** وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّـسَاءُ

خُلِقْـتَ مُبـرَّأً مِنْ كُـلِّ عَيْبٍ *** كَأَنَّـكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشاءُ[3]

يا أيها الأمينُ حَسْبُكَ رتبةً في العلم *** أن دانَـتْ لـك العلمـــاءُ

أولاً: الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة ومات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة، وله يومئذ أربع وثمانون سنة.

هو إمام الحجاز، بل إمام الناس في الفقه والحديث، وكفاه فخرًا أن الإمام الشافعي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– من تلاميذه.

أخذ العلم عن ابن شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ونافع مولى ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وغيرهم –وأخذ عنه العلم خلق لا يحصون كثرة، منهم الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، ومحمَّد بن إبراهيم بن دينار، وابن عبد الرحمن المخزومي، وعبد العزيز بن أبي حازم، وهؤلاء نظراؤه من أصحابه، ومعن بن عيسى القزاز، وعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، ويحيى بن يحيى الأندلسي، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وعبد الله بن وهب، وأصبغ بن الفرج –وهؤلاء هم مشايخ البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم من أئمة الحديث، وروى التِّرْمِذِيّ في كتاب الشمائل النبوية عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله ﷺ : «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ، يَطْلُبُونَ العِلْمَ، فَلاَ يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الـمَدِينَةِ»[4].

---

(1) [مسلم (2276)، الترمذي (3605)]. قال الترمذي : «وهذا حديث حَسَنٌ صحيح».

(2) نقلاً من الشِّفا بِتَعْرِيْفِ حُقُوقِ المصْطَفَى ﷺ للعَلاّمَةِ القَاضِي عِيَاض/ فصل في شَرَفِ نَسَبِهِ ﷺ وَكَرَمِ بَلَدِهِ وَمَنْشَئِهِ.

(3) من كلام حَسَّان بن ثَابت الأنصَاري-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-لمدح خير الخلق محمد ﷺ.(ص:14 الدكتور عُمر فاروق الطَبّاع)، (الوافر).

* المبرّأ : إسم مفعول من برّأ يبرئ فلانًا (من العيب): خلّصه منه . // ** خلقت كما تشاء : أي كما تحبّ و على النحو الذي يرضيك.

(4) أخرجه التِّرْمِذِيُّ في : 37 – كتاب العلم عن رسول الله ﷺ : 18 – باب مَا جَاءَ فِي عَالِمِ الـمَدِينَةِ .[رقم (2680)، أحمد (2/ 8015:299)]. وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ».

قال عبد الرزاق وسفيان بن عيينة، إنه مالك بن أنس. قال مالك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: قل من كتبت عنه العلم ما مات حتى يجيئني ويستفتيني. -ولقد حدث يومًا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فاستزاده القوم من حديثه، فقال: ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق؟ فأتى ربيعة، فقيل له: أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالك؟ قال: نعم. فقيل له: كيف حَظِيَ بك مالك، ولم تحظ أنت بنفسك؟ قال: أما علمتم أن مثقالًا من دولة خير من حمل من علم. وكان مالك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مبالغًا في تعظيم العلم، إذا أراد أن يحدث، توضأ وجلس على وقار وهيبة، واستعمل الطيب، وكان مهيبًا -ولبعض المدنيين فيه:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبـــة *** والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى *** فهو المطاع وليس ذا سلطان

قال يحيى بن سعيد القطان: ما في القوم أصح حديثًا من مالك. -وقال الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- إذا ذكر العلماء فمالك النجم. وروي أن المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره، ثم دس إليه من يسأله فروى على ملأ من الناس: «ليس على مكره طلاق» فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث. ولما حج الرشيد سمع الموطأ من مالك، وأعطاه ثلاثة آلاف دينار، ثم قال له: ينبغي أن تخرج معنا، فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ، كما حمل عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- النّاس على القرآن فقال: أما حمل النّاس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل، فإن أصحاب النّبي ﷺ افترقوا بعده في البلاد، فعند كل أهل مصر علم، وقد قال النّبي ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة» -وأما الخروج معك فلا سبيل إليه، وقد قال رسول الله ﷺ: «الـمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ...»[1]، وهذه دنانيركم كما هي، فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ. وقال الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: رأيت على باب مالك كراعًا من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه، فقلت له: ما أحسنه، فقال: هو هدية مني إليك، فقلت له: دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: إني أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة ومناقبه أكثر من أن تحصى -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- آمين.

- الـمُوطَّأ لِإمَامِ دَارِ الهِجْرة مَالِك بن أَنَس -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، خرج أحاديثه أَحْمَد عَلِيّ سُلَيمَان .

دَارُ الغَدِ الجَدِيد ، القاهرة ، ط 1، عام 1435هـ 2014م .

ثانيًا: الإمام البخاري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برديزبه، الجعفي البخاري وإنما قيل له: الجعفي، لأن أبا جده كان مجوسيًّا أسلم على يدي يمان البخاري الجعفي، فنسب إليه، وجعفي أبو قبيلة من اليمن.

ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، وله اثنتان وستون سنة، إلا ثلاثة عشر يومًا، ولم يعقب ذكرًا.

رحل في طلب العلم إلى جميع محدثي الأمصار، وكتب عن الحفاظ، مثل مكي بن إبراهيم البلخي، وعبد الله بن عثمان المروزي وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبي نعيم الفضل بن دكين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم -رَحِمَهُمْ اللهُ تَعَالَى-. وأخذ عنه الحديث خلق كثير، قال الفربري: سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل، ولم يبق منهم أحد يرويه عنه غيري.

وطلب العلم وله عشر سنين، ورد على المشايخ وله إحدى عشرة سنة.

قال البخاري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: خرجت كتابي الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث وما وضعت فيه حديثًا إلا وصليت ركعتين.

---

(1) رَوَاهُ أَحْمَدُ رقم: [(1/ 181 و 184: 1573..)، مسلم (459/ 1363/ 3208)]..

ولما قدم بغداد جاءه أصحاب الحديث وأرادوا امتحانه، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، ودفعوها إلى عشرة رجال، وأمروهم أن يلقوها إليه، فانتدب رجل منهم، فسأله عن حديث منها: فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، حتى فرغ من العشرة، والبخاري يقول: لا أعرفه ، لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه. فأما العلماء فعرفوا بإنكاره أنه عارف، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك. –فلما فرغوا التفت البخاري إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وأما حديثك الثاني فهو كذا، على النسق إلى آخر العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، ثم فعل بالباقين مثل ذلك، فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل. اهـ. :

- صَحِيح البُخَارِيّ، تَرْقِيم و تَرْتيب محمّد فؤادعبد البَاقي .

دَارُ التَّقْوى، 8 شارع البيطار –خلف الجامع الأزهر، ط1، عام 1434هـ – 2012م.

ثالثًا: الإمام مسلم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري. ولد سنة أربع ومائتين، وتوفي لست بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وله سبع وخمسون سنة رحل في طلب العلم إلى الأقطار، وأخذ الحديث عن يحيى بن يحيى، وقتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، والقعنبي، وحرملة بن يحيى، وغيرهم من أئمة الحديث.

قدم بغداد غير مرة، وحدث بها، وأخذ عنه الحديث خلق كثير، وكان يقدم في معرفة الصحيح على أهل عصره، وقال: صنفت المسند من ثلاثمائة ألف حديث –مسموعة، وقال الخطيب البغدادي: إنما قفا مسلم طريق البخاري: نظر في علمه، وحذا حذوه. –رحمهما الله تعالى آمين –:

- اللّؤلُؤ و الـمَرْجَانُ فِيمَا اتّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيخَانِ البُخَارِيِّ و مُسْلِم .

اعتنى به و وَضَعَهُ: مُحَمَّد فؤادعبد الباقي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

حقَّقَه واستدرك عليه فريق بيت الأفكار الدولية الأردن والمؤتمن للتوزيع السعودية : مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض –ط1، 1434هـ.

- صَحِيح مسلم، تَرْقِيم و تَرْتيب محمّد فؤادعبد البَاقي .

دَارُ الحَدِيثِ، القاهرة 140 شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر عام 1431هـ –2010م.

رابعًا: الإمام أبو داود -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي، السجستاني، رحل في طلب العلم، وطوف وجمع، وصنف كتبًا كثيرة، وكتب عن أهل العراق والشام ومصر وخراسان.

ولد سنة اثنتين ومائتين، وتوفي بالبصرة لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين.

وأخذ الحديث عن مشايخ البخاري ومسلم، كأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وقتيبة بن سعيد، وغيرهم من أئمة الحديث، وأخذ عنه ابنه عبد الله، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو علي اللؤلؤي، وخلق سواهم.

عرض كتابه السنن على أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحسنه.

قال أبو داود -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنتها هذا الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها: قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات»، والثاني: قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والثالث: قوله ﷺ: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه»، والرابع: «الحلال بين، والحرام بين... »الحَدِيث.

وكان أبو داود -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في أعلى درجة من العلم والنسك والورع. روي أنه كان له كم واسع، وكم ضيق، فقيل له: ما هذا؟ فقال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه.

قال الخطابي: لم يصنف في علم الدين مثل كتاب السنن لأبي داود، وقد رزق القبول من كافة الناس على اختلاف مذاهبهم.

قال أبو داود: ما ذكرت في كتابي حديثًا أجمع الناس على تركه.

قال ابن الأعرابي: لو أن رجلًا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف، وهذا الكتاب -يعني السنن لأبي داود- لم يحتج معهما إلى شيء من العلم.

وكان علماء الحديث قبل أبي داود صنفوا الجوامع والمسانيد ونحوها، فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخبارًا، وقصصًا ومواعظ وآدابًا.

فأما السنن المحضة فلم يقصد أحد منهم إفرادها واستخلاصها، ولا اتفق له ما اتفق لأبي داود. -وقال إبراهيم الحربي: لما صنف أبو داود هذا الكتاب أُلِينَ له الحديث، كما أُلِينَ الحديد لداود -عَلَيْهِ السَّلامُ-. اهـ :

- سُنن أبي دَاوُد ، خَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَ عَلَّقَ عَلَيْهِ ياسر حسن ، عزّ الدّين ظلي ، عماد الطيار .

مؤسسة الرسالة ناشرون دمشق - سوريا ، ط 1 ، عام 1434هـ - 2013م .

خامسًا: الإمام التِّرْمِذِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو أبو عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة الترمذي. -ولد سنة مائتين هجرية، وتوفي بترمذ ليلة الاثنين، الثالث عشر من رجب، سنة تسع وسبعين ومائتين.

وهو أحد العلماء الحفاظ، لقي الصدر الأول من المشايخ، مثل قتيبة بن سعيد، ومحمَّد بن بشار، وعلي بن حجر، وغيرهم من أئمة الحديث. وأخذ عنه خلق كثير، وله تصانيف كثيرة، في علم الحديث، وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب، وأكثرها فائدة، وأقلها تكرارًا.

قال الترمذي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه، ومن كان في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم. اهـ:

- سُنَن التِّرْمِذِيّ (الجَامعُ الصحيح) ، تحقيق و تخريج أحمد زهوة أحمد عناية .

دار الكتاب العربي بَيْروت - لبْنان ، ط 1 ، عام 1426هـ - 2005م .

سادسًا: الإمام أبو عبد الرحمن النسائي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي.

ولد سنة خمس عشرة ومائتين، ومات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة. وهو أحد العلماء الأئمة الحفاظ. –أخذ العلم عن قتيبه بن سعيد، وعلي بن خشرم، وإسحاق بن إبراهيم، ومحمَّد بن بشار، وأبي داود السجستاني، وغيرهم... وأخذ عنه خلق كثير، وله كتب كثيرة في الحديث، وكان شافعي المذهب، وله مناسك على مذهب الإمام الشافعي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– وكان ورعًا متحريًّا، قال علي بن عمر الحافظ: أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر في زمانه في هذا العلم.

اجتمع به جماعة من الشيوخ والحفاظ، منهم عبد الله بن أحمد بن حنبل بطرسوس وكتبوا كلهم بانتخابه.

وسأله بعض الأمراء عن كتابه السنن: أكله صحيح؟ فقال: فيه الصحيح –والحسن وما يقاربها، قال: فاكتب لنا الصحيح منه مجردًا، فصنع المجتبى من السنن، ترك كل حديث تكلم في إسناده بالتعليل. اهـ.

قال صاحب تيسير الوصول، الذي نقلت منه هذه التراجم:

هذا قليل من كثير من أحوال هؤلاء الأئمة، يستدل بها على جلالة قدرهم، وعلو مرتبتهم في هذا العلم – رضي الله عنهم أجمعين–، آمين. :

- سنن النسائي..

سابعًا: الإمام ابن ماجه القَزْوِينِي – صاحب السنن – -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو أبو عبد الله، محمَّد بن يزيد، بن ماجة، صاحب كتاب السنن المشهورة، هي دالة على علمه وعمله وبحره واطلاعه، واتباعه للسنة في الأصول والفروع.

ويشتمل على اثنين وثلاثين كتابًا، وألف وخمسمائة باب، وعلى أربعة آلاف حديث، كلها جياد، سوى اليسير منها.

ولابن ماجة تفسير حافل، وتاريخ كامل، من لدن الصحابة إلى عصره، وقد روى عنه الكبار : ابن سيبويه، ومحمَّد بن عيسى الصفار، وإسحاق بن محمَّد، وعلي بن إبراهيم ... توفي –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– لثمان بقين من رمضان سنة «273 هـ» ثلاث وسبعين ومائتي سنة عن أربع وستين سنة. اهـ. من «البداية والنهاية» لابن كثير «ج 11 ص 52». وللاستزادة انظر: «تيسير الوصول»:

- سُنن ابن ماجـــه ، خَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَ عَلَّقَ عَلَيْهِ عماد الطيار، ياسر حسن، عزّ الدّين ظلّي .

مؤسسة الرسالة ناشرون دِمَشق – سُورِيَّا ، ط 1 ، عام 1434هـ – 2013م .

ثامنًا : الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي 164 –241 هـ ، 780 –855 م فقيه ومحدِّث مسلم، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي .اشتُهر بعلمه الغزير وحفظه القوي، وكان معروفًا بالأخلاق الحسنة كالصبر والتواضع والتسامح، وقد أثنى عليه كثير من العلماء منهم الإمام الشافعي بقوله: «خرجتُ من بغداد وما خلَّفتُ بها أحدًا أورع ولا أتقى ولا أفقه من أحمد بن حنبل»، ويُعدُّ كتابه "المسند" من أشهر كتب الحديث وأوسعها.

وُلد أحمد بن حنبل سنة 164 هـ في بغداد ونشأ فيها يتيماً، وقد كانت بغداد في ذلك العصر حاضرة العالم الإسلامي، تزخر بأنواع المعارف والفنون المختلفة، وكانت أسرة أحمد بن حنبل توجهه إلى طلب العلم، وفي سنة 179 هـ بدأ ابن حنبل يتَّجه إلى الحديث النبوي، فبدأ يطلبه في بغداد عند شيخه هُشَيم بن بشير الواسطي حتى توفي سنة 183 هـ، فظل في بغداد يطلب الحديث حتى سنة 186 هـ ثم بدأ برحلاته في طلب الحديث، فرحل إلى العراق والحجاز وتهامة واليمن وكذا المغرب العربي، وأخذ عن كثير من العلماء والمحدثين، وعندما بلغ أربعين عامًا في سنة 204 هـ جلس للتحديث والإفتاء في بغداد، وكان الناس يجتمعون على درسه حتى يبلغ عددهم قرابة خمسة آلاف.

اشتُهر ابن حنبل بصبره على المحنة التي وقعت به والتي عُرفت باسم" فتنة خلق القرآن"،وهي فتنة وقعت في العصر العباسي في عهد الخليفة المأمون، ثم المعتصم والواثق من بعده، إذ اعتقد هؤلاء الخلفاء أن القرآن مخلوق محدَث، وهو رأي المعتزلة، ولكن ابن حنبل وغيره من العلماء خالفوا ذلك، فحُبس ابن حنبل وعُذب، ثم أُخرج من السجن وعاد إلى التحديث والتدريس، وفي عهد الواثق مُنع من الاجتماع بالناس، فلما تولى المتوكل الحكمَ أنهى تلك الفتنة إنهاءً كاملاً. وفي شهر ربيع الأول سنة 241 هـ، مرض أحمد بن حنبل ثم مات، وكان عمره سبعًا وسبعين سنة. :

- مسند الإمام أحمد بن حنبل

راجَعَهُ و علّق عَلَيْه ، و وضع فهَارسَه : محمَّدْ صدْقي محمّد جَمِيل العَطَّارْ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

دار الفكر للطبَاعَة و النشر و التوزيع – لبْنان –بَيْروت

ط1،عام 1429 –1430هـ – 2009م.

تاسعًا : الإمام ابن حاتم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

اسمه ونسبه :عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التّميمي الحَنْظَلي الرازي مولده :ولد سنة 240 هـ.

كنيته و لقبه ونسبته :هو أبو محمد و يعرف بابن أبي حاتم و أبو حاتم المحدثُ الحافظُ هو أبوه، أما الرازي فهو نسبة إلى الري و الزاي للنسبة كما في المروزي نسبة إلى مرو الشاهجان

عاشرًا : الإمام الهيثمي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ابن حجر الهيتمي، هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي، 909 هـ 973 – هـ، فقيه شافعي ومتكلم على طريقة أهل السنة من الأشاعرة، ومتصوف. :

- مجمع الزوائد .

الحادي عشر : ابن خزيمة -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري الشافعي (223هـ –311 هـ)،المكنى بأبي بكر الحافظ الحجة الفقيه،الملقب بشيخ الإسلام وإمام الأئمة،وصاحب كتاب صحيح ابن خزيمة عرف بشفوف نظره في باب التعارض والترجيح في أصول الفقه حيث كان بارعا في إيجاد أوجه الجمع بين النصوص الصحيحة المتعارضة في الظاهر فكان يقول :" من رأى نصين متعارضين فليأتني أوفق له بينهما".

الثاني عشر : البزّار -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

اسمه خلف بن هشام بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب السدي البغداي البزار وكنيته أبو محمد ولد سنة 150 هـ وهو أحد الرواة عن سليم عن حمزة، واختار لنفسه قراءة فكان أحد القراء العشرة.

القاضي عياض -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو عِيَاض بن موسى بن عِيَاض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته.

ولد في مدينة سبتة بالأندلس سنة 476هـ. وتربى في أحضان أسرة عربيةٍ أصيلة، فنشأ على الصلاح والتقوى، معرضًا عن اللهو، شغوفًا بالعلم، محبًا للجهاد، حافظًا لكتاب الله تعالى مكثرًا من تلاوته. وكان أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي القضاء بسبتة، ثم قضاء غرناطة فكان قاضيًا عادلًا، لاتأخذه في الحق لومة لائم، وكان إمامًا بارعًا، متفننًا في علم الحديث، والفقه، واللغة والنحو، وعاصر دولتي: المرابطين والموحدين.

من تصانيفه:

- « الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ». «الغُنية» وهو في ذكر مشيخته. «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك. « شرح صحيح مسلم». «مشارق الأنوار»، وهو في الحديث. «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» وهو في مصطلح الحديث. وكتاب في «التاريخ »«العقيدة». «مطامح الأفهام في شرح الأحكام» . وغيرها كثير
- توفي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بمراكش سنة544 هـ مسمومًا؛ قيل: سمّه يهودي:
- الشِّفَا بِتَعْرِيْفِ حُقُوْقِ المصْطَفَى ﷺ

دار ابن حزم بَيْروت -لبنَان 1423هـ -2002م/ ط: 1

رابعًا حكم لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ-:

لُقْمَان -عَلَيْهِ السَّلامُ-:

وقد قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:«هو لقمان بن عنقاء ابن سدون».[1]

وقال الخازن: قيل: هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ و هو آزر. وقيل: كان ابن أخت أيوب. و قيل: كان ابن خالته[2]. وقال البغوي: قال محمَّد بن إسحاق: وهو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر. وقال وهب: كان ابن أخت أيوب، وقال مقاتل: ذكر أنَّه كان

(1) تفسير ابن كثير: 3/ 444.

(2) تفسير الخازن: 5/ 146.

ابن خالة أيوب[1]. قال الشَّوكاني: وهو لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ ، و هو آزر أبو إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلامُ- و قيل : هو لقمان بن عنقا بن مروان وكان نوبيًا من أهل أيلة ذكره السّهيلي[2]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان : ١٢-١٩] ،كما قال تعالى ، فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصًا بالحكمة ،مشهورًا بها ، ولهذا من منَّة الله عليه وعلى سائر عباده ، أن قصّ عليهم من حكمته ما يكون لهم به أسوة حسنة :

الصحابي الجليل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي(13 رجب 23 ق هـ 17/ مارس 599 م 21 – رمضان 40 هـ 27 / يناير 661 م) ابن عم سيدنا محمد ﷺ بن عبد الله نبي الإسلام وصهره، من آل بيته، وكافله حين توفي والديه وجده، وأحد أصحابه، هو رابع الخلفاء الراشدين عند أهل السنة وأحد العشرة المبشرين بالجنّة . :

- جمع وترتيب محمد رضَا، للصحابي الجليل عَليّ بْن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، دار ابن حزم –بيروت –لبنان ط1، عام 1426هـ 2005م .

الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

الحسن البصري بن أبي الحسن اليسار ، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ،ويقال : مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي وكان أبوه مولى جميل بن قطبة وهو سبي ميسان ، سكن المدينة في خلافة عمر بن الخطاب فولد له بها الحسن –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– لسنتين بقيتا من خلافة عمر ،وأمه خيرة مولاة لأم سلمة أم المؤمنين كانت تخدمها ، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها وهو رضيع فَتُشَاغِلهُ أم سلمة

(1) تفسير البغوي: 6/ 286.

(2) فتح القدير : 5/ 487.

برضاعته ،فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعة من أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ ثم كان وهو صغير تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له ، ولكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قال : اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس.

الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الشافعيّ المطَّلبيّ القرشيّ. :

- ديوان الإمام الشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -اعتنى به: مُحَمَّد تَبَرْكَانْ أَبُو عبد الله ، دَارُ الإِمَامِ مَالِك لِلْكِتَاب ـ الجزائر ـ باب الوادي ـ ط 1، عام 1430هـ ـ 2009م .

ابن قيم الجوزية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بشمس الدين ،أبو عبد الله وابن قيم الجوزية من عائلة دمشقية عرفت بالعلم والالتزام بالدين واشتهر خصوصا بابن قيم الجوزية هو والده فقد كان قيما على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن واشتهر بذلك اللقب ذريته وحفدتهم من بعد ذلك ، وقد شاركه بعض أهل العلم بهذه التسمية وتقع هذه المدرسة بالبرزورية المسمى قديما سوق أو سوق البزورية (أحد أسواق دمشق)، وبقي منها الآن بقية ثم صارت محكمة إلى سنة 1372هـ، 1952م . :

- كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار ابن الجَوزيْ – المملَكَة العربية السَّعودية جدة الرياض – ط1، عام 1433 رجب .

الإمام الغزالي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

هو أبو حامد بن محمد بن محمد بن محمد الغزال الطوسي النيسابوري ، يكنى بأبي حامد لولد له مات صغيرًا ويعرف الغزالي "نسبة إلى صناعة الغزل" حيث كان أبوه يعمل في تلك الصناعة ، وينسب أيضا إلى "الغزالي" نسبة إلى بلدة غزالي من قرى طوس ، وقد قال عن نفسه "الناس يقولون لي الغزالي ، ولست الغزالي ،وإنما الغزالي منسوب إلى قرية يقال لها غزالة" وقد قال ابن خلكان أن نسبته إلى الغزالي (بتشديد الزاي) هو المشهور وهو أصح من نسبته إلى الغزالي ، ويؤكد ذلك ما رواه الرحالة ياقوت الحموي بأنه لم يسمع ببلدة الغزالة في طوس ، كما

يعرف نسبة إلى بلدة طوس الموجودة في خراسان والتي تعرف الآن باسم مدينة مشهد موجودة في إيران وقد اختلف الباحثون في أصل الغزالي أعربي أم فارسي ، فهناك من ذهب على أنه من سلالة العرب الذين دخلوا بلاد فارس منذ بداية الفتح الإسلامي ، ومن الباحثين من ذهب إلى أنه من أصل فارسي . :

- إحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينْ ، الأزهر الشريف ،دَارُ التَّوْفِيقِيَّة للطِبَاعَة – مصر – 130 شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر 2015م/ ط:7 .

الأستاذ الشيخ محمد عبد العزيز الخولي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- المدرس بمدرسة دار العلوم :

-إصْلاحُ الوَعْظِ الدّينيّ ، المكتبة التجَارية الكبرى بمصر ص ب 578، ط:7 ، عام 1388 هـ – 1969 م.

الشيخ مَحْمُود المصري أبو عمار -حفظه الله تعالى-:

- قصص التابعين ، دار التقوى ، ط: 1 ، عام 1432هـ – 2011م.

علي الجاموس -حفظه الله تعالى - :

- كتاب إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْن أَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ والصَّلاَةِ والصَّدَقَةِ ،الدار الدمشقية – دمشق – حلبوني – ط1 ، عام 1427هـ – 2006م.
- موسوعة في سماحة الإسلام (1/ 425-442)
- زهران حامد عبد السلام :
- الصحة النفسية والعلاج النفسي ، عالم الكتب ، الإسكندرية والقاهرة ، ط2، عام 1977 .
- ومن بين المراجع : العشرية السوداء في الجزائر " المأساة الوطنية "

بدون تعليق من تاريخ 1990 إلى غاية 11/ جانفي 2000 انظر الخسائر البشرية والمادية من شبكة الانترنيت (الموسوعة الحرة ويكيبيديا) .

- والثورات العربية بدون تعليق من تاريخ 17 ديسمبر 2010 إلى متى[1*]؟!...الله الله.... انظر الخسائر البشرية والمادية من شبكة الانترنيت (الموسوعة الحرة ويكيبيديا).

(1*)كما أن مايدور في العالم الإسلامي من فتن تؤثر في حياة الإنسان سلباً ...كذلك معرفة أحوال الصالحين تؤثر في حياة الإنسان إيجاباً:

... كرِّر عليَّ حديثَهم ياحادي *** فحديثهم فيه الشفا لفؤادي[1]

كرِّر عليَّ حديثَهم ياحادي *** فحديثُهم يَجلو الفؤادَ الصَّادي

كرِّر عليَّ حديثَهم ياحادي *** فإن حديثَهم يشفي لهيب فؤادي

كرِّر عليَّ حديثَهم فلربما *** لان الحديدُ بِضربة الحَدَّادِ

(1) إرشاد الساري للقسطاني على البخاري . * الصادي : الشديد العطش،(البحر الكامل).

" ولا شك أن في دراسة تراجم العلماء الأفاضل، وأصحاب المنن والفواضل فوائد ؛ فمن ذلك :

(1) تربية شباب الصحوة الإسلامية على ما تربَّى عليه العلماء الأعلام ؛ حتى ينسج على منوال الكرام ، ويتبوأ منازل الخير والإنعام ؛ فيقرأ سيرهم من لم يعاين صورهم ، ويشاهد محاسنهم من لم يعاصرهم ، فيعرف مناصبهم ومراتبهم ، فيجدَّ في الطلب ليلحق بهم ، ويتمسك بهديهم .

(2) ومن ذلك أن المسلم تجتمع له خلاصة التجارب ، وعصارة الأفكار والمواقف ، فيأخذ بالحسن ، ويجدَّ في الطلب ، فكأنه يضم عُمْرَ غيره إلى عمره :

إذا علم الإنسان أخبار من مضى *** تَوَهَّمْتَهُ قد عاش من أول الدهرِ

وتحسبه قد عاش آخر عمره *** إذا كان قد أبقى الجميل من الذكرِ

فقد عاش كل الدهر من كان عالما *** حليماً كريماً فاغتنم أول العمرِ ،(البحر الطّويل).

(3) ومن ذلك معرفة شرف العلم وحَمَلَتِه، فإذا كان أهل التجارات قد شغلوا أنفسهم بالتجارة ، والملوك شغلوا أنفسهم بأمور المُلك ، فإن العلماء قد شغلوا أنفسهم بحراسة دين الله ، ونشر شريعته ، وإحياء سنة رسوله ﷺ :

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨ ﴾ [النور: ٣٥ -٣٨]

إنَّ لله عِبـــادًا فُـــطَنَا *** تَركُوا الدُّنيَا و خَافُوا الفِتنَا

نَظَرُوا فيهَا فلمَّا عَلِمُـــوا *** أنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَـا

جَعلُوهَا لُـجَّةً و اتَّـخَذُوا *** صَالِحَ الأَعمَالِ فيهَا سُفُنَا ( )

( ) دِيوان الإِمَامِ الشَّافِعِي (ص: 137 مُـحَـمَّدْ تَبَرْ كَانْ أَبُو عبد الله) ، (الرّمل) .

قناديل دين الله يسعى بحملها *** رجال بهم يحيا حديثُ محمدِ

هُمُ حملوا الآثار عن كل عالمٍ *** تَقيٍّ صدوقٍ فاضلٍ مُتعبِّدِ

محابرهم زُهْرٌ تُضيء كأنها *** قناديل حَبْرٍ ناسكٍ وسط مسجدِ =

وكما هو واضح فقَد عالجنا في هذا الكتاب موضوع التسامح مرتبا حسب فصوله فتناولنا **في الفصل الأول: معنى التسامح ومقاصده وفوائده ...وفصلنا القول فيه على النحو التالي :**

المبحث الأول: مفهوم التسامح لغةً و اصطلاحًا، وأقوال حكيمة فيه والتشخيص .

المطلب الأول: مفهوم التسامح لغةً و اصطلاحًا وأقوال حكيمة فيه .

= تُساقُ إلى من كان في الفقه عالمًا*** ومَن صنَّف الأحكام من كل مُسْنَدِ ، (البحر الطّويل).

(4) ومن هذه الفوائد أن يزداد حب المسلم للعلماء الأعلام .

وقد قال النبي ﷺ : « **الـمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** » (1)، فطوبى لمن أحب أهل العلم والشرف الدائم والعِزِّ الباقي:

" لَكِنَّ رَبِّ تَـمَّمَ الْإِحْسَانَا *** بِجَعْلِـهِ وُجُـودَهُـمْ أَمَانَـا

اَسْأَلُـــهُ الإِمْـــدَادَ بِالثَّبَاتِ *** عَلَـى وِدَادِهِـمْ إِلَـى الْوَفَـاةِ

فَحُبُّهُـمْ وَسِيلَتِي وَذُخْـرِي *** أَرْجُو بِهِ صُحْبَتَهُمْ فِي الْـحَشْرِ "

من كلام العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الابراهيمي الديسي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –.

(5)ومن ذلك نشر علمهم والاستفادة بفقههم ، والاعتبار بمواعظهم ونصائحهم .

(6) ومن ذلك أن الرحمات تتنزل عند ذكر الصالحين .

(7) ومن ذلك أن نُنزل أنفسنا المنازل اللائقة بها، كما قال بعضهم: (إذا ذُكر السلف افتضحنا).

(8) ومن ذلك أننا في أزمنة غابرة متأخرة ، عَزَّ فيها العلماء العاملون ؛ فدراسة تراجم العلماء الأعلام ، والأئمة الكرام يعوضُ شيئًا من هذا النقص ، ويَـجْبُـر شيئًا من هذا الفقر .

(9) ومن ذلك مايستفيده طالب علم الحديث من معرفة طبقات هؤلاء الأعلام ، ومعرفة شيوخهم وتلامذتهم .

(10) ومن ذلك أن القارئ الكريم قد تتجدد له همة ؛ فيلحق ولو بساقة القوم ، أو يجد أثرًا من غُبارهم :

إذا أَعجبتك خصال امرئٍ *** فَكُنْهَا تَكُن مثل ما أعجبكْ

فليس على الجُود والمكرمات *** إذا جئتها حاجبٌ يحجبكْ (2) "

(1) أخرجه التِّرْمِذِيّ في : 34 – كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ : 50 – باب مَا جَاءَ أَنَّ الـمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ . [رقم (2387)، و قال : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، النسائي (127، 129)، و ابن ماجه (478)، و أبو داود (4023)، و أحمد (1/ 392 و 4/ 239)، و المصنف (3535، 3536)، و انظر تحفة الأشراف (4902)، و حسنه الألباني في الروض (360)].

(2) من أعلام السلف / د أحمد فريد (حفظه الله)(ص : 9، 10)، وانظر قصص التابعين (ص 10، 11، 12 الشيخ مَحْمُودْ المـصْرِي أبو عمار).

المطلب الثاني: تشخيص الدّاء

المبحث الثاني: فكيف بعابر السبيل أن لا يكظم غيظه و لا يعفو عمّن ظلمه

المبحث الثالث: أعداءٌ في ظلمة الجاهلية إخوةٌ في نور الإسلام .

المبحث الرابع: الإصلاح بين الناسِ

الفصل الثاني: أضرارُ الغضبِ أشدُّ خطرًا من أسبابه

المبحث الأول: تأثير الغضب على القلب

المبحث الثاني: تأثير القلب على صفحات الوجه

المبحث الثالث: الوصايا المطفئة لنار الغضب

الفصل الثالث: التسامح وسيلة وغاية

المبحث الأول: الطرق الَّتِي تجعل عقل خصمك يتهلّل ترحيبًا

المطلب الأول : الطريقة الصورية لغة الملامح

المطلب الثاني : لغة الأحاسيس

المطلب الثالث : لغة الكلام

المبحث الثاني: العفو عند المقدرة

المبحث الثالث: كيف تقدم إماماً كنت له إماماً وتصفح عمن اِعتدى وتَدْفَعُ بالتِّي

هي أحسن.

المطلب الأول: كيف تقدم إمامًا كنت له إمامًا

المطلب الثاني: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾

المبحث الرابع: شفاؤنا وليدُ سماحتِنَا ومقابلة الإساءة بالإساءة ليست هي الحل

المطلب الأول: شفاءُ قلوبِنَا و عقولِنَا وأنفسِنَا وأبدانِنَا وليدُ سماحتِنَا

المطلب الثاني: فإذا قابلت الإساءة بالإساءة فمتى تنتهي الإساءة ؟؟.....؟؟

الفصل الرابع : التسامح حياة ...

المبحث الأول: أمراضُ قلوبِنَا وعقولِنَا وأنفسِنَا وأبدانِنَا وليدةُ أحقادِنَا

المبحث الثاني: حسن الخُلُقِ

المبحث الثالث: كيف نعيش إيجابيًا مع الحياة لأنّ الله كرّمنا بالعقل والعقل يساعدنا على الخروج من دوامة الغضب

المطلب الأول: كيف نعيش تعايشًا إيجابيًا مع الحياة ونعالج نتائجها السلبية

المطلب الثاني: سبحان الله الذِي كرّم الإنسان بالعقل

المطلب الثالث: كيف تساعد نفسك للخروج من دوامة الغضبِ ؟

المبحث الرابع: الإحسان والمحسن حرٌّ ولو آذيته والمسيء عبْدٌ ولو عفوت عنه

المطلب الأول: الإحسان

المطلب الثاني: المحسن حرٌّ و لو آذيته والمسيء عبْدٌ ولو عفوت عنه

الفصل الخامس: التسامح و تطبيقاتُهُ

ومن نافلة القول :أن موضوع التسامح من الموضوعات الَّتِي تلازم الإنسانية وترافق الاجتماع البشري أيا كان نوعه، أو درجة تطوره ،وسيبقى البحث فيه مفتوحا على آفاق تـتجدد ما بقيت البشرية . فنرجو لمن يتصدى له بعدنا : التوفيق والسداد :

..."فما كان من نقص كَمّلوه ، ومن خطأ أصلحوه ، فقلّما يخلُص مُصنِّف من الهفوات ، أويَنجو مُؤَلِّفٌ من العثرات :"

..." فَانظُرْ إِلَـيْهِ نَظَرَ الْمُسْتَحْسِنِ *** وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِه وَحَسِّنِ

وَإِن تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الـخَلَلاَ *** فَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فِيهِ وَعَلاَ ". [1]

* * *

(1) انظر : خاتمة ملحة الإعراب للشيخ أبي القاسم بن علي الـحريري البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

الفهرس

الإهـــــــداء

المقدمة 7

التمهيد 17

الإصلاح بين الناس يتناول ما يأتي 23

الفصل الأول :في معنى التسامح ومقاصده وفوائده 25

مفهوم التسامح لغةً واصطلاحًا.....26

حسن الظّنّ 29

تشخيص الدّاء واللجوء إلى الدّواء.....34

كيف لِعابرِ السبيلِ أَنْ لا يكظمَ غيظَه ولا يعفوَ عمَّن ظلمه وكيف له في كلِّ الظروفِ

والأحوالِ ،أَنْ يغفلَ وينسى المعادَ والمآل ؟ 39

أعداء في الجاهليةِ إخوةٌ في الإسلامِ.....55

الإصلاح بين الناسِ.....58

الفصل الثاني :أضرارُ الغضبِ أشدُّ خطرًا من أسبابه:.....62

المبحث الأول : تأثير الغضب على القلب :.....63

المبحث الثاني :تأثير القلب على صفحات الوجه 66

المبحث الثالث : الوصايا المطفئة لنار الغضب «وصايا ذهبية».... 68

الفصل الثالث : التسامح وسيلة وغاية :.....73

الطرق التي تجعل عقل خصمك يتهلّل ترحيبًا،طرق بصرية حسية وسمعية.....74

العفو عند المقدرة.....83

سبحان الذِي كرّم الإنسان بالعقل 91
كيف تقدم إمامًا كنت له إمامًا بدلًا أن تؤُمَّك نفسك يصبح يؤُمُّك عَقْلُكَ بدلاً أن يؤُمَّك غضبك يصبح يؤُمُّك حِلْمُكَ. 93
﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.....103
شفاءُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدُ سماحتِنَا.....106
القصاص حق وعدل ، والتسامح والعفو سمو وفضل: وقد يجمعُ اللهُ الشَّتيتَينِ بَعْدَمَا ❊❊❊ يَظُنَّان كُلَّ الظَّنِّ أن لا تَلاَقَيَا 110
الفصل الرابع : التسامح حياة :.....115
أمراضُ قلوبِنَا و عقولِنَا و أنفسِنَا و أبدانِنَا وليدةُ أحقادِنَا (العقل المضطرب).....116
حسن الخُلُقِ : «و إنما الأمم الأخـــلاق ما بقيــت ❊❊❊ فإن همُ ذهبت أخـــــلاقهم ذهبوا» «أحمد شوقي» 121
كيف نعيش إيجابيًا مع الحياة و نعالج نتائجها السلبيــة.....126
«إنَّ المؤمنَ إذا أبصر العاقبة أَمِنَ النَّدامة »..... 138
كيف تساعد نفسك للخروج من دوامة الغضبِ ؟.....145
الإيــمان 148
الإحسـان.....149
المحسن حرٌّ و لو آذيته و المسيء عبدٌ و لو عفوت عنه.....152
الفصل الخامس :التسامح وتطبيقاتُهُ :.....156
المثل التطبيقي من حياة النّبي ﷺ في «السماحة».....157
نماذج في تسامح الأصحاب ، لعل فيها تبصرة لأولي الألباب.....160

طرق علمية وسلوك ناجح ، لاكتساب مهارة التسامح.....162

سامحوا الزّوجةَ في الأخطاءِ والهفواتِ الَّتِي لا تتعلَّق بالعرضِ وما يمسّ الشرف واعلموا أَنَّ اللهَ أنزل في حقِّ كُلِّ الأزواجِ.....174

سامح زوجتك 178

سامحي زوجكِ كي لا تيتمي أولادكِ 182

سامح جارك الذي كان جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يوصي الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ و السَّلَامُ- به حتى قال (ظننت أنه سيورثه) 185

الرفق بالأرحام ارفق و اعطف و سامح أرحامك لعل الله يسامحك.....187

الإحسان إلى الحيوان من أسباب دخول الجنّة.....194

سامحوا إخوانكم و أزواجكم و زوجاتكم و أولادكم والذين فقدوا عقولهم.....197

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴾ وما ذلك على الله ببعيد 200

فهرس المصادر والمراجع 203

الفهرس..... 233

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

المسامح كـــريـــم